1 كتاب نسمات

مواقف في زمن المحنة

حوارات إعلامية مع فتح الله كولن

إعداد

صابر المشرفي

نوزاد صواش

دار النيل

1 كتاب نسمات

مواقف

في زمن المحنة

حـوارات إعلامية مع فتح الله كولن

دار النيل

مواقف في زمن المحنة

حوارات إعلامية مع فتح الله كولن

Copyright©2017 Dar al-Nile

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة، لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب أو نقله بأي شكل أو بأية وسيلة، سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير الفوتوغرافي أو التسجيل أو وسائل تخزين المعلومات وأنظمة الاستعادة الأخرى بدون إذن كتابي من الناشر.

إعداد وتحرير

صابر المشرفي

نوزاد صواش

رقم الإيداع

2017/14731

الترقيم الدولي

ISBN: 978-977-801-088-6

رقم النشر

1107

دار النيل للطباعة والنشر

Tel & Fax:002 02 25379391
Mobile: 002 01023201002
E-mail: info@daralnile.com

www.daralnile.com

مواقف
في زمن المحنة
حــوارات إعلامية مع فتح الله كولن

إعداد
صابر المشرفي
نوزاد صواش

فهرس

تقديم ٧

نبذة مختصرة عن الأستاذ فتح الله كولن وحركة الخدمة.................... ١٧

حوارات وسائل الإعلام العربية

حوار جريدة الوطن المصرية مع الأستاذ فتح الله كولن ٢٧

حوار أخبار اليوم المصرية مع الأستاذ فتح الله كولن ٥٧

حوار الأهرام العربي مع الأستاذ فتح الله كولن ٨٥

حوار قناة العربية مع الأستاذ فتح الله كولن................................... ١٢٣

حوار قناة الغد مع الأستاذ فتح الله كولن ١٣٩

حوار وكالة أنباء الشرق الأوسط مع الأستاذ فتح الله كولن........... ١٤٧

حوارات وسائل الإعلام العالمية

حوار مركز "ستوكهولم للحرية" مع الأستاذ فتح الله كولن............ ١٥٩

حوار مجلة بوليتيكو الأمريكية مع الأستاذ فتح الله كولن ١٧١

حوار قناة ZDF الألمانية مع الأستاذ فتح الله كولن......................... ١٨١

حوار قناة UDN الصينية مع الأستاذ فتح الله كولن......................... ٢٠١

حوار قناة NRT الكردية مع الأستاذ فتح الله كولن.......................... ٢١٩

لقاء مع مجموعة من وسائل الإعلام العالمية ٢٢٧

حوار قناة CNN مع الأستاذ فتح الله كولن ٢٥٥

مقالات في سائل الإعلام العالمية

أدين بشدة أيَّ تهديد للديمقراطية في تركيا ٢٦٣
مستعد للعودة إلى تركيا ٢٧١
تركيا التي لم أعد أعرفها ٢٨٣
لكيلا يكون شبابنا فريسة للتنظيمات الإرهابية ٢٩١
مقترحات لحل المسألة الكردية ٢٩٧

بعض البيانات الصحفية

بيان حول إشاعات محاولة انقلاب جديدة في تركيا ٣٠٧
بيان عقب العملية الإرهابية في ملهى "رينا" بإسطنبول ٣١١
بيان عقب العملية الإرهابية في غازي عنتب بتركيا ٣١٣
بيان بعد الهجمات الإرهابية على كنائس في مصر ٣١٤
بيان بعد محاولة اغتيال الشيخ علي جمعة ٣١٦
بيان عقب العملية الإرهابية في سان بطرسبورغ الروسية ٣١٧
بيان تلفزيوني للأستاذ فتح الله كولن حول اغتيال السفير الروسي بتركيا ... ٣١٨

تقديم

لا يخلّص الإنسان إلا بالامتحان، ولا تَصدُق دعاواه إلا ببيّنة من الواقع وتمحيص من ظروفه وتحدياته. ودعوات الإصلاح ومشاريعه الفكرية الكبرى، في حياتها وسيرتها اللتين تشبهان حياة الإنسان وسيرته، ليست إلا امتدادا لهذا القانون: تتتابع عليها الامتحاناتُ وتتعاقب عوادي الأيام وصروفها فيستبين الناسُ صدقَ دعوتها وسلامة غايتها، ووجاهة أفكارها. ألم يقل إمام الشعراء المحبين رحمه الله:

والدعاوى ما لم تقيموا عليها بيّناتٍ أبناؤها أدعياءُ

تلك سنة ماضية مصداقها دعوات الأنبياء ومناهج العلماء والمفكرين ومشاريع المصلحين، أمس واليوم وغدا ﴿سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾(سورة الأحزاب:٦٢).

لقد اجتازت تركيا في الفترة الراهنة من تاريخا -ولا تزال- مرحلة بالغة الصعوبة، تحملت فيها حركة الخدمة ورائدها الأستاذ محمد فتح الله كولن أقسى صنوف الامتحان، بفعل المظالم التي سُلِّطت عليها، والأباطيل التي ووجهت بها، والافتراءات التي أطلقت في حقها، والتي لم تنقطع طيلة أربع سنوات كاملة، بشكل يعزّ نظيره في حرب دعائية أو حملة تشويه في العصر الحديث.

ولأن تلك المظالم والأباطيل اتخذت محاولة الانقلاب الفاشلة في تركيا ذريعة وحجة، فقد كان من المهم الوقوف عند تلك المحطة بمفارقاتها وآثارها المستمرة.

جاءت المحاولة التي تابع العالم أطوارها ليلة الخامس عشر من تموز/يوليو ٢٠١٦ في سياق خاص، وعلى خلفية تداعيات توتر مجتمعي وخلاف حاد بين الرئيس التركي أردوغان وفريقه في مؤسسات السلطة، وبين حركة الخدمة بريادة العالم التركي البارز محمد فتح الله كولن. كما تميزت الكثيرُ من أحداثها في كافة أطوارها بالغموض، مثيرة جملة من علامات الاستفهام والدهشة، ودافعة إلى المزيد من الشكوك حول مجمل ما التبس بهذه "المحاولة الانقلابية" سواء سياقها الخاص (والسياق مخصِّص كما يقول الأصوليون)، أو وقائعها الغامضة، أو تفاصيلها المثيرة، أو تداعياتها وآثارها المستمرة إلى يومنا هذا.

والحقيقة أن ثمة مفارقة عجيبة أسفر عنها المشهد التركي إثر هذا الحدث، وميّزت التعاملَ مع ملف حركة الخدمة ورائدها الأستاذ محمد فتح الله كولن منذ لحظة تلك المحاولة، تمثلت أساسا في الهوة الواسعة بين أمرين: من جهةٍ حجمُ الاتهامات التي كيلت للخدمة، والادعاءات العريضة التي أطلقت ضد الرجل العالم الذي عرفته تركيا والعالم عقودا طويلة، والاتهامات بالغة الخطورة التي ما فتئت الحكومة التركية بزعامة أردوغان المطلقة توجهها له، والتي ليس أقلها تهمة الإرهاب الشهيرة، وما استتبع ذلك كله من إجراءات ضده وضد آلاف مؤلفة ممن يشكّ في صلتهم به، ومن

محبيه، العاملين في مشاريع حركة الخدمة و الداعمين لها. ومن جهة ثانية حقيقة تلك الاتهامات الكثيرة التي لم يتوقف عندها ولا عند مصدرها أحد، والدقة في إطلاق دعاوى خطيرة بلا بينات ولا أدلة، ومدى صحتها التي لم يكلف مطلقوها في تركيا وكثير من مردديها في العالم العربي أنفسَهم عناء التثبّت منها.

وبما أن مستوى ترديد تلك الاتهامات قد تجاوز مجالس النميمة الحقيقية والافتراضية، والمواقع غير المسؤولة؛ بل تجاوز وسائل الإعلام إلى بعض الشخصيات والرموز المعتبرة، والحركات والتيارات...، فإن أمر منهج الاستيثاق من الخبر، وبناء القناعات والمواقف عليه يصير موضوعا خطيرا وذا أهمية بالغة، وأولوية جديرة بالدراسة والتفصيل والتحرّي في حيز أوسع من هذا.

غير أن الذي يعنينا في هذا المقام هو تسليط الضوء على المفارقة نفسها. فقد حدثت "المحاولة الانقلابية" في تركيا على خلفية توتر مستمر منذ كانون أول/ديسمبر ٢٠١٣ بين الحكومة التركية وحركة الخدمة، سببه ملفات فساد مالي منسوب إلى أبناء مسؤولين ووزراء في حكومة حزب العدالة والتنمية الحاكم، التي اتهمت أنصارَ الخدمة في الجهازين القضائي والأمني بتحريكها لإثارة الرأي العام ضد الحكومة، غير أن أحدا لم يتحدث عن مدى صحة تهم الفساد تلك، وعن سبب منع البرلمان –باستخدام الأغلبية العددية للحزب الحاكم– من فتح تحقيق للتأكد منها، حتى وصل الأمر إلى فصل نائبين من الحزب نفسه قررا التصويت لصالح فتح التحقيق في تلك الملفات المشينة.

ويبدو أن هذه الخلفية هي التفسير الوحيد المتاح بين أيدينا لمسارعة أردوغان في الساعات الأولى "للمحاولة الانقلابية"، ودون انتظار أي تحقيق، إلى توجيه الاتهام المباشر لحركة الخدمة وللأستاذ فتح الله كولن بالوقوف وراءها، في محاولة للاستفادة من السياق لتوجيه أقسى ضربة ممكنة للحركة، تحت غطاء الحدث الذي أثار مخاوف الجمهور وأكسبه مِطواعية أكبر في التجاوب مع أي رد فعل ضد المحاولة، بما في ذلك استمرار حالة الطوارئ، والانتهاكات الواسعة للحريات والحقوق، حتى بدت النوايا الثاوية خلف "المحاولة الانقلابية" تستهدف المسار الديمقراطي بالبلاد، وهامش الحرية والممانعة الأخلاقية للمجتمع، التي تبدّت من بين ما تبدّت فيه، قي اتساع حجم حركة الخدمة، وامتداد مجالات نشاطها وأعمالها لصالح الناس، في قطاعات التعليم والخدمة الاجتماعية والإعلام والنشر والنشاط الاقتصادي ومختلف أوجه العمل الأهلي. مما دفع البعض إلى التشكيك في حقيقة تلك المحاولة بالقول: إن الانقلاب الحقيقي هو الذي بدأ بعد ليلة الخامس عشر من تموز/يوليو!

لا يختلف الكثيرون اليوم في كون ذاك الحادث وما تلاه كانا محطة شديدة الإيلام في تاريخ تركيا الحديث، بالنظر خصوصا للأرواح التي أزهقت فيه وأزهقت بعده، ولكمّ المظالم التي اقتُرِفت باسم معاقبة مسؤولين لم تثبت مسؤوليتهم عنه. ولعل الصورة التي ترصدها منظمات الدفاع عن أوضاع حقوق الإنسان وانتهاك كرامة المواطنين في البلاد وفي ملاحقتهم خارجها تكفي مستزيدا من زيادة، غير أن الاثار التي خلفتها تلك الإجراءات الظالمة على

تركيا ومستقبلها، وعلى لحمة مجتمعها ونسيجه الذي كاد يتهتك، لا تقلّ خطورة عن آثارها المباشرة على المواطن. فحالة الخوف والشك السائدة بين الناس، وحتى بين الأقارب والجيران منهم، وانتشار الوشايات الكاذبة بين الناس بعضهم ببعض مخافة الاعتقال أو قطع الأرزاق أو مصادرة الممتلكات، أو حتى إبعادا للشبهة[1] كلهم مؤشرات على الخسارة الفادحة في سلامة المجتمع وأمانه الداخلي التي تكبدتها تركيا من ذلك الحدث الغامض.

أما عن وقف التقدم الذي حققه المجتمع بمؤسساته المدنية، وضرب إنجازاته التي تراكمت على امتداد عقود من العمل التطوعي، فذلك حديث آخر، هو في عمقه حديث عن ضيق السلطة بالناس وحيويتهم، وتبرم السياسي من المجتمع وتعبيراته.

لنقف الآن مع الجزء المقابل من المشهد، فنحاول البحث في ماهية الأدلة "الدامغة" التي استحق بسببها مئات الآلاف من الناس أن تُشَنّ ضدهم حرب شعواء، أدواتها إجراءات الاختطاف والسجن الذي لم يوفّر الأمهات مع أطفالهن الرضع، والطرد من الأعمال وقطع الأرزاق، والملاحقات والإيذاء النفسي والأسري والتشهير، وتغوّل أجهزة الدولة على الناس وحقوقهم في ظل حالة الطوارئ... هذا كله فضلا عن مطالبات الحكومة التركية ورئيسها التي لم تتوقف

---

(١) يتناقل الناس قصص عصابات تبتز الناس في أموالهم تحت تهديد التبليغ عنهم باعتبارهم من "الكيان الموازي"، التهمة التي أضحت رَهابا تعاني منه سلطة الحكم في البلاد، ووسواسا تسرب إلى عقول الناس من الدعاية المكثفة التي يمارسها الإعلام بأغلبيته الساحقة، بعد أن تم تأميمه بالمصادرة أو الشراء، أو تكميمه بالملاحقات والأحكام.

طيلة تلك المدة بتسليم الأستاذ محمد فتح الله كولن من معتكفه الاضطراري في الولايات المتحدة.

لا يحب كاتب مهما كان موقفه مما يجري أن يبدو المشهدُ في بلاده بمثل تلك الحالة السوريالية الباعثة على الأسى، لكن الحقيقة المؤلمة أن نتيجة البحث عن الأدلة والحجج هي في الواقع لا شيء! نعم لا شيء على الإطلاق!

فقد رفع الأستاذ كولن قُفّاز التحدي في وجه الرئيس التركي وحكومته أن يثبتوا تهمة واحدة من تهم مسؤوليته المزعومة أو مسؤولية حركة الخدمة عن "المحاولة الانقلابية" أو الارتباط بها بأي شكل، فلم يستطيعوا أبدا أن يأتوا بشيء. وهذا الكلام هو ما أكدته الإدارة الأمريكية التي طولبت مرارا بتسليم الرجل في مناسبتين على الأقل:

الأولى: عندما أكدت أنها لم تتسلم من تركيا -برغم مطالبتها بذلك- أيّ أدلة تثبت اتهاماتها للأستاذ كولن بالمسؤولية عن الحدث.

والثانية: عندما أعلنت أنها تسلمت من الحكومة التركية طلب تسلمه لأسباب لا علاقة لها "بالمحاولة الانقلابية".

وخلال تلك المرحلة لم تتوقف كلمات الأستاذ محمد فتح الله كولن في دروسه ومواعظه، أو في حواراته لوسائل إعلامية دولية، أو ضمن بياناته التي وجهها للرأي العام كلما اقتضت الضرورة ذلك. وفي مجمل قوله أو كتابته خلال هذه المرحلة تجلى الأستاذ على الناس، محبيه منهم أو معاديه، بطراز فريد من الخطاب، لم يتميز بعمقه الروحي والفكري فحسب، ولا بأفقه الكوني وحضوره المؤثر على المستوى العالمي فقط، بل كذلك بسموّ شواغله واهتماماته، وإشفاقه

على وطنه وأمته، بل وعلى الإنسانية ومستقبلها، وبقيمه الثابتة، ورقيّه الذي لم يتبدل في شيء، وأدبه الذي لم تنل منه إساءة ولا إسفاف.

وفي فقرات الكتاب الذي بين أيدينا يعالج الأستاذ قضيتين مركزيتين ألحّتا عليه بلسان المرحلة وحاجاتها: الأولى قضية المظالم التي عاش عليها وطنُه طيلة المرحلة الماضية، والتي جمعت إلى التشويه والإساءة، تلفيقَ التُّهَم الباطلة وأخذَ ألوف من الناس بالظنون الكاذبة والهواجس.

أما الثانية فمعضلة العنف والإرهاب الذي لم يضرب هذه المرة وطنَه الصغير فحسب، بل عالما كبيرا يسعه قلبُه كما لم يسعه هو إذ طورد فيه، وآثر النفي في أرجائه اختيارا، ثم لم يَسلَم بعد ذلك من الأذى في أحط صوره، والبهتان الذي تشيب من هوله الولدان.

لقد بات سرطان العنف الذي يهاجم جسم العالم في أعصابه وخلاياه، تحديا يواجه الإنسانية في عالم اليوم، يقتضي واجبُها الأخلاقيُّ المشترك أن تبحث في جذوره العميقة لتعرف كيف تقتلعها، وأسبابه الحقيقة في اختلال العدالة وغياب الحقوق فتعالجها. أما بالنسبة للمسلمين فإن هذا الوباء العالمي لم يعد يسيء إليهم فحسب بوصفهم مجتمعات ذات نمط حياة وثقافة، ويحدّ من إمكانات اندماجهم في مجتمعاتهم، ويشين صورتهم في سائر أنحاء العالم؛ بل أضحى يهدد وجودهم ومستقبلهم.

لذا كان الأستاذ محمد فتح الله كولن في طليعة مفكري العالم وعلماء الإسلام الذين وقفوا من تلك الآفة موقفا مبدئيا واضحا في إنكارها ورفضها بلا تحفظ أو قيد ولا شرط، مطلِقا عبارته الشهيرة

"المسلم لا يمكن أن يكون إرهابيا، كما أن الإرهابي لا يمكن أن يكون مسلما".

غير أن روح المسؤولية الوثّابة لم تدعه يكتفي بإبداء الموقف الديني والإنساني، ويكرره بكل لسان وفي كل مقام، بل يجاوزهما إلى الدعوة إلى التعاون في مواجهة الظاهرة واقتراح الحلول، مقدِّما رؤية معرفية مؤسِّسة لنموذج حضاري ومجتمعي للمواجهة بل الوقاية من مخاطر انجراف الشباب وراء فكر العنف ودعاوى الإرهاب. والحقيقة أن أفكارا كثيرة تضمها حواراته وبياناته في هذا الصدد، المنشورة في هذا الكتاب، تستحق بحوثا فاحصة ودراسات دقيقة، للإفادة منها على طريق تعاون عالمي، يتحمل المسلمون فيه نصيبهم من مسؤولية مواجهة مخاطر العنف والإرهاب، التي لا تخص وطنا أو منطقة، بل تحدق بجميع أفراد العائلة الإنسانية.

إنه لا حل لمعضلة العنف إلا بمشروع حضاري، جوهرُه إعادة بناء الإنسان على شروط الوراثة والاستخلاف والعمران، التي وجد حسب رؤية القرآن لتحقيقها، مشروع يستجمع طاقات عالم المسلمين في اتجاه فعل إيجابي راشد وقاصد، يتصالحون فيه مع عصرهم وعالمهم ويسهمون في تعزيز السلم والتعاون في كل جزء من أجزائه.

وليست حركة التطوع الواسعة التي دعا إليها وشجع الناس على الإسهام فيها منذ نهاية الستينات من القرن الماضي، والتي عُرِفت على الصعيد العالمي بحركة الخدمة سوى فهم إيجابي لمفهوم الجهاد، الذي يتجه وفق هذه الرؤية لاستثمار طاقات مئات الآلاف

من الشباب المسلم من تركيا والعالم في مواجهة الأعداء العالميين للإنسان وهم الفقر والجهل والصراع بالتنمية والتعليم والحوار، بدل مواجهة الناس بعضهم بعضا؛ وإشاعة قيم التضامن والسلم بينهم من خلال برامج التواصل ومشاريع الإغاثة، بدل إبقائهم عرضة لمشاعر الكراهية وسوء الفهم المتبادل، المولِّدة حتما لمظاهر العنف.

ولعل واحدة من القضايا الهامة التي يسلط الكتاب الضوء عليها، هي النموذج الذي تمثله حركة الخدمة في التغيير الاجتماعي، والتعامل مع الإشكالات الحضارية في عالم اليوم. وتزداد أهمية بيان هذا النموذج في ظل حالة التشويه المتعمَّد الراهنة لها، وكمّ المعلومات المضلِّلة التي تُطلَق حولها في وسائل الإعلام ووسائط التواصل في سياق الأزمة الحالي. فإذا كان نموذج السلطة السياسية الذي يرفع شعارات الإسلام السياسي قد أدى خلالها إلى استنزاف للمجتمع كما رأينا، فإن النموذج الحضاري المجتمعي ظل حريصا على المجتمع وسلامته حتى عندما كان المقابلُ تضحياتٍ قدّمها من نفسه وأبنائه ومكتسباته لصالح الناس في بلاد كثيرة.

وهذا الكتاب، بما تتضمنه حواراته وبياناته من مواقف واضحة لا لبس فيها، وأفكارٍ عميقة الجذور في حضارتنا وميراثنا المعنوي، واسعةِ الأفق في رؤيتها لعالمها ومستقبله المشترك، هو عرض نموذجي لتلك الرؤية الحضارية المجتمعية، وخاصة في تفاعلها مع الواقع والتباسها بأحداثه؛ بل هي تَمثُّلٌ حيٌّ لتلك الرؤية في زمن المحنة وسياقاتها الاستثنائية المريرة، لأنها تعكس سلوك المفكر واتجاهات الفعل الجماعي المؤسَّس على فكرة الإصلاح زمن الامتحان، الذي

كثيرا مّا يَحكُم فيه الانفعالُ الفعلَ، وتُغالِب أحداثُه الواقعيةُ الرؤيةَ الناظمة والقيمَ السلوكية للدعوات والرؤى ومشاريع الإصلاح.

وإذا كانت كتب الأستاذ محمد فتح الله كولن الأخرى، والمترجَمة منها للعربية خاصة -وهي والحمد لله كثيرة متوافرة- قد منحتنا فرصةَ الاطلاع على ذلك النموذج ودراسةِ هذه الرؤية زمنَ التآلف والبسط، فإن هذا الكتاب يمنحنا ذات الفرصة زمن التضييق والقبض، وهي ولا شك فرصة ثمينة جديرة بالاقتناص.

إن هذا الكتاب رسالة قوية واضحة للنخب العربية حول الحدث التركي وتداعياته، لكنه بالخصوص بيان للحقيقة وشهادة للتاريخ، لكل من اتخذ موقفا على غير بينة، أو سارع إلى الإساءة دون ترو، أو انسلك في حمأة العواطف التي يديرها أصحاب المصالح ضد "الخدمة" ورائدها، وهي رسائل لا بد أن تقرأ وتستوعب، إن عاجلا أو آجلا. والذي نرجوه أن يتم ذلك قبل فوات الأوان. أما صاحب هذا الكتاب فيكفيه أنه يحمل للناس كلمات صدق، يردد معها قولَه تعالى ﴿مَعْذِرَةً إِلى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

نوزاد صواش

١٠ يوليو ٢٠١٧

نبذة مختصرة عن الأستاذ فتح الله كولن وحركة الخدمة

الأستاذ فتح الله كولن

عالِم ومفكِّر تركي ولد سنة ١٩٣٨، ومَارَسَ الخطابة والتأليف والوعظ طِيلة مراحل حياته، له أَزْيَدُ من ٧٠ كتابا تُرْجِمَتْ إلى ٤٠ لغة من لغات العالم. وقد تَمَيَّزَ منذ شبابه المبكر بقدرته الفائقة على التأثير في مستمعيه، فدعاهم إلى تعليم الأجيال الجديدة من الناشئين والشباب، وَبَذْلِ كلِّ ما يستطيعون في سبيل ذلك. اتسع مدى تأثيره إلى خارج تركيا، فانتشر طلابه ومحبوه في ١٧٠ دولة عبر العالم.

ويتميز خطابُه الدينيُّ والفكريُّ بالدعوة إلى السلم العالمي من خلال الحوار بين الثقافات وبين أتباع الديانات المختلفة، حيث حصل على جائزة غاندي العالمية للسلام عام ٢٠١٥، كما صنَّفتْه مجلة "فورين بوليسي" الأمريكية في استطلاع لها عام ٢٠٠٨ نُشِرَ بالتعاون مع مجلة "بروسبيكت" البريطانية واحدا من أهم الشخصيات العامة المؤثرة في العالم.

ما هي "الخدمة"؟

الخدمة حركة مدنية تربوية ومجتمعية ظهرت في تركيا عام ١٩٦٦، على أساس أفكار واجتهادات العالم والمفكر فتح الله كولن.

وقد أُطْلِقَ عليها اسم "الخدمة" نظرا لطبيعة أنشطتها القائمة على خدمة الإنسانية في مجال التربية والتعليم. وقد ظهرت أول مؤسسة أنشأتها لاستقبال الطلبة بتأثير من أفكار الأستاذ كولن سنة ١٩٧٤ في مدينة إزمير، ومنها إلى بقية أنحاء تركيا، حيث تُعَدُّ الخدمةُ اليوم واحدة من أكثر الحركات المدنية انتشارا.

ومع بداية التسعينات وبفعل الحاجات التربوية والتعليمية والاقتصادية لأبناء دول آسيا الوسطى التي خرجت من سلطة الاتحاد السوفياتي، امتد نشاط المتطوعين من أبناء الخدمة –وخاصة المعلمين والتجار– إلى هذه الدول، ودول البلقان ودول أخرى عديدة.

وخلال ربع القرن الأخير انتشر نموذج حركة الخدمة بدافع النجاحات التي حَقَّقَها، في أغلب الدول على امتداد القارات الخمس، حيث إن للخدمة اليوم أنشطةً وبرامج تعليمية وثقافية وغيرها في نحو ١٧٠ دولة عبر العالم.

رسالة حركة الخدمة

تتلخص رسالة الخدمة كما تُعبّر عنها كتب وأفكار الأستاذ فتح الله كولن المنشورة خلال الأربعين سنة الماضية في بناء الإنسان وإعداده تربويا وتعليميا وفكريا، حتى يكون مُؤهَّلا لإسعاد نفسه، ومساعدة غيره، ورقي مجتمعه، وتقدم بلاده؛ وليتشبع بقيم التعايش والحوار فيكون عنصر سلام في عالمه.

رؤية حركة الخدمة في التغيير

تتلخص رؤية حركة الخدمة لبلوغ رسالتها في التركيز على العمق

المعنوي والحضاري والمجتمعي للإنسان، حيث لا تشتغل بالعمل السياسي لأنها تَعْتَبِرُ التنافس على السلطة منهجا غيرَ مناسبٍ لتحقيق غاياتها الكبرى، المتمثلةِ في محاربة ثلاثة أعداء عالميين، هم الفقر والجهل والصراع بمختلف أشكاله، عن طريق التربية والتعليم والأنشطة الاقتصادية والإغاثية والتركيز على برامج الحوار في كل مكان من العالم.

وسائل حركة الخدمة

تتمثل الوسائل التي تستثمرها حركة الخدمة لتحقيق غاياتها في العمل الإيجابي البنّاء من خلال المجالات التالية:

• التعليم، ببناء المدارس والجامعات وإقامات الطلبة ومراكز الدعم المدرسي.

• الإعلام والنشر والثقافة والفنون، بتأسيس دور نشر الكتاب وإصدار الصحف والمجلات وتنظيم الندوات والمحاضرات وإقامة المعارض والمهرجانات الثقافية والفنية التي تُعَدُّ وسيلةً لتعارف الشعوب وتلاقُح الثقافات.

• برامج الحوار بموضوعاته ومجالاته المتنوعة وبين مختلف الفُرَقاء عبر دول العالم.

• الأنشطة الاقتصادية، بتشجيع الناس على الكسب الاقتصادي ومساعدتهم على امتلاك الخبرات في هذا المجال، ليتمكنوا من مساعدة غيرهم من المحتاجين، والاستثمار –بدورهم– في ميادين التربية والتعليم.

• العمل الإنساني والإغاثي، حيث تمتد أنشطة جمعية "كيمسه

يوكمو" (هل من أحد؟) وأمثالها من المؤسسات التي أسسها المتطوعون من أبناء الخدمة في عدد من الدول في آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية.

وتتميز المؤسسات القائمة على هذه المناشط بالاستقلالية التامة عن بعضها، وعدم وجود علاقة تنظيمية بينها قائمةٍ على العضوية، بل على نسق مفتوح، مبنيّ على استلهام فكر الأستاذ فتح الله كولن. وتعود تلك المؤسسات لأشخاص أو شركات خاصة أو جمعيات مدنية مستقلة أسسها متطوعو الخدمة.

إنجازات حركة الخدمة

بلـغ عدد المدارس التي أسسها المقتنعون بأفكار حركة الخدمة داخل تركيا (قبل أن تغلقها القيادة التركية قسرا) وخارجها حوالي ٣٠٠٠ مدرسة، وعدد الجامعات ٣٠ جامعة في دول كثيرة، ويتخرج من هذه المؤسسات التعليمية آلاف الطلاب الذين يستجمعون في تكوينهم البُعدَينِ المعرفيَ والقيميَ، وتَترسَّخ فيهم سلوكيات السلم وقبول الآخر والتعايش الإيجابي، حيث يدرس في تلك المؤسسات طلابٌ من مختلف الجنسيات والأديان والأعراق والطوائف عبر العالم، إلى درجة أنها تُعتبر "جزر سلام في عالم متوتر"، خصوصا في بعض مناطق الحروب والتوترات.

كما يقدم متطوعو حركة الخدمة خدماتٍ إغاثيةً وطبيةً ومساعداتٍ إنسانيةً في مناطق الكوارث وبُؤَر التوتر، والدول التي تعرف خَصَاصا لهذه الخدمات في آسيا وإفريقيا حيث تعمل مؤسسة " هل من أحد؟" وشقيقاتها من المؤسسات المشابهة.

بالإضافة إلى أنشطتها المتنوعة في المجال الاقتصادي حيث تنشط في ربط علاقات الصناعيين ورجال الأعمال الأتراك بالعالم، وأنشطتها في مجال تعليم اللغات والبرامج التعريفية بحضارات وثقافات المجتمعات المختلفة، فإن حركة الخدمة تُعَدُّ اليوم نموذجا عالميا رائدا في مجال تثبيث السلم العالمي من خلال الحوار الديني والثقافي، وتجربة رائدة تستلهمها دول ومؤسسات مَعْنِيّة بهذا المجال.

حركة الخدمة والاتهامات الحالية لها

اجتاز الأستاذ فتح الله كولن والمتطوعون في حركة الخدمة والمتعاطفون معها ظروفا قاسية بسبب الادعاءات الظالمة التي وُجِّهَتْ إليها، وافتراءاتِ وقوفها خلف "المحاولة الانقلابية" التي جرت في تركيا صيف عام ٢٠١٦، وما تلا ذلك من ألوان الاضطهاد والظلم التي تَعَرَّضُوا لها. وهذه الظروف هي من جهةٍ، مُنَاسَبَةٌ لاختبار رؤيتها وسلوكها في كل الحالات بما في ذلك أصعبها.

فمن الدروس المستفادة من هذه التجربة: استمرارُها في العمل الإيجابي، الذي يحقق رسالةً ساميةً آمنَ بها أبناؤها ونذروا حياتهم لتحقيقها، وذلك في كل مكان ومجال متاح. الدرس الآخر هو التزامها الثابت –برغم تلك الظروف–بالخط السلمي الذي آمنتْ به ودعتْ إليه دائما، وعدمُ الانجراف إلى الصراع بأي شكل من أشكاله: سواء العنيف أو السياسي. كما تُمَثِّلُ مقابلةُ المظالم بالالتزام بالقانون من قِبَل حركة الخدمة، والإصرارُ على الاحتكام إلى المؤسسات الشرعية درسا بليغا آخر في هذا السياق.

حوارات وسائل الإعلام العربية

الوطن

صحيفة يكتبها القارئ

لا يمكن التسامح نهائياً مع أي انقلاب على الديمقراطية، لم أسوّغ ذلك، ولن أسوّغه ما حييتُ. كنت دائمًا ضد الانقلابات، ألعنها وألعن من يشارك فيها. لقد أمضيتُ حياتي كلها أعاني من الانقلابات وأتعرض لضغوطات بسببها. ما من خير يتمخض عنها، فهي تؤدي إلى تقسيم المجتمع ومعاداة الناس بعضهم بعضا كما يحدث اليوم في تركيا.

إنني أعيش بإرادتي الذاتية حياة منزوية في قرية صغيرة بالولايات المتحدة الأمريكية منذ سبعة عشر عاماً. بناءً على ذلك، فإن الزعم بأنني قمت بإقناع ثامنِ أكبر جيشٍ في العالم، وعن بُعد ١٠,٠٠٠ كم بتنفيذ انقلاب ضد حكومة تركيا ليس سوى افتراءٍ لا يمتّ إلى العقل بصلة.

حوار جريدة الوطن المصرية مع الأستاذ فتح الله كولن[1]

س: من هو فتح الله كولن؟

ج: إنسان عادي، رأسماله الوحيد هو أنه لم يسجد لغير ربه تعالى، ويتمنى أن يقبله ربه عبدًا له.

س: أنتم على رأس حركة كبيرة تسمى الخدمة، فما دوركم فيها؟ وكيف تشكلت؟

ج: أستغفر الله، لست رأسًا أو شيئًا من ذلك، أنا أعتبر وجودي كفرد في دائرة هذه المجموعة التي يُعبَّر عنها في الغالب بـ"الخدمة" أو "حركة المتطوعين" أو "الجامعة" من نعم الله تعالى عليَّ.

أما الشق الثاني من السؤال، فقد شهد أوائلُ النصف الثاني من القرن المنصرم تقلبات جذرية في الدين والفكر والأخلاق والثقافة، وكان لها تأثيرها الحاد على الجيل كله، شهدنا أثرَها في التراجع الحاصل على كافة الأصعدة في جميع دول المنطقة. ومن ثم باتت الحاجة ملحة لتنشئة جيل يكون مجهزًا بالعلوم الكونية، ومستمسكا بالقيم الدينية، ومحترِما للقيم الإنسانية؛ جيلٍ متدفقٍ بالأمل والعزيمة، ومتحلٍّ بالفكر

---

[1] تم نشر هذا الحوار في صحيفة الوطن المصرية في حلقتين، الأولى في ٩ أبريل ٢٠١٧، والثانية في ١٢ أبريل ٢٠١٧. وقد أجرى الحوار الصحفي محمد حسن عامر.

الإيجابي، متمتع بقدرات يستطيع من خلالها إيجاد حلول لأزمات الإنسان، بالإضافة إلى سعة أفقه ومعرفته بما يجري في العالم.

وشاء القدر الإلهي أن أكون في ضمن طليعة مباركة بذلوا جهودًا رائدة محتسبين أجرهم عند الله تعالى، وكان دوري في هذه الطليعة أن أبين للناس أهمية الحاجة إلى تنشئة مثل هذا الجيل ومدى معقولية المؤسسات القائمة على ذلك ونافعيّتها للإنسانية كافة. فنحن نرى أن أهم داء أصاب أمتنا في الفترات الأخيرة هو داء الجهل وحرمان ناشئتها من التعليم المنفتح على الآفاق الكونية والأخلاقية، ومن ثم فالتعليم هو الدواء الأمثل لهذا الداء.

ولعل وظيفتي كواعظ وداعية في المساجد كان لها العامل المؤثر في اكتساب هذه الأفكار زخمَها، حيث حركت بعض المقتنعين بهذه الأفكار إلى أن يحوّلوها واقعًا حيًّا يتجسد أمام الناس، ثم قمنا بترتيب لقاءات ومحاضرات وندوات في النوادي والمقاهي والساحات العامة والجامعات المختلفة سواء في داخل البلاد أو خارجها، حتى لا يقتصر بياننا لهذه الأفكار على جمهور المساجد فقط. واقتنع كثير من هذا الجمهور بأهمية رعاية الشباب وحمايتهم من الوقوع في براثن التطرف والإرهاب من جهة، ومن السقوط في فخ الانحلال الديني أو الأخلاقي من جهة أخرى.

وبعد أن شعر هذا الجمهور بمنطقية هذه الأفكار وآمنوا بصدقيتها، بادروا إلى إنشاء أول مؤسسة سكنية طلابية تقوم برعاية الطلاب المغتربين، ثم توالت المؤسسات التعليمية الأخرى تلبية لحاجة المجتمع حتى وصلوا إلى إنشاء الجامعات.

س: يعتبركم بعض الناس من أغنى الحركات الإسلامية في العالم فما مصادر التمويل لديكم؟

ج: الغنيّ هو الله، لقد كان القضاء على مشكلات الجهل والفقر والتفرقة في العالم الإسلامي هو المحفّز لنا للتحرك في مشاريع الخدمة. وفي سبيل القضاء على المشكلة الأولى قام أهل الهمة -من الذين اقتنعوا بأفكار الخدمة- بالمسارعة إلى إنشاء مؤسسات تعليمية مختلفة.

ثم تراءى لهؤلاء الخيّرين أن يُفعّلوا وعيهم الجمعي المشترك هذا في سبيل مكافحة الفقر والبطالة اللذين يعاني منهما قطاعات عريضة في مجتمعاتنا ويؤثر على استقلالنا الذاتي وقيمنا الأخلاقية. وفي سبيل الحفاظ على مشاريع الخدمة وتنميتها، أسس هؤلاء التجار شراكات ثنائية وثلاثية وأحيانا رباعية، وأدمجوا بعض الشركات في أحايين أخرى، وبدأوا يفكرون في الخروج من أقاليمهم الصغيرة إلى نطاق أرحب لتوسيع فرص الاستثمار والعمل. ومن جانب آخر فطنوا إلى أهمية الاستثمار في الدار الآخرة، وتعلموا سبل الإنفاق في سبيل الله وصاروا أعلاما في البذل والإنفاق من أجل الله عز وجل، فلم يكن الواحد منهم يقتصر على أداء الزكاة المفروضة عليه في ماله فقط، بل كانوا ينفقون لتحقيق مشاريع الخدمة حدًّا يقارب نصف أموالهم أو أكثر. وكانوا يحرصون في الوقت ذاته على توسيع تجاراتهم واستثماراتهم من أجل زيادة حجم الإنفاق في سبيل الله. وبفضل هؤلاء فُتحت مدارس في شتى أنحاء العالم، بالإضافة إلى تأسيسهم جمعيات إغاثية مثل جمعية "كيمسه يوكمو" التي اشتهرت

بتقديم المساعدات إلى كل المحتاجين في أرجاء العالم، وعلى رأسهم المحتاجون في بلادنا. وكثير من هؤلاء صادرت القيادة الحالية جميع أمواله بتهمة تقديم الدعم لمشاريع الخدمة، وقامت باعتقاله هو وبعض أفراد أسرته بلا تهمة أو دليل أو حتى محاكمة عادلة، ولم يشفع لبعضهم تجاوزه السبعين من العمر ومعاناته من أمراض الشيخوخة.

س: ذكرتم أن من أهدافكم القضاء على مشكلة الصراعات والنزاعات فكيف تُفعّلون ذلك؟

ج: لقد أكدت طوال حياتي على فضائل التسامح والحوار والتعايش المجتمعي، وانطلقتُ من قاعدةِ: "افتح صدرك للجميع، افتحه أكثر ما تستطيع" وقاعدة "أَشعِرْ الناس أن في قلبك لكل واحد منهم متكأً". وهذا المنهج في التعايش ليس بدعًا في القول ولا العمل، بل هو منهج نبوي أصيل طبقه النبي ﷺ وخاصة في وثيقة المدينة المنورة مع الذين كانوا يحملون أفكارا مختلفة.

ثم بدأنا فعاليات دعونا فيها الجميع إلى نبذ الخلاف والعصبية والاجتماع على كلمة سواء بيننا. انطلقت هذه الفعاليات من تركيا منتصف التسعينات من القرن المنصرم، ودعونا فيها إلى التعاون للخلاص من الانقسامات التي تعاني منها بلادنا سواء بين العلمانيين والمتدينين أو بين العلويين والسنيين أو غيرها من أشكال الانقسامات.

وقد لاقت هذه الجهود ترحيبًا شعبيًا واسعًا، والتقى على مائدة واحدة أناسٌ كانوا بالأمس القريب لا يعرفون سوى لغة التحزب والعصبية الطائفية، فصاروا يناقشون قضاياهم بكل هدوء وبلغة راقية.

وقد حمل أبناء الخدمة أصداء هذه الفكرة إلى كل مكان رحلوا إليه أو أسسوا فيه مؤسسات تعليمية وتربوية.

فكلنا نعلم بالطبع أن مشكلة الخلاف ليست قاصرة على مناطقنا فقط، فكل المناطق في العالم تعاني من مرضِ تأجيج الخلافات بين الناس وإثارة التصادم بينهم، والإنسان في الواقع هو من يصنع هذه المشاكل، فحيثما وُجد الإنسان فإن المشاكل تتشابه والحلول أيضا لا تختلف.

وقد تبين للناس من شتى الألوان -بعد الاطلاع على هذه الخبرة- أن الاختلافات لا تؤدي بالضرورة إلى نزاعات، بل إذا قوبلت برحابة صدر فإنها تتحول إلى ثراء في المجتمع.

لقد أسهمت المؤسسات التعليمية والتربوية التي أسسها أبناء الخدمة في نحو ١٧٠ دولة من دول العالم في ترسيخ هذا المبدأ، خاصة في المناطق التي تعاني من هذا الداء؛ ففي جنوب "الفيليبين" مثلا فتح محبون للخدمة مدرسة اسموها "مدرسة التسامح الفيليبينية"، وهي تتواجد في منطقة يقطنها ٥٠٪ من المسلمين و٥٠٪ من المسحيين، ويغلب على هذه المنطقة طابع التوتر والتجاذب بين هؤلاء الأطياف. لكن المدرسة تعطي التلاميذ الفليبينيين مسلمين ومسيحيين دروسًا إيجابية وذات جودة عالية في كيفية التعايش مع الآخر. ويعمل فيها كوادر محلية من المسلمين والمسيحيين على السواء، وكذلك الأمر في البوسنة والهرسك بين البوسنيين والصرب والكروات، وفي إقليم كردستان بين الأكراد والعرب والتركمان والقوميات الأخرى، وفي مناطق أخرى من العالم نجحت بفضل الله

تلك المدارس في تأسيس هذه القيمة ورعايتها والقضاء على القبح الناتج عن التهميش والإقصاء.

لكن ما يحز في النفس الآن أن الحكومة التركية بعد إغلاقها لكافة المؤسسات في تركيا تبذل كل جهدها وتنفق أموال الشعب للعمل على إغلاق هذه المؤسسات في الخارج بدلا من الاهتمام بمشكلاتها الداخلية، والتصدي لظاهرة الإرهاب التي بدأت تتنامى في الفترات الأخيرة وتحصد الأرواح بلا وازع من دين أو إنسانية.

س: هل أنتم تنظيم هرمي؟ وأنتم على رأس هذا التنظيم؟ أو ما طريقة عمل المجموعات المختلفة في الحركة؟

ج: لا يمكن لأحد أن يصف حركة الخدمة بالتنظيمية أو الهرمية على النحو الذي يقصدونه. والدليل على ذلك تعددية الانتماءات في هذه الحركة. وإنما نستطيع أن نصف الخدمة بأنها حركة لمجموعة من المتطوعين بالمنطق القرآني المرتبط بمعقولية الفكرة، فالذين استوعبوا فكرة الخدمة وآمنوا بنجاعتها في القضاء على مشكلات الإنسانية، يبذلون في سبيل خدمة الإنسانية كل غال ونفيس لديهم. وهم لا يقومون بهذا البذل والعطاء والتضحية لأنهم منسوبون إلى هذه الفئة أو تلك، بل لإيمانهم بأن مشاريع هذه الخدمة تتسم بالمعقولية والنافعية، ومن شأنها أن تقضي على الآفات الثلاث التي تعاني منها الإنسانية وهي الجهل والفقر والنزاع. وهم في اتجاههم هذا يوجهون القصد إلى الله تعالى بغية مرضاته والفوز بالسعادة في الدار الآخرة، ولذلك فالمحرك الإيماني يضفي على المؤمنين منهم بعدًا أخرويًا يحدوهم في مسيرتهم.

أما آلية عمل هذه المجموعات الخدمية فهي تعمل من تلقاء نفسها، لا انطلاقًا من مركزٍ أوحد، وذلك على الرغم من احتفاظها بمجموعةٍ من الروابط التي تربطها بالمجموعة ككلٍّ من خلال تداول المعلومات وتبادل الأشخاص المهنيين داخل إطار الحياة العامة وبالتشاور البيني المؤسسي وتبادل الخبرات والتجارب.

بصراحة: هل يريد كولن أن يحكم تركيا؟

ج: لقد كان عزوفنا -منذ البداية- عن العمل السياسي والحزبي اختيارًا فرضناه على أنفسنا، ولم نسمح لأنفسنا قط بتغيير هذا الموقف مهما كانت العروض والمغريات. لقد سنحت فرص كثيرة للحصول على مناصب وممارسة الحكم، وعُرضت علينا مناصب حكومية في فترات مختلفة، لكننا لم نستجب لأي من هذه العروض.

لقد كان لنا غاية واحدة ركزنا عليها ووفرنا كل طاقاتنا في سبيل تحقيقها، وهي تحقيق رضا الله عز وجل من خلال تنشئة مواطنين صالحين متحلين بالفضائل، ونافعين لوطنهم وأمتهم والإنسانية، وبذل الجهود المشتركة في سبيل القضاء على أعدائنا الثلاث وهي الفقر والجهل والنزاع.

ومن أجل تحقيق هذه الغاية لم نسمح لأي وسيلة دنيوية أن تشتت جهودنا، أو أن تشغلنا عن المضيّ قدمًا نحو هذه الغاية، ووقفنا موقفًا صارمًا ضد الطموح الدنيوي أو السياسي لدى أبناء الخدمة.

ونحن في إجراءاتنا العملية وفعالياتنا المختلفة داخل تركيا وخارجها لم يرصد أحد ضدنا أي نوع من هذه الأشياء التي يدَّعونها علينا. لقد كنا نعمل تحت سمع وبصر كل الجهات الرسمية والإدارية

في كل بلد، وكانوا يراقبون أعمالنا مراقبة صارمة، ولم يسجلوا ضدنا أي مخالفة منذ التسعينات حتى الآن، بل حصلت المؤسسات التربوية والتعليمية على جوائز وشهادات تقدير لإسهامها في رفع مستوى الطلاب التعليمي، وشجّعونا وعرضوا علينا المساعدة في تسهيل إجراءات فتح مؤسسات جديدة. وهذا مؤشر واضح على أن العالم يعرف أبناء الخدمة جيدًا، ويستشف نواياهم من خلال الثمار الطيبة لمدارسهم، والأهم من ذلك كله أنه يثق بهم. إننا نؤمن بأن رضا الله تعالى بالنسبة للمؤمن لهو أغلى من الدنيا وما فيها. وإننا نبتغي هذا الرضا من خلال الالتزام بخط كفاحنا هذا.

س: ما علاقتكم بمحاولة الانقلاب الفاشلة التي جرت في ١٥ يوليو ٢٠١٦ بتركيا؟

ج: ليس لي أي علاقة بما جرى من قريب أو بعيد. والعجيب هو محاولة إلصاق هذه التهمة بشخصي رغم تنديدي بها في اللحظات الأولى من وقوعها. ومع إصرارهم المستمر على الاتهام، لم يستطيعوا أن يقدموا دليلاً واحدًا ولو صغيرًا، لقد تقدموا إلى الولايات المتحدة بملفات متعددة وضخمة في طلب تسليمي. ورغم كثرة هذه الملفات وضخامتها لم تحتو على أي دليل يثبت كلامهم، حتى فقدوا مصداقيتهم لدى الأمريكان، وباءوا بالفشل والخذلان أمامهم.

لقد باتت اتهاماتهم لشخصي بالذات، ولأبناء الخدمة عموما مجرد دعايات إعلامية رخيصة ليس لها أي سند من الواقع أو من القانون، وغدت وسائل إعلامهم ببغاوات تردد ما يمليه عليهم أردوغان وحاشيته.

س: إذن لماذا وصفتم هذه المحاولة الانقلابية الفاشلة بالمسرحية؟

ج: بالتأكيد هي مسرحية، أو إن شئت سمّها سيناريو معدّ سلفًا، ولا يعني أبدًا وصفي إياها بالمسرحية هو أنني أستهين بتلك الأرواح التي راحت ضحية للعبة قام بها بعضُ "المستهترين" من أجل تحقيق أهداف زائلة، بل على العكس أنا في أشد الأسى على فقد هذه الأرواح الغالية، وأدعو من الله أن يمنّ عليهم بسابغ رحمته.

لكن عندما نتأمل أفعال وتصريحات المسئولين وعلى رأسهم أردوغان بعد هذه الأحداث المؤسفة ستتفق معي على أنها مسرحية أو سيناريو رهيب قد خططوا له مسبقا. وأبرز دليل على ذلك أنهم صرحوا بأنهم قد حققوا تحت ستار "حالة الطوارئ" ما لم يكونوا يستطيعون تحقيقه في الظروف العادية.

ولا تزال الأحداث إلى وقتنا هذا تتسم بالغموض، ولم يُكشَف حتى الآن عن تفاصيلها، وقد دعوتهم مرارًا إلى تشكيل لجنة تحقيق دولية محايدة، وإن أسفرت التحقيقات عن ضلوعي في هذه اللعبة ولو بأمارة صغيرة فأنا مستعد لتسليم نفسي دون الحاجة إلى طلب رسمي، ولكنهم لم يقبلوا ذلك، وأنا على ثقة أنهم لن يقبلوا أبدًا؛ لأن مسرحيتهم ستنكشف حينئذ، وكما ترى فالحقائق بدأت تتكشف شيئًا فشيئًا.

س: كيف بدأت الحقائق تتكشف؟

ج: لقد أكدت مؤسسات وهيئات دولية، آخرها البرلمان البريطاني، عدم وجود أدلة على تورط حركة الخدمة والعبد الفقير في محاولة الانقلاب الفاشلة في ١٥ يوليو/ تموز الماضي، بل حتى لا يوجد أي قرار صادر من المحكمة يدين أحدًا من أبناء الخدمة

بالتورط في هذه المحاولة.

كما صرح مسئول ألماني رفيع المستوى أنه لا أحد يصدق ادعاءات تورط الخدمة في محاولة الانقلاب سوى تركيا فقط، وأن الحكومة التركية لم تستطع إقناع أي شخص يعيش خارج تركيا بهذا الزعم.

وكما قلت سابقا، فإن الولايات المتحدة الأمريكية لم تتخذ أي إجراء ضدي، بالرغم من إرسال الحكومة التركية ٨٠ مظروفًا تدعي تورطنا في الانقلاب، ولكنها كلها لا تحتوي على أي دليل يذكر في هذا الصدد؛ كلها اتهامات مرسلة بلا أي دليل، لقد صرنا محلاً لسخرية العالم بفضل هذه القيادة الحالية.

س: ما رأيكم فيما تم التعامل به مع الجيش في مرحلة ما بعد المحاولة الانقلابية؟ وهل تعتبرون ذلك إهانة للجيش التركي؟

ج: قبل الإجابة عن هذا السؤال نستطيع القول إن الدولة لم تكشف رسميًا حتى الآن عن الفاعلين الحقيقين المدبرين لهذا الانقلاب، والاتهامات الموجهة للخدمة هي مجرد اتهامات بلا سند أو دليل كما ذكرنا، وهناك قرابة مليون شخص قد تضرروا على خلفية هذا الاتهام "إذا حسبنا المعتقلين والمفصولين من أعمالهم وذويهم". ولقد عاشت تركيا باعتراف رئيس الجمهورية نفسه بعد أحداث ١٥ تموز مرحلة "اختلط فيها الحابل بالنابل"، ولكنهم في المقابل اعتبروا هذه المحاولة الانقلابية "نعمة من الله" تعالى لهم، وعملوا على استغلال هذه النعمة لتنفيذ مخططاتهم التي كانوا يخفونها دفعة واحدة. فبدأت القيادة الراهنة تختلق ذرائع وتطبق إجراءات، تهدد وحدة تركيا، وتغرس فيه بذور الصراعات والنزاعات، وتؤثر على

مستقبلها وتهدم الجسور التي تجمع بينها.

ولقد كان من فصول هذه المسرحية أيضا خلق صورة ذهنية مهينة للجيش التركي؛ حيث تم التلاعب بسمعة الجيش في سبيل تحسين سمعتهم هم، وعُرضت صور لضباط رفيعي المستوى على شاشات الإعلام الموالي للسلطة نفسها وعليهم آثار التعذيب أثناء التحقيق معهم، مع أنه لم تتم محاكمتهم وإحالتهم إلى القضاء. كما مات بعض من أفراد الجنود بسبب الضرب المبرح الذي تعرضوا له في الشوارع في حين أنهم لم يكونوا على علم بما خرجوا لأجله، فهم كانوا يظنون أنهم في مناورات عسكرية ميدانية. وعرضت هذه المشاهد مكررة في كل وسائل إعلامهم مع التعليق عليها من محلليهم ومعلقيهم بأساليب مهينة.

واللافت للنظر أن الشارع كان مسيطَرا عليه من قبل عناصر مدربة تتسم بالوحشية والشراسة -وقد تناولت بعض التحليلات هذا الموضوع-، فهيئتُهم وطريقة تعاملهم مع أفراد الجيش تشبه إلى حد كبير أفعال العناصر الداعشية المدربة تدريبًا عاليًا على مثل هذه الأفعال الوحشية وغيرها من أعمال القتال كاستخدام المدرعات وقيادة الدبابات، وهذا ما يعزز من فكرة مسرحية الانقلاب. وقد تم الدفع بهذه العناصر للإيهام بأنهم أفراد متحمسون من الجمهور رافضون للانقلاب في حين أن مكانة الجيش التركي في نفوس الشعب عالية جدا، فهذه المؤسسة معروفة لدى الشعب التركي على أنها "مدرسة نبوية".

وعلى إثر هذه المسرحية التي اعتبروها منحة إلهية قاموا بأكبر عملية تصفية في تاريخ الجيش التركي حتى الآن، وقاموا بهيكلته

وزرع عناصرهم مكان المُسرَّحين، وإضعاف قوة ومكانة الجيش التركي لصالح ميليشيات خاصة يقومون بإعدادها لاستخدامها لاحقًا في مواجهات يتوقعونها.

كما اصطحبوا قيادات الجيش معهم في المهرجانات السياسية بغية تطويعهم، وإعطاء رسالة إلى الشعب مفادها أن الجيش الذي كان مؤسسة مستقلة، تحول إلى مؤسسة موالية للحزب الحاكم تتبنى سياساته وتتابع قراراته وتؤيدها.

س: ما الذي حدث للتجربة التركية؟

ج: لقد كانت تركيا قبل خمس سنوات من الآن تتقدم في مسار صحيح، فقد كانت على وفاق مع أغلب دول العالم، وتخطط للاندماج مع الاتحاد الأوروبي وفق إجراءات ديمقراطية متسارعة، وهي في الوقت ذاته عضو مهم في الناتو، وكان الجميع ينظر إليها باعتبارها دولة نموذجية في مد الجسور بين الشرق والغرب، حتى صارت مثالاً يُحتذى، وكَتَب الكثيرُ عنها كتاباتٍ تحت عنوان "التجربة التركية".

ولم تكن هذه التجربة وليدة اللحظة التي بدأت فيها، بل كانت حصادًا لجهود بذلت قرابة قرن كامل، وقد استفاد الحزب الحاكم الحالي من هذا التراكم المثمر، وقدم نفسه على أنه حامي الحقوق والحريات، وتبنى شعارات الديمقراطية وحقوق الإنسان وسيادة القانون واحتضان الجميع، فانخدع بهذه الشعارات كثيرون، ومنهم نحن.

وظلوا يرددون هذه الشعارات حتى وصلوا إلى مرحلة "التمكين"، وشعروا بالقوة وتخطوا مخاوفهم، ثم بدأ القناع يسقط وبدأ الوجه الحقيقي لهؤلاء يظهر، فوجدنا أنفسنا الآن أمام "طلاب سلطة" يلقون

بكل المكتسبات الديمقراطية التي حصل الشعب عليها بالتضحيات الغالية في عرض البحر. فهم الآن يتغنون بشعارات ديمقراطية، ويصدّرون للعالم دروسًا عن الديمقراطية لكن ما يمارسونه على أرض الواقع هو الديكتاتورية بعينها.

س: ما سبب هذا التحول في شخصية أردوغان في رأيكم؟

ج: إننا مع الأسف بإزاء شخصية تحتاج إلى العرض على طبيب نفسي متخصص. يبدو أنه (أردوغان) لم يستوعب طبيعة المنصب الذي يشغله، وأطلق لخياله العنان، فكان يراوده حلم الخلافة أو إمارة المؤمنين، وكان يعتقد -وخاصة بعد "ثورات الربيع العربي"- أن الفرصة سانحة له، وأن العالم الإسلامي سيتماهى مع أحلامه وطموحاته الشخصية، وقد طفح هذا على تصريحاته ومواقفه التالية؛ فقد سمعناه يتحدث عن عواصم العالم الإسلامي ومدنه التاريخية وكأنها أقاليم تابعة له، ويتيح لنفسه حق التدخل في شئون دول الجوار. وبدلاً من رأب الصدع ونزع فتيل الخلافات في هذه الدول كنا نراه يسهم في تأجيج الأحداث؛ حدث هذا في مصر، وحدث هذا في سوريا أيضا. كان يعتقد أنه سيحقق أحلامه تلك من خلال مثل هذه التصرفات.

ولذلك كان مُصرًّا على اقتحام الأراضي السورية بأي ذريعة، وعَزَل كل القادة في الجيش الذين حذروه من مغبة هذا التدخل، ونراه يورط البلاد كل يوم ورطة أكبر من أختها، ويفتعل عديدًا من المغامرات الضخمة للتغطية على فضائحه وأخطائه الكارثية، ولن يكون آخرها هذا الانقلاب المسرحي الفاشل. أما إذا ذكرنا بعضا من

تناقضاته فسيطول بنا الحديث ومن أمثلة ذلك:

بالأمس كان يدعم المنظمات الإرهابية من أمثال داعش بشكل علني، ويرى لها الحق فيما تقوم به من أعمال واليوم يزعم أنه يحاربها.

كان بالأمس أيضا يدعو إلى الإطاحة ببشار الأسد لديكتاتوريته وظلمه لشعبه، ويدعم معارضيه بالأسلحة، واليوم يسعى للتفاوض والجلوس معه على طاولة واحدة ولا يرى حلاً للأزمة السورية بدونه.

والحال كذلك في مصر والعراق وروسيا وإيران ومؤخرًا الاتحاد الأوروبي. فهو اليوم في موضوع الاتحاد الأوروبي يطلق كل الشعارات الدينية في حملته الانتخابية، ويستدعي كل المرارات التاريخية، ويؤجج عاطفة الجماهير، ويرفع من مستوى الكراهية لحسابات ضيقة ستعود بالضرر مستقبلاً على الأتراك والمسلمين في العالم الغربي. وغدا فجأة سنراه يعتذر من الغرب ـ كما العادة ـ بعد أن يكون قد ترك خلفه هذا الكم الهائل من الانقسام والاستقطاب في هذه المجتمعات ضد المسلمين.

وبعد أن كان معماريّو السلام من أبناء الخدمة الذين يُنشئون المحاضن التربوية لخدمة الإنسانية، يقومون بإذابة هذه المرارات التاريخية في حوض التسامح والمحبة، إذا برجالات أردوغان يسعون بكل ما أوتوا من قوة لإغلاق هذه المؤسسات في الداخل والخارج بكل جلافة وقسوة دون أدنى مراعاة للضمير والعقل والإنسانية، وليس لنا إلا أن نسأل الله تعالى أن يُرجعهم إلى رشدهم وصوابهم.

س: كيف ترى مستقبل تركيا في ظل هكذا شخصية؟

ج: إذا استمرت الأوضاع على هذا النحو المزري من انتهاكات

لحقوق الإنسان، وغياب كامل للحقوق والحريات وانعدام فرص التقاضي العادل، فستنعزل تركيا عن محيطها الإقليمي وعن العالم بأكمله ما عدا الدول التي تسير على نفس الخط، وسوف تتعرض تركيا لحزمة من العقوبات بموجب المعاهدات التي وقعت عليها. ومؤخرًا شهدنا محاولات من القيادة التركية الحالية للتملص من هذه المعاهدات عبر افتعال أزمات تبرر له الانسحاب منها والخروج من الاتحاد الأوروبي وحلف الناتو والانضمام إلى تكتلات أخرى.

ولكن برغم هذا كله فعندي شعور بالتفاؤل، فتركيا دولة مركزية، وموقعها الاستراتيجي تاريخيًا وجغرافيًا يفرض عليها ألا تنعزل عن محيطها الإقليمي والدولي. ومن ثم أعتقد أن هذه المسيرة العابثة ستتوقف عند مدى معين، ولن يُكتَب لها الاستمرار على هذا النحو، وآمل أن يدرك المواطن التركي والرأي العام العالمي خطورة هذا الوضع ويتصدون له بالسبل المشروعة، وبعدها ستلتئم الجروح بسرعة وتعود تركيا لتواصل كفاحها النبيل في سبيل الديمقراطية والحريات وسيادة القانون وحقوق الإنسان دون تفرقة أو تمييز على أي أساس.

س: هل هناك احتمال لقدومكم إلى مصر؟ وما موقفكم القانوني في الولايات المتحدة؟

ج: لقد تلقيت لفتات مخلصة للقدوم إلى مصر، وهذا يدل على نبل وشهامة من قاموا بتوجيه تلك اللفتات. والحقيقة أن هذا ليس غريبًا على خُلُق المصريين الذين يتمتعون بكل فضل. وبهذه المناسبة لا يفوتني أن أتوجه بالشكر والتقدير للحكومة المصرية، فقد أفشلت مساعي القيادة التركية الحالية الحثيثة لوصم حركة الخدمة بالإرهاب

عبر منظمة التعاون الإسلامي، حيث حاولت القيادة الحالية استغلال انتقال الدورة الرئاسية إليها للقيام بهذا العمل، لكن تصدي الحكومة المصرية لها حال دون ذلك.

وهذا موقف يليق بمصر مكانا ومكانة، فقد وهبها الله من الهبات ما جعلها تتبوأ موقعًا هامًّا في أفريقيا والعالمين العربي والإسلامي، وسيظل الموقف الذي وقفته مصر إلى جانب الخدمة في هذه المحنة جميلاً لن أنساه ما حييت. أما عن القدوم إلى مصر فإنني لا أقبل أن أوفر مناخًا هادئًا لنفسي على حساب إزعاج إخواني من المصريين أو مضايقتهم.

أنا أقيم هنا منزويًا في الولايات المتحدة منذ ١٧ عاما لا أخرج من المكان الذي أسكن فيه إلا لحاجة ضرورية. لديّ مجموعة طلاب من المقيمين هنا في أمريكا، نتدارس معا كتب التراث الإسلامي المختلفة من تفسير وحديث وفقه وعلوم أخرى، ولم يصدر بشأن إقامتي هنا أي مانع قانوني، ولذلك فأنا مستمر في إقامتي هنا، ولا أفكر في المغادرة إلى أي مكان آخر أو العودة إلى تركيا.

س: هل تعتقد أن الولايات المتحدة ستقوم بتسليمكم إلى تركيا؟

ج: لقد ألح المسؤولون الأتراك مرارًا في هذا الطلب، وعند زيارة "جون بايدن" نائب الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما إلى تركيا في فترة سابقة حاولوا إحراجه بهذا الطلب فأجابهم إجابة مفحمة قائلا: "ليس لأحد ـ مهما بلغ من المكانة ـ أن يُخرج أحدا من أمريكا سوى عن طريق القانون والمحكمة الفيدرالية، حتى إن الرئيس نفسه لا يستطيع أن يتخذ مثل هذا القرار".

إن تقاليد دولة القانون راسخة هنا في الولايات المتحدة للدرجة

التي يستطيع فيها قاض فيدرالي أن يوقف قرارًا يصدره رئيس الدولة -كما شهدنا مؤخرًا-، وإن من مقتضيات حقوق الإنسان والديمقراطية ودولة القانون ألا يتم اتهام أحد دون دليل، وإلّا تعرّض للمساءلة. أما اتخاذ القرارات على حسب أهواء البعض أو تهديداتهم فإنما هو إجراء يتم فقط في عالَم الطغاة، وليس في الدول التي ترسخت فيها الديمقراطية حيث يطبق القانون وفق إجراءات وتقاليد معتبرة.

س: ما رأيكم في القطيعة الدبلوماسية بين أنقرة والقاهرة؟ ومن المخطئ في ذلك؟

ج: إذا أردنا تقييم الأمور كليا يمكننا القول: إن أردوغان وفريقه أسهموا بنصيب كبير في تأزم الأمور في مصر إلى حد لا يحتمل، فقد عملوا على تضخيم الأحداث في المنطقة، وكان لديهم أمل في السيطرة على المنطقة من خلال من يظنونهم مقربين منهم، لكنّ تَنَبُّهَ مصر المبكر لهذه المغامرة قضى على هذه الآمال، وسارعت مصر إلى اتخاذ تدابيرها الوقائية. وعندما أدرك أردوغان أن مشروعه في المنطقة قد باء بالفشل بدأ يطلق لسانه في القيادات المصرية. وكلما حانت فرصة للتقارب وحل المشكلات العالقة بين الطرفين يخرج أردوغان بفصل جديد من السب والشتم لكي تبقى المشكلة حية وليستثمرها داخليا أقصى استثمار.

س: ما رأيكم في ما وقع في مصر من أحداث ٣٠ يونيو؟

ج: لقد كان مخطَّطًا لمصر أن تَغرَق في الفوضى على غرار سائر بلاد المنطقة بما فيها تركيا في الوضع الراهن، ولكن شاءت إرادة الله

أن تنقذها من هذا المخطط. فبتعاون الشعب المصري البصير الواعي مع مؤسساته العريقة استطاعت البلاد أن تنجو من هذا المصير، وأن تستعيد عافيتها وتتغلب على مشاكلها، وبالصبر والإخلاص ستسترد البلاد مكانتها كاملة.

س: ماذا تقولون في احتضان أردوغان للإخوان والمعارضة المصرية؟

ج: في حقيقة الأمر يمكنك أن تسمي هذا احتضانًا ولكني لا أراه كذلك، لقد نظروا إلى أردوغان كأنه طوق نجاة، وأوهم أردوغان الشعبَ التركي أنه سخَّر لهم كل الإمكانات، وقامت وسائل إعلامهم بتضخيم بعض المساعدات التي قدموها لهم، وكسبوا بذلك تعاطفًا شعبيًا هائلاً وصوروه كأنه نصير الضعفاء والمظلومين. ولكن إذا تمعنتم في الأمر فستجدون أن أردوغان لا يقف إلا بجانب نفسه، وستجدون أيضا أن الإمكانات التي سخرها لهم ما هي إلا وسيلة لاستخدامهم في قابل الأيام بشكل أو بآخر. وها هو قد باع غزة والقضية الفلسطينية في أول بادرة صلح بينه وبين إسرائيل، وألقى بكل وعوده لحماس بغزة في عرض البحر، بعدما كان يناصب إسرائيل العداء ظاهرًا في كل محفل ويرفع عقيرته بالصياح في هجائهم خلال الأزمة معها.

وإذا كان هناك طائفة لا تزال تعتقد أنه الملاذ الأخير لقضاياها، فقريبا سيُلقِي بهم في أقرب فرصة تحين له. فهو ماض في طريقه إلى الهاوية بأقصى سرعة، وهو يدرك ذلك جيدًا، وهو على استعداد أيضا للتضحية بكل شيء في سبيل إنقاذ نفسه. وإذا أردنا أن نسرد في نفَس واحد مائتي مثال على تناقضاته وتقلباته في اليوم الواحد بين عشية

وضحاها، مما يدل على طبيعته الميكيافلّية لأمكننا ذلك بكل سهولة.

س: كيف ترى مستقبل العلاقة بين مصر وتركيا؟

ج: أنا على يقين –برغم كل ما حدث حتى الآن– بأن هذا الهذيان العارض سيتوقف عند حدود معينة، ولن يدوم هذا الوضع السلبي طويلاً، وسيستطيع الشعبان المصري والتركي العريقان لملمة جراحهما وتجاوز هذه الأزمة والعودة من جديد أخوين واعيين بدورهما التاريخي والجغرافي.

س: هل تشعرون بقلق إزاء مستقبل مدارس الخدمة التابعة لكم بمصر؟

أولا: أحب أن أوضح أنني لا أملك شيئًا في أي مكان، ولا يمكن أن أدعي أن هناك مدارس تابعة لي في مصر أو في أي مكان آخر، كل ما هنالك أن هناك مجموعة من الأشخاص اقتنعوا بما يقترحه العبد الفقير من مقترحات ويعملون على تطبيقها بجهودهم الذاتية في أي مكان مناسب.

ثانيًا: إن أي مؤسسة سواء مدرسة أو جامعة أنشأها محبون لي في أي مكان في العالم هي قيمة مضافة إلى البلد الذي توجد فيه، تعمل على خدمته وتقديم النفع له.

ثالثًا: قد ثبت بعد التجربة والمعايشة الطويلة لهذه المؤسسات في كل البلاد التي تخدم فيها أنه لا علاقة لها بالشأن الداخلي من قريب أو بعيد، بل تنأى بنفسها تمامًا عن أي أمر داخلي يتعلق بهذه البلاد، وكل تركيزها على إعداد الأجيال للمستقبل؛ لأننا نؤمن بأن مشاكل المستقبل لا يمكن حلها إلا من خلال أفراد تلقوا تعليما جيدا.

وقد خَبَرتنا المؤسساتُ الأمنية جيدًّا وخاصة المعنية منها بمراقبة المؤسسات الأجنبية، وتأكدوا من أننا نسير على هذا الخط ولا نفارقه أبدا. والأمر نفسه فيما يتعلق بمصرنا الحبيبة، وبالتالي فليس لدي أيّ قلق على أي مؤسسة في العالم ما دامت تلتزم بالشفافية، وتعمل وفق هذا الخط الذي وضحته.

س: لكن مؤخرًا تم إغلاق مدارس للخدمة في بعض البلاد؟

ج: صحيح، وهذا يبين لك مدى الذهنية التي ينطوي عليها الحزب الحاكم في تركيا، ويبين في الوقت نفسه براءة الخدمة من كل الاتهامات التي يكيلونها لأبنائها. فهم قد صادروا كل المؤسسات التربوية والإعلامية والاقتصادية بلا سند من القانون أو الدستور، ومؤخرًا عرضوها للبيع وكأنها ممتلكاتهم في مخالفة صريحة لحقوق الأفراد والمؤسسات في التملك، وأودعوا السجون والمعتقلات الآلاف من الأبرياء على خلفية الانقلاب المسرحي المزعوم، بينما القادة "العسكريون الكبار ورجال الاستخبارات" ما زالوا في مناصبهم، وفصلوا مئات الآلاف من أعمالهم بإجراءات قوانين الطوارئ، وعاقبوا كل من يقدم المساعدة لهؤلاء من قريب أو بعيد حتى اضطروا معلمين ومعلمات وأساتذة جامعيين إلى بيع الجوارب في الشوارع، وجر عربات لبيع الأرز في الطرقات، وحرضوا الأهالي على التبليغ عن أي شخص له علاقة بالخدمة من قريب أو بعيد، وأحكموا قبضتهم الحديدية على البلاد في مشهد استدعى للذاكرة كلا من أعمال ستالين وهتلر وموسوليني وغيرهم من طغاة العالم، وضيعوا كل كفاح الشعب في سبيل نيل حرياته على مدار الأعوام الثلاثين الأخيرة.

وها هم الآن لا يكتفون بذلك، بل يتوجهون إلى بعض البلاد يضغطون عليها ببعض الملفات تارة أو يقدمون بعض الرشاوى من خلال التوصل إلى حلقات فاسدة ذات نفوذ في بعض البلاد، للقيام بأعمال قذرة لإغلاق المؤسسات تارة أخرى، أو يَعِدون البعضَ الآخر بتأسيسِ بديلٍ للخدمة تابعٍ للدولة يقدم الخدمات نفسها للشعب مقابل تسليم مؤسساتنا لهم.

والأدهى من ذلك أنهم حقَّروا من قيمة سفاراتنا وقنصلياتنا في الخارج، حيث حولوا قناصلنا المحترمين وسفراءنا المبجلين إلى مراقبين أمنيين يتجسسون على مواطنيهم في الخارج؛ وبدلاً من أن يبحثوا عن مد جسور التعاون بين تركيا والعالم باتوا يفتشون عن وسائل تمكّنهم من إغلاق هذه المؤسسات والقضاء عليها، ففقدوا بذلك احترامهم وتعرضوا للانتقاد كما حدث في بعض البلاد ومنها مصر.

أما المؤسسات البديلة التابعة للدولة التي أسسوها ومنها ما يسمى "وقف المعارف" الذي يحمل أفكارا داعشية، فقد أخفقت إخفاقًا شديدًا في تقديم أي خدمات تذكر، بل لم يستطيعوا أن يجدوا معلمين أتراك يمكنهم أن يذهبوا إلى هذه المناطق النائية، ومن ثم كانوا يَعِدونهم بآلاف الدولارات لكي يوافقوا على الانتقال من تركيا إلى أفريقيا أو إلى دول أخرى. كما ظهرت حقيقتهم لهذه المجتمعات، فأعادت بعضُ الدول المؤسساتِ إلى أبناء الخدمة مرة أخرى، ورفضت محاكمُ بعض الدول قراراتِ الحكومة التي أمرت بهذا التحويل أو المصادرة وخاب سعيُهم مرة تلو الأخرى ولم يستجب لهم إلا من انخدع بأكاذيبهم أو بإغراءاتهم.

ومؤخرا -بفضل الله وحمده- تم افتتاح مدارس في مناطق أخرى وكأنها رسالة من الله لهم. فهم ينفقون أموال الشعب في الفساد والتخريب وليس في البناء والتعمير، ولذلك سيبوءون بالحسرة والخذلان.

س: كيف تقيّمون المظالم التي مورست على حركة الخدمة بعد الانقلاب، والتي طالت حتى النساء؟

ج: لقد مرت تركيا بفترات عصيبة طوال تاريخها الحديث، فعلى رأس كل عشر سنوات كان يقع انقلاب في تركيا، وكانت محصلة هذه الانقلابات تراجعًا في مستوى الحريات بوجه عام، واعتقالات عشوائية بالجملة، وكانت تركز على المتدينين خاصة، لكننا لم نر أسوأ مما يحدث حاليا، فرغم كل تلك المظالم التي شهدناها في السابق كانت هناك حدود معينة يتوقفون عندها. فالنساء والأطفال والشيوخ كانت لهم حرمتهم، والقوانين كانت ولا زالت تنصّ على أن الجرائم شخصية، وهذا مبدأ إسلامي أصيل نطق به القرآن في قوله تعالى: "ولا تزر وازرة وزر أخرى"، لكن السيناريو الذي نعيشه حاليا، والذي لا ندري من كاتبه ولمصلحة من يطبقونه على أرض الواقع جعلهم بذرائع واهية وبموجب قوانين الطوارئ التي يفرضونها يرتكبون كل شيء يخالف الدين والقانون والأخلاق والأعراف والإنسانية، فهناك آلاف من المعتقلين في السجون بلا تهمة أو بينة أو دليل.

تهمتُهم الميل إلى شخص أو محبة فلان، لا يوجد في عرف الدولة جريمة يُعاقَب عليها المرءُ بناء على مودة يكنها في قلبه لأحد الأشخاص أو بسبب ميله إلى أحد الأفكار، بل يُنظر إلى أفعال الناس،

دع هذا كله، بل هناك من هو في السجن اليوم لأنه سلّم على أحد من الخدمة أو تبرع يومًا ما لنشاط من أنشطة الخدمة كالأضاحي والمنح التي كانت تنظمها جمعية "كيمسه يوكمو" المرخص لها من قبل الدولة.

لقد وصل أردوغان إلى سدة الحكم واكتسب تعاطفًا شعبيًّا كبيراً عبر استغلاله المشاعر الدينية. وكلنا يذكر قضية الحجاب التي استغلها أتم استغلال، واليوم يبيح لنفسه انتهاك كل الحرمات، فعدد النساء المحجبات اللواتي يقبعن في سجونه اليوم يفوق كل حد، ومنظر النساء المتدينات المكبلات بالأصفاد سجلته كل العدسات في سابقة لم تحدث في التاريخ التركي، ولا جريمة لهن سوى اختيارهن أن يعشن ملتزمات بدينهن.

والشيوخ يقبضون عليهم وبعضُهم لا يقوى على المشي وآخرون في فراش الموت، وكذلك تم الفصل بين الأمهات المعتقلات وأطفالهن الرضّع، وهذا ما لا يجوزه الإسلام حتى ولو كانت المرأة أسيرة حرب.

ورغم التكتيم الإعلامي وتشديد الرقابة على وسائل النشر الإعلامية والاجتماعية برزت هذه المشاهد إلى العلن، وما خفي أكثر بكثير من هذا. وهناك كلام عن حالات تعذيب وحشية تمارس في السجون.

على العموم سيأتي يوم تظهر فيه كل هذه الممارسات الإجرامية إلى العلن، وساعتها سيطلع العالم على الوجه الحقيقي القبيح لهذه الطغمة الحاكمة التي تتستر بستار الدين ونصرة المظلومين والمستضعفين.

س: ما خلفية هذه المظالم التي يمارسها أردوغان ضد حركة الخدمة؟

لقد كان يتوقع منا أن نروّج له في العالم الإسلامي على أنه قائد المسلمين وخليفتهم، وكان يأمل أن نُجَيِّر مؤسساتنا التعليمية

والخدمية المنتشرة في أكثر من ١٦٠ دولة لصالح هذه الطموحات، ولكننا أصررنا على استقلاليتنا ورفضنا رفضا قاطعا أن نكون أداة في مشروعه هذا، فأثار ذلك حفيظته وهو معروف عنه –كما صرح بذلك أقرب مستشاريه– بأنه رجل حقود، إذا خالف أحد أوامره أو لم يوافقه في تطلعاته اتخذه عدوا وبدأ يفكر في التنكيل به والقضاء عليه، ولذلك لم يواجهه أحد من أعضاء حزبه ممن أقصاهم لأنهم يعلمون عنه طبيعته تلك.

لقد بلغ بهم الحقد مبلغًا جعلهم يدبرون مع بعض الأمريكيين خطة للوصول إليّ هنا في مقر إقامتي والعمل على خطفي مما يبين لك مدى العقلية التي تحكم تركيا الآن، وأنها تدير الأمور كما تدار عصابات المافيا.. تخيَّلْ مسئولين حكوميين ومنهم دبلوماسيون وأصهار لأردوغان يديرون البلد هكذا. طبعا كل هذا لا يمكن أن يتم بدون تعليمات مباشرة من أعلى.

بل ظهر آخَرُ يدعو الحكومة أن تقصف هذا المقر في بنسلفانيا بالطائرات على غرار قصفهم لحزب العمال الكردستاني في جبال قنديل بشمال العراق، ولذلك ليس عجيبًا أن تجدهم يدعمون كل الفرق المتطرفة بكل وسائل الدعم من مال وسلاح وتسهيلات للمرور عبر أراضيها، من أول داعش إلى سائر المنظمات الإرهابية الأخرى.

لقد قدمنا لحزب العدالة والتنمية في بداية أمره دعمنا، شأنُنا في ذلك شأن كل الفئات الأخرى الداعمة للمسار الديمقراطي التوافقي عندما كان يظهر أنه مدافع عن الديمقراطية وحقوق الإنسان وسيادة القانون، ويبدي جدية حقيقية في ملف الانضمام للاتحاد الأوروبي،

ويحاول تصفير المشاكل مع جيرانه ومحيطه الإقليمي.

ولكنه عندما أحس بالتمكن وشعر بالقوة بدأ لا يقبل أي انتقاد ويرفض أن يتحدث أحد عن أخطائه أو أخطاء حكومته، وبدلا من أن يقوم بإصلاح الأخطاء أو الكشف عن الفساد وتقديم المتهمين إلى المحاكمة اتخذ طريق الهجوم، وقمع كل صوت معارض، ثم تبين لاحقًا أنه كان موقعا على خطة ضمن قرارات مجلس الأمن القومي في سنة ٢٠٠٤ للقضاء على الحركات المدنية المعتدلة ذات المرجعية الدينية وعلى رأسها حركة الخدمة هو وبعض من وزرائه، ولما وُوجِهوا بهذا لم ينكروا وقالوا إنهم كانوا مجبرين على التوقيع.

ولكنه بدأ في تنفيذ مخططه هذا على مراحل، فبدأ بتصفية كثير من البيروقراطيين في قطاعات الدولة المختلفة بذريعة انتسابهم للخدمة، ثم روّج لعمليات القبض على الوزراء الفاسدين في حكومته في ٢٥/١٧ ديسمبر٢٠١٣ على أنها انقلاب مدني على حكومته المنتخبة، وزاد من جرعات التنكيل ضد مواطنين وموظفين وشرطيين وقضاة بحجة انتسابهم لما أسماه "الكيان الموازي"، ثم كانت أحداث هذه المسرحية الانقلابية التي سماها منحة إلهية من الله، والتي فرض على أثرها قوانين الطوارئ، وبلغ التنكيلُ بالخدمة وبكل معارض كل مبلغ.

والآن لا تستطيع أي حركة أو مجموعة مدنية في البلاد أن تفتح فمها أو تنبس ببنت شفة، وإلا لاقت مصيرًا محتومًا من السجن والطرد من الوظائف والنفي أو التشريد من البلاد أو الحرمان من بعض المكتسبات التي منحها لهم من أموال الدولة.

ولكن سيأتي يوم تتكشف فيه كل هذه الحقائق دفعة واحدة،

وسيشهد العالم مدى ما ارتكبه هذا الجنون من انتهاكات وخروقات، كما كان الحال مع كثير من الطغاة الذي حكموا العالم في فترة سابقة.

س: ما قراءتك لمسألة التعديلات الدستورية؟ وفي رأيك كيف تؤثر على مكانة تركيا الدولية؟

ج: لقد نبَّهْنا منذ فترة طويلة أن هذه الحكومة وعلى رأسها أردوغان تتجه بالبلاد نحو الهاوية، وبعدما كان الأمل معقودًا عليهم في تخليص تركيا من معاناتها الطويلة بسبب الاضطرابات التي عاشتها جراء الانقلابات المتعددة، إذا بهم يتجهون بالبلاد نحو انقلاب من نوع آخر، وهو الانقلاب باسم الصناديق على إرادة الشعب الحرة.

لقد سعينا عام ٢٠١١ إلى حشد الدعم للتعديلات الدستورية التي أجريت في ذلك العام، بسبب نتائجها التي كانت ستؤدي إلى تقوية دور المؤسسات المدنية والمحافظة على استقلاليتها، وتوسيع نطاق الحريات، والفصل بين سلطات البلاد المختلفة، لكن خاب ظننا وأصبحنا بإزاء رجل يريد جمع كل السلطات والصلاحيات في يده بهذه المواد التعسفية التي تقوض أمن وسلامة المجتمع، وتهدد وحدته وتعزز من القبضة الأمنية المسيطرة وتؤسس لكيان استبدادي مقيت.

وأعتقد أن تركيا الآن بات يُنظَر إليها على أنها أصبحت تمثل تهديدًا للأمن العالمي، شأنها شأن الدول التي سارت في هذا الاتجاه، ولكن كلي أمل أن يستفيق العقلاء ويحاولوا وقاية تركيا من الدخول في هذا المستنقع الآسن. فتركيا كما وضحنا تاريخيًا وجغرافيًّا لها مكانة مؤثرة في النسيج العالمي، وأي اهتزاز لهذه المكانة لن يقتصر تأثيره عليها وحدها.

س: كيف ترون مستقبل حركة الخدمة التي تعاني من تضييقات كبيرة؟

ج: صحيح، هناك تضييقات شديدة مورست ولا تزال تمارس ضد أبناء الخدمة في الداخل التركي لدرجة إغلاق كل المؤسسات ونسف كل الجهود التي استمر بناؤها مدة تزيد عن الأربعين عامًا، وهناك محاولات مستمرة لإحداث مثل هذا النوع من الممارسات في الخارج ضد الخدمة بشتى الطرق والوسائل، حتى بات على رأس أجندة أي مسئول حكومي من أول رئيس الجمهورية إلى أدنى مسئول فيها عند لقائه بأي مسئول دولي هو الحديث عن إغلاق مؤسسات الخدمة في الخارج أو على الأقل التضييق عليها وتسليم منتسبيها إليهم. وبالرغم من استجابة عدد محدود جدا من الدول لهذه المطالب نظرًا للضغوطات أو المصالح البينية المشتركة إلا أن أغلب دول العالم رفضت هذه المطالب وردت على تركيا ردًّا حاسماً وقالوا لهم: "إن هذه المجموعة تمارس على أراضينا أنشطة تعليمية واستثمارية منذ أكثر من ٢٥ سنة، ولم نشهد عليهم أي خروقات أمنية أو اجتماعية أو فكرية حتى ولو كانت بسيطة، بل على العكس فقد كانت لهم إسهاماتهم في الجانب التعليمي في البلاد ورفع كفاءة الطلاب ومستواهم العلمي".

ولله الحمد باءت محاولاتهم تلك بالفشل في كثير من البلدان، وأُعلن عن مساعدة بعض الدول لفتح مدارس جديدة في أنحاء مختلفة من العالم.

وبعدما كانت تشكُّ هذه الدول في ارتباطنا بالحكومة التركية الحالية وتتهمنا في بعض الأحوال بالترويج لأفكارها المتطرفة،

تبين للعالم كله بعد هذه الممارسات براءةُ ساحة الخدمة من كل التهم المنسوبة إليها، كما تبين من رد فعل أبناء الخدمة تجاه كل هذه الممارسات القمعية الظالمة مدى أهمية الاستثمار في الإنسان، ونوعية الناس الذين قامت الخدمة بتربيتهم. فقد كانت الحكومة التركية تهدف من خلال هذه الفظاظة التي تعاملت بها مع أبناء الخدمة إلى استفزازهم وجرّهم إلى الشوارع ودفعهم إلى ارتكاب أعمال عدائية، ولكن كل ذلك لم ينجح، وضرب أبناءُ الخدمة أروع الأمثلة في التعامل الهادئ والرزين تجاه كل هذه القسوة والغلظة، فلم يصدر عن أي واحد منهم مقابلةُ هذه الممارسات ولو حتى بوكزة خفيفة، وعبَر أبناءُ الخدمة هذا الامتحان بنجاح بفضل من الله ونعمته.

أما عن مستقبل الخدمة فنحن ماضون في طريقنا، لا يثنينا عنه إلا قضاء الله عز وجل، وقد تعلّمنا دروسًا كثيرة من هذه المحنة، تعلّمنا أن نقيّم إمكاناتنا ونستثمرها كلها ما أمكن، وتعلمنا أن نضاعف الجهد في سبيل تحقيق آمالنا وتطلعاتنا نحو إنسانية أفضل، إنسانية تنعم بالحب والسلام والتعاون والإخاء، وتنبذ العنف والتعصب والخلاف الفاسد، وتبني مستقبلها على أسس من العلم والفهم والاحتواء، سائلين المولى عز وجل أن يرضى عنا وأن يعفو عن زلاتنا وأن يثبّتنا على طريق مرضاته إلى أن نلقاه.

دعوت مرارًا وتكرارًا إلى إقامة لجنة دولية للتحقيق في هذه المسألة بشكل معمّق، وإذا ما اكتشفَت هذه اللجنة أنني قلت أيَّ شيءٍ لأحد شفهيًّا أو عبر اتصال هاتفيّ أو أنَّ عُشر التُّهم الموجهة بحقي صحيحة فسأحني عنقي وأقول: أنتم على حقّ، اقتصّوا مني واشنقوني إذا شئتم. ولكنني أقول بثقة: إنني لم أتحدث مع أحد حول الانقلاب ولم أتصل بأحدٍ ولم آمُر أحدًا بذلك.

إن أثبتت لجنة تحقيق دولية أنني متورّط في محاولة الانقلاب، فأنا على استعداد لأن أركب طائرة على نفقتي الشخصية وأتوجه إلى تركيا فورا. وإن أصدروا قرارًا بإعدامي، فسأذهب إلى حبل المشنقة بنفسي دون أي تردد. لكنهم إن أعدموني في اليوم خمسين مرة ثم أحيوني فلن أعتذر إلى الظالم مطلقًا، سأقف غدًا بين يدي الله تعالى، ويسألني: لِم اعتذرتَ للظالمين؟ لذلك لا يمكنني أن أفعل ذلك. هذه قناعتي التي أومن بها بكل كياني ولا أتراجع عنها أبدا.

حوار أخبار اليوم المصرية مع الأستاذ فتح الله كولن[1]

س: في حين يَعتبر أردوغان الأحداث الجارية في تركيا انقلابا، أطلقتم عليها بأنها مسرحية، فعلام استندتم في هذا؟

ج: إنني أقول هذا بناء على المعلومات التي تناثرت هنا وهناك، فقد قُدِّر لي أن أشاهد كل الانقلابات التي جرت منذ العام ١٩٦٠، وعايشت أجواءها كلها، وكنت هدفا للبعض منها وعانيت كثيرا بسببها، لذلك أعرف ما يمكن أن يطلق عليه "انقلابا" نوعا ما. وبناء على كل ما عايشته خلال الانقلابات السابقة يمكنني القول إن هناك لعبة ما في تفاصيل هذا الانقلاب المزعوم، فمثلا لم يبدأ أي واحد من الانقلابات السابقة بإغلاق للجسور، ولا تتم الانقلابات في وضح النهار أو في ساعات الذروة من الليل، والتي تكون الجماهير فيها لا تزال في الشوارع كما حدث في الأخير. لكن وصفنا له بالمسرحية لا يعني أبدا الاستهانة بالأرواح التي راحت ضحية لهذه الأحداث، سواء من المدنيين أو من أفراد الشرطة والجيش، فأنا أدعو الله أن يتقبلهم عنده من الشهداء.

قد تختلفون معي في وجهة النظر هذه، لكن اسمحوا لي أن

---

[1] تم نشر هذا الحوار بتاريخ ١٣ نوفمبر ٢٠١٦. وقد أجرى الحوار الصحفي: أمير لاشين.

أقول: إن الانقلاب له منطق معين، فهو يبدأ بمن هم على رأس الهرم، لأنهم الهدف النهائي. لكن الأمور لم تجر على هذا النحو في تلك الليلة، مما يعني أن الانقلاب نفسه لم يكن هدفا، وإنما الهدف هو إخراج الأحداث في صورة انقلاب لتحقيق أهداف أخرى من ورائه، ما كانوا ليحققوها في الظروف العادية. ولذلك قاموا بهذا الانقلاب الصوري فألقوا القنابل في مبانٍ فارغة، وبدلا من الذهاب إلى أماكن المسئولين بدأوا يهاجمون الشعب، ولم يحدث أي مساس بأي سياسي، لذا رأينا السياسيين يستعرضون عضلاتهم على شاشات التلفزة لساعات طويلة، بينما الأحداث تجري على أشدها في الشوارع بين الجماهير وأفرادٍ وآليات من القوات المسلحة. لم تحدث أية مداهمة لأي مبنى تلفزيوني سوى مبنى التلفزيون الرسمي TRT بشكل عرضي ولفترة محدودة، في الوقت الذي كانت تبث فيه قنوات التلفزة الأخرى خطاباتِ وتصريحات المسئولين الحكوميين ونداءاتهم للشعب وتحريضهم له على الخروج لمواجهة الجيش. لهذا كله شككت في كونها انقلابا حقيقيا، إذ لم يكن واحد من الانقلابات التي عشتها من هذا القبيل.

أضف إلى ذلك، العدد المحدود جدا من الآليات كالدبابات ومركبات الجنود التي تواجدت في الشوارع، والتي اعتلتها الجماهير في مشهد استعراضي وكأنها أُرسلت لذلك. بل إن بعضا من المدنيين اقتحموا هذه الدبابات وقاموا باستخدامها وقيادتها، مما يلقي نوعا من ظلال الشك على نوعية هؤلاء المدنيين، وطريقة تواجدهم في هذه الأماكن تحديدا

فمنذ بداية الأحداث فَهِم كل من له مسكة من عقل ممن رأوا هذا المشهد ولديهم اطلاع على ماهية الانقلابات، أو شاهدوا إجراءاتها من قبل، أن ما يحدث ليس من الانقلاب في شيء.

كما أن الجنود الذين كانوا يتواجدون في الشوارع لم يكن لديهم علم بطبيعة المهمة المكلفين بها، فقد قيل لهم: "إن هناك مناورات عسكرية"، لذلك كانوا لا يعرفون إلى أين يتجهون، بل إن أحد الجنود عندما سئل عن وجهته أجاب: "إن هناك إرهابيا سنذهب إلى اعتقاله، وانتظِروا منا الخبر".

س: إن عدد الجنرالات المعتقلين على خلفية هذا الانقلاب المزعوم يبلغ نحو ١٥٠ جنرالا، تحت قيادتهم مئات الآلاف من الجنود والضباط وضباط الصف، بينما لم يتواجد في الشوارع من هؤلاء الجنود سوى بضعة آلاف حسب الروايات الرسمية، فأين ذهب بقية الجنود والضباط؟ ولماذا لم يكونوا في مسرح الأحداث؟

ج: لقد قضيت سنتين من عمري أؤدي واجب الجندية في صفوف الجيش التركي، ولديّ إلمام بطبيعة العمل في هذه المؤسسة، ومدى الجدية والانضباط في تلقي الأوامر والتعليمات من القيادة، وكل الذين أدوا واجبهم الوطني في الجيش يعلمون هذا. فإذا قيّمنا كل هذه الأمور تقييما شاملا فسيتبين لنا أنه عمل مدبر من قِبَل أناس لا يتحلون بجدية الجندية، وأنه أشبه بسيناريو أُعدّ خصيصا لتحقيق أهداف معينة.

س: بناء على هذا التحليل، مَنْ -في رأيكم- كاتب هذا السيناريو؟ ومَنْ الذي قام بإخراجه؟

ج: هناك من ردد بأن هذا العمل قام به "القوميون-العلمانيون"، ومنهم من ذكر "الكماليين المتطرفين"، ومنهم من ذكر ثلاث فئات، ومنهم من ذكر خمسا.. وهناك جهات ذكرت أنه تم الدفع بمجموعة من المتدينين في المقدمة ليكونوا في الواجهة ويحمّلوهم المسئولية. على كلٍّ لابد من إجراء تحقيق شامل عادل ونزيه للكشف عن ملابسات هذا الانقلاب وفضح من وراءه. ولكن إجراء تحقيق بهذه الأوصاف في ظل الأوضاع الراهنة في تركيا أمر يصعب تحققه، اللهم إلا إذا انعقدت لجنة دولية للتحقيق في الأمر، ساعتها يمكن الوصول إلى نتائج سليمة. ومن جهة أخرى لابد أن ننظر إلى الأمور بنظرة أكثر شمولية حتى نقف على المخططين الاستراتيجيين لهذه المحاولة، ومن هم المستفيدون منها بدلا من الغرق في التفاصيل.

لقد مر وقت ليس بالقليل على الأحداث حتى الآن، ومع كل هذه الإجراءات التي اتخذوها نستطيع القول: إن الجهود المبذولة بغرض الكشف عن المخططين والمنفذين الحقيقين لا تسير بصورة جدية حتى الآن. بل على العكس فرغم أن الذين قاموا بمحاولة الانقلاب الفاشلة هذه على حد قولهم أفرادٌ من وحدات الجيش الحقيقيين إلا أن إجراءات الاعتقال والفصل من الأعمال، وسحب الجوازات ومصادرة الأموال وتأميم الشركات والتعذيب في السجون، ومعاملة الأبرياء من المعتقلين معاملة المجرمين، بل والإفراج عن عدد كبير جدا من المجرمين الحقيقيين من ذوي الأحكام بعفو عام لاستيعاب عدد آخر من الأبرياء، كل هذه الإجراءات تمتد لتطال قطاعا كبيرا من المدنيين أكبر بكثير ممن استهدفتهم داخل الجيش. فقد استهدفت

قرابة مئة ألف من المعلمين والقضاة والمدعين العامين وأفراد الشرطة والعمال وأصحاب الحرف وأعضاء الجمعيات الخيرية والإعلاميين.. حتى طالت الأطفال وكبار السن والنساء والمرضى، ولا تزال تلك الانتهاكات مستمرة دون توقف بذريعة الانقلاب.

وكل هذه العمليات تكشف للمراقب أن النية مبيتة على الاستمرار في التغطية على الفاعل الحقيقي وعدم الكشف عنه. فمؤسسة الجيش من أكثر المؤسسات في البلاد انضباطا ودقة في تطبيق التعليمات والأوامر، وليس من الصعب الكشف عن أصغر قضية فيها وتحديد أطرافها، لذا نرى من التناقض أن يتم الزج بهذا العدد الكبير من المدنيين في السجون والمعتقلات واتهام مجموعة كبيرة أخرى بأنهم وراء هذا الانقلاب في قطاعات مدنية مختلفة منذ اللحظات الأولى للانقلاب، وألا يتم في الوقت نفسه الإفصاح عن أسماء المتورطين أو الكشف عن الفاعلين والمدبرين لهذا الأمر من أفراد الجيش، وإعلان أسمائهم للرأي العام على الرغم من مرور هذا الوقت الطويل.

هناك جهة في الجيش تُدعى "مجلس السلام الوطني" يُعزى إليها محاولة الانقلاب الفاشلة، ولكن إلى الآن ليس لدينا أي معلومات عنها، كم عددهم؟ وما ارتباطاتهم؟ من الذين استخدموا الدبابات والطائرات؟ وممن تلقوا أوامرهم؟ ومن حرض طلاب المدارس العسكرية السذج حتى خرجوا إلى الشوارع على هذا النحو؟ من استغل عواطفهم البريئة وقام بحشدهم؟ من احتجز الجنرالات من هيئة الأركان بل ورئيس الأركان نفسه؟ تداولت وسائل الإعلام تصريحات متضاربة في كل هذه الأمور، تسمع أن فلانا هو من وراء

هذا الانقلاب، ثم في اليوم التالي يتحدثون عن بطولته في إفشال هذه المحاولة. وهكذا كلما زادت التصريحات زادت معها التناقضات بدلا من العكس. يقولون إن كل الأمور باتت تحت السيطرة، فما دام الأمر كذلك فلماذا لا يعلنون النتائج بشفافية على الرأي العام؟

س: برغم كل هذه الأمور التي ذكرتموها لابد أنكم قد تشكلت لديكم قناعة حول الفاعلين الأصليين، فإلام توصلتم في هذه القناعة من خلال تجاربكم السابقة وتخميناتكم الحالية؟

ج: لست مطلعا على كافة التفاصيل، هناك ادعاءات تتردد في الأوساط الإعلامية لم يتبين لي مدى صحتها، تشير إلى أن مجموعة من "العلمانيين القوميين" هم من وراء هذه المحاولة، وأن هناك اعتقالات لبعض من المعروفين بتأييدهم لـ"دوغو برينتشك" رئيس حزب الوطن القومي المتطرف الذي كان معتقلا على خلفية قضية الأرجنكون، وتم الإفراج عنه بعد تفاهمات مع الحكومة الحالية.

ومن جهة أخرى كتبت مجلة "فوكس" (Focus) الألمانية استنادا إلى مصادر من الاستخبارات الإنجليزية أن هذه العملية قام بتدبيرها مجموعة من السياسيين بغرض إدانة حركة الخدمة، وأعتقد أنه في القريب العاجل سترشح معلومات ودلائل أخرى تشير إلى الفاعلين الحقيقيين. لكن وحتى تظهر تلك الدلائل فالحكومة هي المسئولة أمام الرأي العام المحلي والعالمي عن البحث والتدقيق الجاد لكشف ملابسات هذه الأحداث، والإفصاح عن المخططين والمنفذين الحقيقيين لهذه المحاولة. لكن يبدو أن الحكومة لا تسعى سعيا جديا في هذا المجال، فعمليات القبض والاعتقال العشوائية،

والاستمرار فيما يسمى بمطاردة "الساحرات"، والدعايات الإعلامية التحريضية، وسائر ألوان الظلم والاضطهاد وأعمال التعذيب الوحشية والانتهاكات الجسدية، بالإضافة إلى تعرض عائلات المقبوض عليهم والمعتقلين من نساء وأطفال ومرضى وكبار السن لصنوف شتى من الإيذاء، كل هذا يشي بأن الحكومة ليس في نيتها الكشف عن المخططين والمنفذين الأصليين لهذه العملية.

س: لماذا الخدمة؟

ج: إن محبي الخدمة والمتطوعين فيها قد نأوا بأنفسهم عن الانخراط في العمل السياسي، وابتعدوا تماما عن كل ما يمت بصلة للإسلام السياسي. لكنه بعد وصول المنتمين إلى فكر الإسلام السياسي إلى سدة الحكم، وتمكنهم من مراكز القوة وصناعة القرار بدأوا ينظرون إلى كل الحركات ذات المرجعية الإسلامية، والناشطة في المجتمع المدني بأنهم يجب أن يعلنوا لهم ولاءهم، ويقوموا بمبايعتهم على غرار نظام البيعة التقليدي المشهور في التراث الإسلامي.

فالشخص القابع الآن في سدة الرئاسة زار كثيرا من الشخصيات عندما كان بصدد تأسيس حزبه، وقد زارني أيضا لطلب الدعم وتلقي النصائح، وقدمت له بعض التوصيات بناء على ما أبداه لي من جدية وإخلاص، لكن تبين لاحقا أنه كان مخادعا، فقد حكى عنه بعد مدة أحد الذين رافقوه في هذا اللقاء أثناء مغادرته وهو في المصعد قوله:" ينبغي القضاء على هؤلاء أولا." وهذا يعني أنه ما كان يُكِنّ لنا أي ود من الأساس، وأن تصريحاته في مدح حركة الخدمة والثناء على أنشطتها ما هي إلا مراوغات من سياسي احترف

الخداع. لقد كان دعمنا له في البداية بناء على ما قطعه على نفسه تجاه الشعب التركي من وعود، فقد وعد بدعم الحريات واحترام القانون وتعديل الدستور، وتعزيز الديمقراطية والسعي قدما في سبيل الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، وتلبية المتطلبات المتعلقة بذلك في ملفات الديمقراطية والحقوق والحريات واحترام الإنسان. لكن مواقفه تغيرت كليا عقب الاستفتاء العام على الدستور عام ٢٠١٠. فقد علق الوعد بتعديل الدستور على دعمنا له في النظام الرئاسي، ثم طووا ملف تعديل الدستور هذا كليا، وطالبونا بالدعم العلني للنظام الرئاسي، وتأييدهم مطلقا في كل مواقفهم، وأن ندور معهم في تقلباتهم حيث داروا.

لم يستطيعوا أن يفهموا أن دعمنا لهم أو انتقادنا لأدائهم ليس مرتبطا بهم بقدر ما هو مرتبط بمبادئنا التي نتمسك بها دائما. لقد قلبوا لنا بعدها ظهر المِجَنّ، وأفصحوا عن وجههم الحقيقي تجاهنا، لم يتحملوا أن يكون هناك اتجاه في البلد له تأثير في الرأي العام بمقتضى نشاطاته وفعالياته المجتمعية ولا يمكنهم التحكم فيه، لذا قرروا التخلص منا تماما. بدأوا أولا بتوفير مؤسسات بديلة للخدمة من أموال الشعب ومن ميزانية الدولة، وبذلوا كل ما في وسعهم في سبيل ذلك، سواء في الداخل التركي أو على مستوى العالم. ولما فشلوا في ذلك لأنهم لم يكن لدى أفرادهم الروح نفسها التي يتحلى بها أبناء الخدمة المتطوعون فيها، قرروا الاستيلاء على هذه المؤسسات التي أنشأها المجتمع بنفسه. وبدلا من حيازتها وإدارتها إدارة حكيمة من طرف الدولة أعلنوا إفلاسها وأغلقوها ثم وزعوها فيما بعد على

المقربين منهم، وهم الآن يحاولون الشيء نفسه في الخارج، لكن باءت كل محاولاتهم تلك بالفشل، لأن الله لا يصلح عمل المفسدين.

س: إذا كان أردوغان لديه كل هذه السلطات الواسعة، فلماذا يلجأ إلى مثل هذه الوسائل؟

ج: إن القائمين على شأن البلاد الآن يسعون منذ خمس سنوات بذرائع مختلفة لتوسيع صلاحياتهم، وجمع كل السلطات في يد واحدة، تمهيدا لإقرار النظام الرئاسي. وقد بدأوا هذا عن طريق الإعلام، فأنشأوا آلية معروفة الآن باسم " الحوض الإعلامي"، نقلوا من خلالها كثيرا من وسائل الإعلام المستقلة أو المملوكة لأفراد لا يُظهرون الدعم لهم إلى ملكية رجال أعمال موالين، من خلال إفلاس مالكيها الأصليين، أو الحجز على ممتلكاتهم. حتى القنوات الإعلامية التي استطاعت أن تحافظ على حياديتها بالرغم من تلك الإجراءات كلها، قاموا بإرهابها مستغلين في ذلك أحداث "جيزي بارك" التي وقعت في "تقسيم".

وبدلا من تقديم الفسدة والمرتشين إلى العدالة بعد انكشاف فضائح الفساد في ١٧-٢٥ ديسمبر ٢٠١٣، زعموا أن الخدمة هي من قامت بهذه العملية بغرض إحداث انقلاب مدني على الحكومة، وبدأت ماكينة الإعلام سالفة الذكر تشتغل على هذا الموضوع، واستغلوا حينها الفرصة وقاموا بتغييرات شاملة في جهازي الشرطة والقضاء، أبعدوا فيها كل من كانوا يجرون التحقيقات في هذه القضايا من القضاة والمدعين العموم، وقاموا بعزل وإبعاد كثير من غيرهم، وعينوا مكانهم موالين لهم، حتى صار الجهازان الشرطي والقضائي تحت وصايتهم تماما.

ثم اتجهوا بعد ذلك إلى المؤسسة العسكرية يطالبون بتطهيرها على حد زعمهم مما يطلقون عليه "الكيان الموازي"، وقد قاموا قبل ذلك بتصفية بعض الجنرالات بعزلهم من مناصبهم أو اعتقالهم في القضيتين الشهيرتين اللتين أطلق عليهما "أرجنيكون" و"باليوز" (المطرقة)، واعتقدوا أن الأمور ستتم بنفس السهولة التي حدثت في جهازي الشرطة والقضاء، لكن المؤسسة العسكرية طالبتهم بتقديم الأدلة على انتماء هذه القوائم المعدة سلفا للخدمة، وأصرت على العمل في إطار القوانين في مقاومة منها لدخول المؤسسة العسكرية تحت وصاية الحكومة، والحفاظ على استقلاليتها. لذلك لم يكن أمامهم من سبيل إلا تدبير محاولة من هذا النوع لبسط النفوذ الكامل على مؤسسة الجيش.

وإن الناظر لما آلت إليه الأمور والإجراءات بعد الانقلاب فسيجدها تسير جميعا في هذا الاتجاه، فإعادة هيكلة الجيش، وإدخال عناصر مدنية إلى مجلس الشورى العسكري لأول مرة، وعزل الآلاف من مختلف الرتب وتسريحهم من مناصبهم، وتعيين موالين مكانهم وإغلاق المدارس والكليات العسكرية ما كان ليتم دون وقوع عملية من هذا النوع.

س: عكست وسائل الإعلام خلال بثها لمهرجانات الديمقراطية عقب المحاولة الانقلابية الفاشلة توحُّد المعارضة مع أردوغان، فكيف ترون ذلك؟

ج: قبل محاولة الانقلاب الأخيرة كانت السلطة قد أحكمت قبضتها بما يعادل ٩٥ ٪ تقريبا على وسائل الإعلام في البلاد، وتحول الإعلام

إثر ذلك إلى أداة للدعاية للحزب الحاكم وعلى رأسه أردوغان.

وبعد المحاولة الانقلابية بات كل من يفكر في معارضة السلطة أو التعليق على أدائها يصنف في عداد الخائنين. فعدد كبير الآن من كبار الصحفيين أو الكتاب الذين كانوا يعبرون عن رأيهم في أداء الحكومة إما في المعتقلات أو قيد الإقامة الجبرية ولا يسمح لهم بمغادرة البلاد. ففي مناخ جنوني كهذا هل تعتقد أن هناك من يتجاسر على المعارضة أو حتى يناقش الأحداث بموضوعية دون أن يكون أمنه وسلامته وسلامة عائلته معرضة للخطر؟

إن الدعاية الإعلامية الكاذبة في أوروبا أيام هتلر وموسوليني كانت هي العامل الأول والرئيسي في حشد الجماهير نحو أهداف بشعة، وسيأتي يوم تكتشف فيه جماهير شعبنا كيف أنه تم تضليلهم واندفعوا إلى ارتكاب بعض الحماقات بسبب تلك الدعاية التحريضية الكاذبة، وإلى أن يحين هذا الوقت سيبقى عدد كبير منهم للأسف ضحايا هذا التضليل الإعلامي المحرض.

س: **قلتم إن أكثر المستفيدين من هذه العملية هو أردوغان، وهذا يعني أن هناك مستفيدين آخرين، فمن هؤلاء حسب رأيكم؟**

ج: عقب فشل المحاولة الانقلابية جرت عمليات تصفية واسعة في صفوف المؤسسة العسكرية قبل التحقيق في أحداثها والكشف عن ملابساتها، وتم استدعاء مجموعة من العسكريين الذين أدينوا وتمت محاكمتهم في محاولات انقلابية من قبل، ليحلوا محل هؤلاء المُسَرَّحين.

من جهة أخرى أفادت بعض التقارير التي أعدها الخبراء أن

عمليات التصفية والتسريح شملت أيضا كل من لم يدعم السلطة الحالية في محاولاتها جر البلاد إلى مغامرات مجهولة العواقب، حتى ولو كانوا من مؤيديهم. إنني لست على علم بكافة التفاصيل والمجريات لكن يمكنني القول: إن هناك آلافا من العسكريين الذين ليس لهم علاقة بالانقلابات ولا يؤيدونها قد جرى تصفيتهم، وإذا ما نظرتم إلى هوية هؤلاء الـمُسَرَّحِين ونوعية الذين حلوا محلهم في رتبهم يمكنكم حينئذ الاطلاع على المستفيدين.

س: هل تعتقدون أن الجيش التركي سيظل صامتا إزاء تلك الممارسات التي تم القيام بها في الشوارع؟

ج: من واجب الحكومة أن تسارع بالكشف عن الذين قاموا بهذا العمل وتقديمهم للقضاء، وبذلك ستتم تبرئة من لم يشارك في الانقلاب وتُنْفَى عنهم التهم. لكن الواقع يشهد بأن الإجراءات المتبعة والممارسات التي تجري على الأرض تسير عكس هذا الاتجاه. لقد وقعت منذ البداية أحداث مؤسفة، فقد تعرضت سمعة الجيش التركي للإهانة من خلال عرض صور على شاشات التلفزة الموالية للحكومة لضباط رفيعي المستوى في صورة مهينة، وعليهم آثار التعذيب أثناء التحقيق معهم. كما تم ضرب أحد الجنود الذين كانوا يتواجدون في الشارع حتى لفظ أنفاسه الأخيرة، في حين أن هذا الجندي لم يكن على علم أساسا بسبب خروجه إلى الشارع.

وبالتأكيد مثّلتْ كل هذه الممارسات إهانة للعسكرية الوطنية، ولا شك أن كل من شاهدها أو اطلع عليها من أفراد القوات المسلحة مهما كانت هويته قد أصيب بنوع من الأذى وخدش الكرامة.

اللافت في الأمر أنه كان هناك فئة بين الجماهير -التي خرجت بإخلاص لإنقاذ الوطن من شر الانقلاب كما صُوّر لها- تقوم بالسيطرة على الشوارع، وتمارس هذه الأعمال الوحشية، يظهرون بين الناس وكأنهم أفراد من شعبنا العاديين، في حين أن مكانة الجيش في نفوس الشعب التركي لا تسمح له بممارسة هذه الأفعال.

وقد أشارت بعض التحليلات والكتابات إلى ذلك، لقد كانت هذه الفئة التي انخرطت في صفوف الجماهير يبدو عليها أنها مدربة ومجهزة سلفا للقيام بهذه الأفعال، فملابسهم وطريقة تعبيراتهم وخطاباتهم تشبه إلى حد كبير تعبيرات وملامح المنظمات المتطرفة من أمثال داعش والقاعدة وغيرهما. هذا فضلا عن أنهم كانوا مدربين على قيادة آليات ومركبات صعبة كالدبابات، ممن لا يتسنى للمواطن العادي أن يكون على دراية بها. والسؤال هنا: هل قاموا بدعوة هؤلاء الذين أعدوهم من قبل ليلعبوا دورا في هذه المسرحية؟

لا أستطيع أن أخمن ماذا يمكن أن يقوم به الجيش بعد هذه المرحلة. لقد كان الجيش هو المؤسسة الوحيدة التي لا تزال تحافظ على تقاليدها وثقافتها رغم الضغوط التي مورست عليها.

تعيش السلطة الحالية الآن حالة من جنون القوة، لذا تتسم إجراءاتها وعملياتها التي تقوم بها إزاء الجيش حاليا بالسرعة، ومن شأن هذه التحولات السريعة التي تقوم بها أن تأتي بنتائج عكس ما تتوقع، وتمهد لظهور نوع آخر من المشاكل لم يكن في حسبانهم، لأن اتخاذ قرارات بلا دراسة أو تأن وروية تجاه مثل هذه المؤسسات الجادة يفتح أبوابا من المشاكل يستمر أثرها حتى زمن طويل.

إن تركيا بحكم موقعها الجغرافي تكتسب أهمية كبيرة في المنطقة، ومن جانب آخر فعضويتها في كيان دولي كبير كالناتو يضفي عليها طابعا آخر من الأهمية ويفرض عليها في الوقت نفسه شروطا معينة، لذا فإن هذه الأهمية وهذا الوضع سيحتم على المجتمع الدولي دورا تجاه تركيا، حتى لا تنزلق فيما انزلقت فيه دول الجوار من الفوضى والاضطراب.

كما آمل أن تُلقي ثقافة "الدولة" بثقلها في هذا الموضوع وتدفع المسئولين إلى التعقل لإنهاء هذا الوضع المتردي الذي لا يفتأ أن يخرجنا من دوامة للأخطاء ليدخلنا في دوامة أخرى، وألا يجعلوا الجيش ميدانا لتصفية حساباتهم مغلبين في ذلك مصالح دولتهم وأمتهم على المصالح الشخصية الضيقة، حتى لا يؤدي عدم الحرص في هذا الخصوص إلى الإضرار بمكانة الجيش وسمعته التي يستحقها.

س: كيف تفسرون عدم انتفاضة الشعب التركي ضد هذه الإجراءات التعسفية التي يمارسها أردوغان وحكومته؟

ج: أحب أن أوضح هنا نقطة مهمة وهي أنه ليس في ثقافة الشعب التركي ولا من أعرافه فكرة التمرد، خاصة إذا كانت هذه الإجراءات التعسفية التي تُمارَس ضده تتم من قبل الدولة، فإنه يميل إلى تقبل الأمر الواقع حتى ولو لم يكن راضيا عنه.

أضف إلى ذلك أن الإجراءات التعسفية الأخيرة لم يشهد لها التاريخ التركي القريب مثيلا، ففرض الوصاية الكاملة التي تحدثنا عنها على وسائل الإعلام، وتحويلها إلى جهاز يضخ الدعاية السوداء

ضد أي فئة أو فصيل يحاول الاعتراض حتى ولو كان من المقربين منهم بالأمس، ومصادرة المؤسسات الإعلامية، والزج بالصحفيين المستقلين في غياهب السجون والمعتقلات، والتضييق على كل الوسائل التي يمكن أن يعبر فيها الإنسان عن رأيه حتى وسائل التواصل الاجتماعي، كل هذا أدى في النهاية إلى أن أصبحت وسائل الإعلام الحكومية الموالية ومن يدور في فلكها هي المصدر الوحيد للمعلومات؛ ومن ثم فالشعب الذي يتابع هذه الوسائل لا يمكنه تقييم الوضع إلا في ضوء هذه المعلومات المفلترة التي تقدمها له وسائل إعلام أردوغان وفريقه؛ إذ ليس له من سبيل آخر يمكنه من الاطلاع على حقيقة ما يجري من أمور.

وبعد فضائح الفساد في ديسمبر عام ٢٠١٣ والإجراءات التي اتخذوها في سلكي القضاء والشرطة التي تحدثنا عنها آنفا لم يكتفوا بذلك بل وجهوا نوابهم في البرلمان لإصدار قانون أسموه" الاشتباه" أو الشبهة المعقولة، وهو قانون يتيح للقضاء إصدار مذكرات اعتقال في حق من تحوم حوله "الشبهات" دون وجود أدلة تدينه. كما أسسوا محاكم خاصة تتكون من قضاة مقربين أطلقوا عليها محاكم "الصلح والجزاء"، يحال إليها هؤلاء المعتقلون بناء على تلك الشبهة المعقولة، فصارت القوانين والمحاكم والاعتقالات بذلك أداة للعقوبات السياسية.

وفي سلك الشرطة أيضا قاموا بالتخلص من خيرة رجال الشرطة الذين تلقوا تدريبات عالية المستوى في أوروبا وأمريكا، ولديهم خبرة عالية في الكشف عن الجرائم والتعامل مع مرتكبيها ومنع

العمليات الإرهابية قبل حدوثها، فضلا عن رعاية القوانين واحترام حقوق الإنسان، واستبدلوا بهم آخرين من المقربين. وبدلا من أن تكون الشرطة جهازا لخدمة الشعب، يمثل الحقوق والعدالة صارت أداة في يد الحكومة تبطش بها كما تشاء، وعاد التعذيب مرة أخرى إلى السجون والمعتقلات بعدما كانت حديثا يتناقله الناس عن الماضي.

وفي هذا الجو المرعب الذي بات يخيم على البلاد لا يمكن أن يجازف الناس ويفكرون بالخروج.

فسابقا كانت الجماهير تخرج بكثرة للاعتراض حتى على المشاكل البسيطة كما خرج الناس للحفاظ على البيئة في منتزه "جيزي بارك" بتقسيم، عام ٢٠١٣، وجرى قمعهم بشدة على يد حكومة الحزب الحاكم الذي كان يتزعمها أردوغان آنذاك. ومن بعدها خفت حدة هذه الاعتراضات حتى تلاشت تماما بسبب الإجراءات التي قاموا بها والقوانين التي سنّوها. والآن وبعد محاولة الانقلاب دع عنك فكرة توجيه النقد إلى الحكومة بل بلغ التعسف حدا أن يعدّوك من الخائنين إذا لم تشترك معهم في الهجوم على خصومهم، وتبني خطابهم.

ولست أدري هل يكون من المنطقي في مناخ كهذا أن نتوقع من أبناء الشعب أن ينزلوا إلى الشوارع لإدانة هذه الممارسات التعسفية التي تمارسها الحكومة؟

إن الكفر قد يدوم لكن الظلم لا يمكن أن يدوم. إن دائرة الظلم في البلاد آخذة في الاتساع، وبالتأكيد ستطال شرائح أكبر من المجتمع، وهو ما بدأ يحدث بالفعل، ووقتا ما سيشعر الشعب التركي بالحاجة إلى التعبير عن رأيه تجاه هذا الظلم، وسيسعى لإسماع صوته للآخرين.

س: هل تعتقدون أن الولايات المتحدة ستسلمكم إلى نظام أردوغان مقابل صفقات سياسية بين الطرفين؟

ج: إن موضوع المطالبة بتسليمي ليس أمرا جديدا ظهر بعد محاولة الانقلاب الفاشلة، بل قام رئيس الجمهورية الحالي عقب فضائح الفساد في ديسمبر ٢٠١٣ الذي كان حينها رئيسا للوزراء بمطالبة أمريكا علنا أمام حشود من مؤيديه بتسليمي لهم، ورغم مرور زمن طويل على هذه التصريحات الجماهيرية لم تتخذ الحكومة التركية أي إجراءات رسمية في هذا الشأن. وحسب ما أوردت بعض وسائل الإعلام فقد كان المسؤولون الأتراك في معظم لقاءاتهم التي تجمعهم مع نظرائهم الأمريكيين يبحثون معهم هذا الطلب، ويقدمون لهم بعض الحوافز لتحقيق ذلك، وأحيانا يربطون هذا الملف ببعض المصالح الاستراتيجية المشتركة. لكن المسئولين الأمريكيين لم يعيروا اهتماما لهذا الابتزاز، كما أن المنظومة القضائية هنا تعمل بشكل حيادي ومستقل، ولا تخضع لهذا النوع من الابتزاز والتهديدات. ولا أظن أن أمريكا ستغامر بسمعتها في ملفات حقوق الإنسان والعدالة لا سيما على أراضيها من أجل إرضاء رغبات شخصيات متقلبة كهذه.

لقد أرسلوا مؤخرا إلى هنا تقارير ملفقة تم ترتيبها في وقت مسبق تمتلئ بمزاعم لا دليل على صحتها. أعتقد أن المؤسسات القضائية تدرس تلك التقارير، وتناقش ما إذا كانت تتضمن وثائق جادة. ولكن أرى أن القناعة السائدة لدى المتابعين لهذا الشأن في أمريكا أنه لا يوجد أدلة مقنعة تقتضي تسليم العبد الضعيف لهم.

وأجدها مناسَبة لأكرر ما سبق ورددته سابقا في جميع لقاءاتي الإعلامية: لتؤسَّسْ لجنة دولية من قِبَل أطراف محايدة، تكون مهمتها التحقيق في ملابسات ما جرى في تركيا، على أن يوفروا لهؤلاء المحققين المناخ الآمن بحيث يضمنون سلامتهم الشخصية هم وعوائلهم، وساعتها سأرضى بكل النتائج التي تقرها اللجنة، وإذا كان من بينها إدانتي فسأعود بكل طواعية إلى بلادي مسلما نفسي للعدالة لتتخذ في حقي ما تشاء. وأعتقد أن هذا طريق أيسر من الضغوط وممارسة أساليب وطرق سياسية ملتوية.

س: إذا كان هناك احتمال أن تسلمكم الولايات المتحدة، فهل تفكرون في القدوم إلى مصر؟

ج: مصر تتمتع بمكانة مهمة في العالمين العربي والإسلامي، ولا شك أن زيارتها والجلوس بين علمائها رغبة عزيزة لكل طالب علم، وقد بلغتني أنباء عن توجيه بعض الوجوه الثقافية والسياسية للعبد الفقير دعوة بالقدوم إلى مصر، وهذا موقف يستحق الإشادة والثناء وتوجيه الشكر لمن فكروا فيه.

وبهذه المناسبة، لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير للقيادة المصرية على موقفها النبيل والشهم حيث وقفت حائلا ضد استغلال تركيا لمنظمة التعاون الإسلامي في محاولاتها لإدراج الخدمة ضمن الكيانات الإرهابية، فهذه الوقفة الحازمة من مصر ذات الثقل في المجتمع الدولي لا يمكن أن تنسى، بل هي جميل لن أنساه ما حييت.

لكن كما ترون فأنا هنا أعيش منزويا مع بعض من طلابي نتدارس معا كتب التراث الإسلامي، ولا أغادر المبنى الذي أسكن فيه إلا

لحاجة ملحة كالتداوي أو تلقي الرعاية الصحية، وفي الوقت نفسه لا أريد أن أكون سببا لأي فرد أو دولة في أي أزمة يمكن أن تقع، كما لا أتصور نفسي مصدرا للحرج لأي بلد أتواجد فيه ولا سيما بلدا عزيزا على قلبي كمصر.

إذا قررت الولايات المتحدة ترحيلي من هنا أو تسليمي إلى تركيا لأية اعتبارات فستكون وجهتي القادمة هي تركيا فحسب بكل تأكيد. وإلا فأنا لا أفكر في مغادرة هذا المكان الذي أقيم فيه والتوجه إلى بلد آخر، وأنا هنا أردد مع الشاعر "نفعي" قوله: "لم نلق من الدنيا صفاء، ولا نتوقع من أهلها شيئا، ولا حاجة لنا سوى باب ربنا".

س: كيف تفسر التناقض الحاصل في شخصية أردوغان، ففي الوقت الذي يطبّع العلاقات مع إسرائيل من جديد يصرح بعدائه لمصر إدارة وشعبا في كل محفل؟

ج: إن هذه الشخصية التي تدير البلاد في تركيا حاليا تعيش في أوهام السلطنة والخلافة. فرغم عدم تصريحه بذلك على الملأ، فإنه يحلم بإمارة المؤمنين، وكثيرا ما يلقبه المقربون منه بالسلطان أو أمير المؤمنين لأنهم يعلمون أنه يحب أن يُدعى بذلك، وهو أيضا يرى نفسه أهلا لقيادة العالم الإسلامي، ومن ثم كان يظن أن العالم الإسلامي سينقاد لرغباته تلك. إنه يتكلم عن الدعاء في قبر صلاح الدين الأيوبي والصلاة في الجامع الأموي وكأنه يتكلم عن أجزاء من سلطنته. لقد قدم الدعم للمنظمات الإرهابية التي تقاتل على الأرض السورية أملا في إسقاط النظام هناك وخضوع البلاد له. كما كان يحلم أن يفرض هيمنته على مصر إبان حكم الإخوان ظنا منه

أنه سيتمكن من ذلك. وعندما أخفق وخابت مساعيه بدأ ينقل هذا الملف داخليا يجتذب به أصوات الناخبين وبدأت آلته الإعلامية تقدمه على أنه نصير المظلومين وصوت المستضعفين في كل مكان، في حين أنه لم يقدم لهم شيئا يذكر سوى شعارات جوفاء.

لكن المرير في الموضوع أنه اتخذ من مصر هدفا في كل محفل أو مناسبة ينال منها، ويحرض مؤيديه على توجيه العداء لها، وهناك تقارير إعلامية تقول إنه قد توجه إلى ما هو أبعد من ذلك.

إن الشعبين التركي والمصري تربطهما روابط وعلاقات وثيقة تشكلت عبر قرون ممتدة من الزمان، لذلك فإنني أعتبر ما يجري الآن من تصرفات وتصريحات غير مسئولة من الجانب التركي في حق الجانب المصري نوعا من العبث والهذيان. لكني على ثقة بأن هذا العبث سيتوقف عند نقطة معينة، وسيواصل الشعبان مسيرتهما الأخوية من جديد، في ظل وعي كل منهما بأهمية المكانة التي يتمتع بها كل من البلدين.

لقد تاجروا بقضية سفينة "ماوي مرمرة" واستغلوها في محافلهم الانتخابية أيما استغلال، كسبوا بإعلان عداوتهم لإسرائيل التعاطف الداخلي وحصدوا كثيرا من الأصوات، الشعبُ التركي عاطفته الإسلامية تجاه قضايا أمته جياشة، لقد أنكرنا عليه في هذه القضية "ماوي مرمرة" أن يتصرف وهو مسئول عن قيادة البلاد تصرف الناشطين السياسيين، وبحكم مسئوليته كان عليه أن يتخذ التدابير اللازمة لحماية أرواح مواطنيه، وألا يعرضها للهلاك بدفعهم إلى مغامرة غير محسوبة العواقب، لقد تألمت كثيرا لهذه الأرواح الطاهرة

البريئة التي استشهدت في هذا العمل واستنكرت على من قاموا بهذا الفعل غير الإنساني.

كان هذا رأيي ولم أتردد في إعلانه. حفظُ الأرواح مقدم على حفظ الدين، لقد كان كلامي ساعتها موجها إلى الحكومة، أخذوا هذا الكلام وحرفوه عن سياقه، وبدأت ماكينات إعلامهم تشتغل على التشويه والتخوين والاتهام بالعمالة لإسرائيل، ووجدوها فرصة للمتاجرة بهذا الملف واستغلال مظلومية إخواننا من الفلسطينيين لحصد الأصوات في الداخل التركي ومغازلة العالم الإسلامي بشعارات جوفاء في حق القضية الفلسطينية ونصرة إخواننا الفلسطينيين في حقوقهم المشروعة، بينما التعاون مستمر على أشده بينهم وبين إسرائيل في الخفاء.

إنهم وبعد استغلالهم لهذا الملف أيما استغلال لإحراز بطولات دونكوشوتية وهمية تراجعوا عن كل شروطهم واختاروا طريق التطبيع مع إسرائيل، ولم يقدموا لغزة أي شيء يذكر، وضيعوا حقوق الضحايا الأبرياء الذين قضوا في هذه العملية، فلم يفكوا الحصار عن غزة، ولم تجر محاكمة الجناة في المحاكم الدولية على النحو الذي كانوا يشترطونه. والأعجب أنهم راحوا يسوّقون هذا التطبيع في تركيا ودول المنطقة على أنه انتصار لهم. ومما يحز في النفس أيضا إغلاقهم لجمعية "كيمسة يوكمو" التي كانت تقوم بدور مهم في تقديم المساعدات المالية والطبية لإخواننا في غزة. فكل ما سبق يبين لك مدى ما تنطوي عليه سريرتهم من خداع ومراوغة لا يليقان بالمؤمن حقا.

س: هناك من يؤمن بأن حركة الخدمة قريبة من خط الإخوان؟

ج: إذا كان المقصود بخط الإخوان هو الإسلام السياسي، فنحن منذ بدايتنا بعيدون كل البعد عن هذا الخط. لم يكن قط أبناء الخدمة طالبي سلطة أو ساعين إليها، ولم يدر في خلدنا قط أن نكون فاعلين في إدارة البلاد من أي زاوية. لقد كان همنا الأول والوحيد ابتغاء مرضاة الله من خلال العمل على إنشاء جيل يتحلى بالعلم والفضيلة لنعالج بهذا الجيل ما تفشى في أمتنا ومجتمعاتنا من أدواء الجهل والفقر والنزاعات.

لقد كان أحد النواب في بدايات تأسيس الجمهورية التركية مصيبا حينما عبّر في إحدى خطبه قائلا: إن الحكام هم انعكاس لما يحمله أفراد المجتمع من قيم، فإذا كان الناس كالحليب فإن حكامهم هم زبدته، فالمجتمع الذي يتشكل من أفراد فضلاء لا شك أن حكامهم سيكونون كذلك أيضا. هذه رؤيتنا التي تبنيناها، ومن ثم قام أبناء الخدمة بفتح مساكن للطلبة ومعاهد تحضيرية ومدارس وجامعات، وشجعوا القادرين على التكفل بالفقراء من الطلاب من خلال توفير المنح الدراسية لهم، وفتح مراكز مجانية للمطالعة والمدارسة والتقوِّي في موادهم الدراسية، لحض المجتمع على تعليم أبنائه، وإزالة العوائق من أمام أولياء الأمور غير القادرين في سبيل تعليم أبنائهم، للقضاء على مشكلة الجهل. كما قاموا أيضا بحثّ الأغنياء على توسيع نشاطاتهم الاقتصادية في الداخل والخارج، وتوفير مزيد من فرص العمل للقضاء على مشكلة الفقر. فتخرّج من هذه المدارس أجيال متسلحة بالعلم والمعرفة، يجيدون لغات مختلفة

ولديهم اطلاع على ما جد في العالم المعاصر من علوم وتكنولوجيا. وحصل طلاب هذه المدارس على الجوائز الأولى في أولمبياد العلوم والرياضيات والمخترعات الحديثة، وصارت هذه المدارس ماركة في مجالها في داخل وخارج تركيا، حيث توسعت نشاطاتها لتمتد إلى ١٧٠ دولة. وقد لاقت في كل الدول التي حلت فيها ترحابا كبيرا من المسئولين وأبناء الشعب لما لمسوه من جدية واحترافية في المجالين التربوي والتعليمي.

وقد أسهمت هذه المؤسسات التربوية في تأسيس روح الوفاق بين الأقطاب المتنازعة، ففي البوسنة مثلا جمعت مدارسنا بين البوسني والصربي والكرواتي في صف واحد وهم الذين كانوا بالأمس متحاربين، وأسهمت بذلك في تقليص الخلافات وتعزيز الاتفاقات، مما نتج عن ذلك كله اهتداء أبناء الخدمة إلى تأسيس منتديات للحوار والتعارف والتقارب بين الحضارات والثقافات والأعراق والأديان، عملا بقوله تعالى:" لتعارفوا".

إن أرضية الإخلاص وبذل الجهد والتضحية التي أسسها إخواننا بعرقهم ودموعهم ودأبهم اجتمع عليها من الأعراق والأطياف والثقافات والأديان ما لم يجتمع على أرضية أخرى من قبل، ذلك لأنهم يتوخّون خدمة الإنسان أيا كان لونه أو عرقه أو دينه دون تفرقة أو تمييز. ولشعور المجتمعات بإخلاصهم في هذا المجال تعاونوا معهم وأفسحوا لهم قلوبهم وأوطانهم.

في الستينيات جاءني أحد أقطاب الإسلام السياسي[١] في تركيا،

[١] المشار إليه السيد نجم الدين أربكان. (المحرر)

وعرض عليّ المشاركة في تأسيس حزب سياسي، لكني رفضت عرضه وأصررت على مواصلة العمل في المجال المجتمعي. وبعدها عُرضت علينا فرص كثيرة للانخراط في العمل السياسي، وطلبوا منا ترشيح من نراه مناسبا لتولي وزارات بعينها، لكنا لم نستجب لذلك أيضا. لو كانت لنا مآرب سياسية لكنا قد قطعنا فيها شوطا كبيرا، أو لكان لنا حزب سياسي مستقل، لكن كل هذا يتناقض مع رؤانا وأفكارنا التي نؤمن بها. ومن ثم لم يكن لنا علاقة بأي حزب ولم ندعم في حياتنا سوى المبادئ الإنسانية والديمقراطية التي نؤمن بها؛ لذلك كانت الأحزاب السياسية هي التي تخطب ودنا بالتقرب إلى ما نؤمن به من قضايا مجتمعية، ومن كان صادقا منهم في التقرب إلى هذه القيم والمبادئ كان يلقى منا الدعم والتأييد أيا كانت مرجعيته وخلفيته التي جاء منها. فبالأمس دعمنا تورغوت أوزال وهو وسط اليمين، وبعده دعمنا بعضَ إجراءات ومشاريع بولنت أجاويد وهو يساري، ثم كان دعمنا لحزب العدالة والتنمية في بداياته الأولى، وذلك لأن كل هؤلاء كانوا يتحدثون معنا بنفس اللغة التي نتحدث بها.

أقول كل هذا لأبين أننا لم نقف يوما في موقف قريب من خط الإسلام السياسي، ولا يعني هذا أننا ننكر عملهم في هذا المجال ما داموا مخلصين للأطر الديمقراطية. بل إن مبدأنا الرئيسي هو احترام أفكار كل العاملين في الحقل الإسلامي الوسطي المعتدل مهما كانت انتماءاته، لكن خياراتنا في البعد عن هذا الخط منذ البداية هو ما سِرنا عليها وسلكنا طريقها، ولا نفكر في تغيير هذا المسار بعد ذلك أيضا.

س: كيف ترون مستقبل تركيا؟

ج: إنني على يقين بأن المستقبل سيتغير إلى الأفضل، فهذه الممارسات العابثة التي تجرف بمقدرات الأمة نحو المجهول ستتوقف عند نقطة معينة. كما أنني أعقد الأمل على صحوة الشعب التركي واستفاقته من غفلته، فالأوضاع الجارية الآن من مظالم وانتهاكات واضطرابات محلية وخارجية ستدفع تركيا إلى الانعزال عن محيطها، وهو ما لا ينبغي أن يكون. فمكانة تركيا العالمية والجيواستراتيجية والمعاهدات والاتفاقات التي وقعت عليها تركيا مع جميع الأطراف تقتضي ألا تستمر تركيا في هذه الأوضاع حتى لا تفرض عليها عقوبات دولية تضر بالشعب وبسلامة أراضيه.

لذلك يحدوني الأمل بأن يتحكم المنطق السليم، وأن يُغلّب منطق الدولة على منطق الأشخاص المغامرين، وتحتكم البلاد إلى أعرافها المتبعة في مثل هذه الأحوال، وتعود إلى المسار الديمقراطي الذي بدأت تنتهجه في بدايات حكم العدالة والتنمية، سعيا إلى تحقيق متطلبات شروط الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي في بدايات الألفية الثالثة.

إن كانت لدى السلطة الحالية في تركيا الشجاعة، فليقبلوا بهيئة دولية سواء من الاتحاد الأوروبي أو البرلمان الأوروبي أو حلف الناتو أو من العالم الإسلامي تُحقّق في محاولة الانقلاب، وتُبيّن الحقيقة كاملة أمام الجميع. لكن لا أعتقد أن يستجيبوا. لم يستجيبوا لأي دعوة قدمها لهم هذا الفقير من قبل، لأنهم متورطون في هذه المسرحية، بل المؤامرة.

لقد أكدت مؤسسات وهيئات دولية عديدة، آخرها البرلمان البريطاني، عدم وجود أدلة على تورط حركة الخدمة والعبد الفقير في محاولة الانقلاب الفاشلة في ١٥ يوليو الماضي.

حوار الأهرام العربي مع الأستاذ فتح الله كولن[1]

س: حركة الخدمة لها محبون بالملايين في شتى أنحاء العالم وفي الوقت ذاته لها أعداء يصفونها بأنها أخطر منظمة إرهابية، بصفتكم الملهم الأول لأفكار الخدمة كيف تصفونها؟ وما هي أهدافها التي تسعى لتحقيقها؟ وما وسائلها لتحقيق تلك الأهداف؟

ج: اسمحو لى أن أقول إنني لم أزل منذ بداية حياتي أنظر إلى نفسي كإنسان عاديٍّ. ورأسمالي الوحيد هو أنني لم أسجد لغير الله تعالى، وأمنيتي الوحيدة هي أن يَقبلني ربي عبدا له، ومع ذلك اعتبرت وجودي كفرد في دائرة هذه المجموعة التي يعبَّر عنها في الغالب بـ "الخدمة" أو "حركة المتطوعين" من ألطاف الله تعالى.

ويمكن القول بأن مقولة الأستاذ النُّورسي هي بمثابة خارطة طريق لرجال الخدمة، حيث يقول "إن عدونا هو الجهل والفقر والتفرقة، وسنواجه هذه الأعداء الثلاثة بسلاح العلم والعمل والاتفاق".

ستينات القرن الماضي كانت حقبةً عشنا فيها مرارة انفصام الشباب عن القيم الإيمانية. فمن أهم الدوافع التي كانت سببا

---

[1] تم نشر هذا الحوار بتاريخ ٨ أكتوبر ٢٠١٦ من مجلة الأهرام العربي، العدد: ١٠١٦. وقد أجرى الحوار مع الأستاذ كولن، الإعلامية القديرة السيدة أسماء الحسيني.

في نشأة دعوة الخدمة هو الحاجة الملحة إلى تنشئة جيل مجهز بالعلوم الكونية من جانب، ومتمسك بالقيم الإيمانية من جانب آخر، جيل محترم للقيم الإنسانية، ممتلئ بالأمل والعزيمة، متحلٍّ بالفكر الإيجابي مهما اشتدت الظروف، متمتع بقدرات يستطيع من خلالها إيجاد حلول لأزمات الإنسان، بالإضافة إلى سعة أفقه واطلاعه على ما يجري حوله في العالم.

وشاء القدر الإلهي أن أكون ضمن بضعة رجال بادروا ببذل جهود مباركة محتسبين أجرهم عند الله، دون انتظار مقابل من أحد. وكنت أحاول في كل فرصة تسنح لي أن أبين للناس مدى الحاجة إلى مثل هذه الخدمات ومعقوليتها. وذلك من خلال الدروس التي كنت ألقيها في المساجد، أو في قاعات الندوات والمحاضرات التي كنت أُدْعى إليها، بل وحتى في صالات السينما عندما كان يجتمع الناس للاستماع إلى هذا العبد الفقير، وكنت أنبههم في دروسي ومحاضراتي إلى ضرورة رعاية الشباب المهدَّدين بالوقوع في براثن الضياع من أمثال الإدمان والمخدرات والانحلال الخلقي. عددٌ كبيرٌ من الناس رأوا في هذه المبادرات إخلاصا ومعقولية فآمنوا بها وحملوا مسؤوليتها على عواتقهم. كانت البداية توفيرَ مِنَحٍ دراسية للشباب غير القادرين على مواصلة الدراسة بسبب ظروفهم المادية، وتهيئةَ أرضية آمنة لإيوائهم، بالإضافة إلى بعث الثقة في قلوبهم تجاه القيم الإيمانية التي نشأوا عليها. بعد ذلك أسس هؤلاء المخلصون مساكن للطلاب، وصالات للقراءة، ومدارس أهلية، ومعاهد تحضيرية إلى أن جاء يوم بدأوا ينشئون فيه جامعات أهلية.

من ناحية أخرى، تم تفعيل دينامو العقل المشترك والوعي الجمعي في اتجاه معالجة "الفقر" الذي جعل أمتَنا ترزح تحت نيّر الحاجة واضطرها الى تكفف الآخرين، فأجّج هذا في نفوس الناس مقومات العمل المشترك، مما أدى بهم إلى إنشاء شراكات بين رجلين أو ثلاثة أو أربعة، وبدؤوا يبادرون إلى الخروج من قراهم أو من محافظاتهم بل ومن بلدهم منفتحين على آفاق جديدة للعمل والاستثمار. وبمرور الوقت بدأوا ينخرطون في هذه القافلة، وأصبحوا من رجال الهِمَّة الذين لم يقتصروا على أداء زكاة أموالهم فحسب، بل سعوا إلى أن يكسبوا أكثر ليزيدوا من نسبة عطاءاتهم واستثماراتهم في خدمة الإنسان، فمنهم من انبرى لإنشاء مأوى للطلبة، ومنهم من تصدى لبناء جامعة... إلخ. وبفضل هؤلاء فُتحت مدارس في شتى أنحاء العالم، بالإضافة إلى تأسيسهم جمعياتِ إغاثةٍ إنسانية من أمثال "كيمسه يوكمو" (هل من مغيث؟) لتقديم مساعدات إنسانية إلى المحتاجين في كل مناطق العالم، وعلى رأسهم المحتاجون في بلادنا.

وخلال عملي طوال حياتي مع زملائي في تفعيل هذه الأطر كنت أؤكد دائما على أهمية قيمة التسامح والحوار، وتقبُّلِ الآخرين في مواقعهم، وانطلقتُ في ذلك من قاعدةِ: "سامح الآخرين.. أو على الأقل تغاضَى عن هفواتهم.. وإن كان لا بد، فلا تُرَوِّجْها.."، وشجعت الناس على أن يفتحوا قلوبهم للجميع، ونبّهتُهم إلى الحاجة الماسّة إلى الحوار، وبذل الجهود في سبيل تحقيق ذلك في الداخل التركي للقضاء على ما تعانيه بلادنا من انقسامات إلى معسكرات، بين علويين وسنيين، وبين علمانيين ومُتدينين، وغيرها من أشكال الانقسامات.

بالطبع هذه المشاكل ليست قاصرة على بلادنا فحسب، إذ جلّ بلدان العالم تعاني من نفس الداء.. أي تأجيج الخلافات وإثارة التصادم بين الناس. الواقع أن الإنسان هو من يصنع هذه المشاكل، فحيثما وُجد الإنسان فإن المشاكل تتشابه.. والحلول أيضا لا تختلف.. فكل من كانوا يتجرعون مرارة هذا الداء عندما اطلعوا على هذه الرؤية التي لمسوا آثارها الإيجابية في تركيا، فهموا أن الاختلافات ليست بالضرورة سببا للنزاعات، بل إذا قوبلت برحابة صدر فإنها تتحول إلى ثراء في المجتمع.. مع العلم بأن هذا انعكاس لما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم، وطبَّقه بالأخص في وثيقة المدينة المنورة مع الذين كانوا يحملون أفكارا مختلفة..

فالذين مارسوا هذه التجربة في تركيا، وعاشوا معها، وخبروا نتائجها الطيبة، توجهوا بمشاريع متواضعة تعبر عن هذه الروح إلى أغلب دول العالم. وبسبب سلوكهم الإنساني هذا لاقوا ترحيبا في كل بلد حلوا فيه. وإلى اليوم لا يزالون يواصلون أنشطتهم في المؤسسات التربوية التي تم إنشاؤها في تلك البلدان بنفس الترحاب على الرغم من السعي الحثيث للقيادة التركية الحالية من أجل إغلاق تلك المؤسسات حتى لو كانت مدرسة صغيرة في منطقة نائية. إنهم لا يدَّخرون جهدا في سبيل التخريب، بل يقدمون وعودا شتى مغرية للمسئولين في بعض البلدان للقضاء على هذه المؤسسات، ولكن العالَم لم يتخل عن رعايتها بعدما عاين بنفسه معقوليتها وأهميتها ونافعيتها.

والحاصل أن "الخدمة" ليست تنظيما بالمعنى الذي يقصدونه، بل هي مشروع تطوعي بالمنطق القرآني مرتبط بالمعقولية الإنسانية.

فالذين تعلقت قلوبهم بهذه الفكرة يقومون بتضحيات في خدمة الإنسانية، ليس لأنهم منتمون إلى هذه الفئة أو تلك، بل لأنهم يؤمنون بأن هذه الحركة تقوم بأعمال تتوافق مع المنطق القرآني وتتسم بالمعقولية. ومن ثم يسارعون لتلبية النداءاتِ التي وُجهت إليهم من أجل القضاء على الجهل والفقر والتفرقة.

س: ذكر بعض المحللين أن حزب العدالة والتنمية كان يمثل الغطاء السياسي للخدمة في حين كانت الخدمة تمثل الجناح الدعوي له، فهل كنتم بالفعل على نفس الخط مع الحزب ومن ثم كنتم تقومون بتأييده؟ وما مدى دعم الحزب لكم؟

ج: نحن الذين تعلقت قلوبنا بالخدمة، لم نكن يوما ما على نفس الخط مع أية حركة سياسية، لا مع حزب العدالة والتنمية ولا مع سائر الأحزاب التي سبقته. ففي سبعينيات القرن الماضي تقدَّمتْ إليَّ بعض الجهات (نجم الدين أربكان) بمقترحات للانخراط في العمل السياسي، ولكني لم أستجب لأي منها، لأنني -بحسب وجهة نظري- أرى أن العمل السياسي والتنافس على السلطة منهج غير مناسبٍ لتحقيق الغايات الكبرى التي تتوخاها الخدمة، المتمثلةِ في محاربة ثلاثة أعداء عالميين، هم الفقر والجهل والصراع بمختلف أشكاله، عن طريق التربية والتعليم ودعم الأنشطة الاقتصادية والإغاثية والتركيز على برامج الحوار في كل مكان من العالم، على النحو الذي وضحناه آنفا.

وأما ما تطرقتم إليه في سؤالكم، فإن غاية ما قمنا به هو تشجيع السياسات الواعدة بسلامة البلاد ورخاء مستقبلِها.. ففي سنوات

حكم حزب العدالة والتنمية الأولى كانت سياساته تهدف إلى تنمية البلاد، وإعطاء الأولوية لقيم من أمثال الديمقراطية والعدالة وحقوق الإنسان واحترام الآخرين وسيادة القانون، ونحن بدورنا اقتنعنا بذلك وأيدناه.. لكن البعض قرأ موقفنا هذا وكأننا نؤيد الحزب على الإطلاق، إضافة إلى أنني لم أدع في أي فترة من الفترات إلى تأييد أي حزب من الأحزاب ولم أمل على أحد التصويت لحزب بعينه، لأنني أعتبر تصرفا كهذا تعديا على حريات الآخرين وعدم تقدير لذكائهم واستهانة بإرادتهم المستقلة. والمرة الوحيدة التي دعوت فيها الناخبين إلى التصويت بالموافقة كانت بمناسبة الاستفتاء العام على حزمة التعديلات الدستورية في العام ٢٠١٠ والتي كانت تهدف إلى توسيع نطاق الحقوق والحريات الديمقراطية.

ولعل هذا هو ما جعل بعض الناس يعدوننا من داعمي حزب العدالة والتنمية، إن كل ما فعلناه هو تبني القيم العالمية التي كان الحزب أيضا يدافع عنها آنذاك.. ولكن تبين لاحقا أنه لم يكن مخلصا في نواياه، فصرنا مثل الآخرين ضحايا حسن ظننا، حيث تعلقنا بالظاهر وتم خداعنا، ومن الممكن أن يتعرض المؤمن للخداع لكنه لا يمكن أن يكون أبدا مخادعا.

أما فيما يتعلق بدعم الحزب للخدمة، فالسلطة ليست مقام منة وتفضل، بل هي وسيلة للقيام على خدمة الناس ورعاية شئونهم، ومن مسؤليات كل حاكم أن يلبي مطالب مواطنيه بقدر الإمكان بشرط ألا تكون مخالفة للقوانين وألا تُخِلّ بمبدأ المساواة بين المواطنين. ولم يصدر من رجال الخدمة يوما ما مطالب أو خدمات

تخالف هذه المبادئ الرئيسية. ومن ثم فلم تحصل الخدمة على أي امتيازات أو استثناءات بل لم تقبل بذلك أصلا، ولعل هذا هو الذي زاد وتيرة الحنق والغيظ على أبناء الخدمة إذ لم يستطيعوا أن يكمموا أفواههم بأي امتيازات أو استثناءات كما فعلوا مع آخرين.

الحزب بما يمارسه الآن من أفعال يسعى جاهدا لإثبات أنه لم يكن بالأمس أيضا بجانب الخدمة.. نحن نعتبر أن ما يحدث معنا الآن فرصة منحها الله لنا ليغربل صفوفنا وهي سنة الله مع كل من يتصدى للنفع العام ولنا في الأنبياء العظام وعلى رأسهم فخر الكائنات أسوة حسنة. كما أنها فرصة أيضا ليطلع العالم على حقيقة هؤلاء المخلصين الذين تتشكل على أيديهم هذه الخدمات المنتشرة في كل مكان. فمع حجم المحنة التي يعيشونها، يقدمون أروع النماذج في التسامح والسلام وعدم الانجرار إلى ردود الأفعال ومواصلة العمل الإيجابي البناء.

س: بالنسبة لما آلت إليه الأحداث فإن حزب العدالة والتنمية في محاولاته لإظهار الخدمة على أنها كيان إرهابي، قد حملكم شخصيا ومن ورائكم الخدمة مسئولية المحاولة الانقلابية الفاشلة التي وصفتموها بـ"المسرحية"، بل وصل الأمر إلى حد مطالبة الولايات المتحدة بتسليمكم على خلفية هذه الأحداث، فما الطريق الذي ستسلكونه إذا ما رأت الولايات المتحدة تسليمكم لأردوغان؟

ج: بدايةً أود أن الفت النظر إلى أن وصفنا لما حصل بأنه "مسرحية" لا يعني التهاون بجريمة راح ضحيتَها هذا الكمّ من الأبرياء الذين أدعو الله أن يتغمدهم بواسع رحمته. لكن مسارعة أردوغان

والموالين له إلى اتهام الخدمة، واستهدافنا بتلك الاتهامات قبل تكشف الحقائق ودون أي دليل، ثم تطور الأحداث بعد ذلك نتيجة لهذه الاتهامات من تشريد واعتقال عشوائي لمجرد التعاطف مع الخدمة، أو دعم الأعمال الخيرية التي تقوم بها، واختلاط الحابل بالنابل هو ما دعا إلى القول بأنها "مسرحية". والآن وبعد ما شاهدنا ما آلت إليه ماكينة الظلم والافتراءات يمكننا القول بأنها "مؤامرة". لقد كانت الموضة السائدة بالأمس قبل انكشاف فضائح الفساد في العام ٢٠١٣ التي ثبت فيها بالأدلة المصورة تورط شخصيات كبيرة من الوزراء وأبنائهم.. كانت الموضة مدح حركة الخدمة والإشادة بمنجزاتها على الصعيدين المحلي والعالمي. فإذا راجعت الفيديوهات الموجودة على أرشيفات اليوتيوب والعالم الرقمي فستجد أن كل من كان يمسك بيده الميكروفون من المنسوبين إلى الحزب بمن فيهم أردوغان، يسردون قصصا ملحمية في مدح الخدمة، لكن بعد هذا التاريخ تحديدا وبعد اكتشاف ملفات الفساد والسرقات والرشاوي التي تورط فيها قيادات من الحزب والتي كشفت عنها تحريات الشرطة وتحقيقات النيابة إذا بهم يصنفونها في عداد الخائنين.. وبدلا من تفعيل العملية القانونية ومحاولة إثبات براءتهم من التهم المنسوبة إليهم في ساحات القضاء راحوا يتهمون الخدمة بمحاولة تدبير انقلاب على الحكومة، دون أي دليل يثبت افتراءاتهم تلك، في محاولة غير نزيهة للتغطية على تلك الفضائح، وبدأوا يمارسون إجراءات في الشرطة والقضاء بحيث يكون الجميع تحت وصايتهم ويتمكنون من الإفلات من جرائمهم. ثم طالب في

تصريح علني أمام الحشود الجماهيرية رئيسُ الجمهورية الحالي الذي كان رئيس الوزراء آنذاك الولايات المتحدة بإعادتي، ولكنهم لم يتقدموا بطلب رسمي، بل كانوا يقدمون أثناء مقابلاتهم مع المسؤولين الأمريكيين اقتراحات مغرية لتحقيق هذا الطلب، ولكنهم لم يجدوا استجابة في هذا الصدد من الأمريكيين، وأظن أنهم لن يجدوا شيئا من ذلك هذا اليوم أيضا، فالولايات المتحدة لن تغامر بسمعتها في سيادة القانون واحترام حقوق الإنسان والحفاظ على القيم الديمقراطية، لمجرد تلبية رغبات شخصية لبعض الناس. قد يستطيعون خداع البعض ممن يسير خلفهم أو يصدق كلامهم بلا أي دليل أو برهان لكن حيلهم تلك لن تنطلي على العالم.

وفي المقابل، أود أن أكرر هنا ما قلته سابقا في مناسبات عديدة: فلتتشكل لجنة دولية من قِبَل أطراف محايدة، تقوم بالتحقيق في محاولة الانقلاب المشؤوم هذا، فإذا أثبتت الأدلة –كما يدَّعون- أنني المخطط أو الموجه لهذا الانقلاب، أو لي أدنى صلة به، فلن أنتظر ساعتها قرار الولايات المتحدة، وسأحجز تذكرتي إلى تركيا على حسابي الشخصي، وأسلم نفسي للعدالة هناك ليبتوا في شأني بما يشاءون.

س: تردد في الأوساط الإعلامية والبرلمانية توجيه مقترحات بدعوتكم إلى مصر، في حال إذا اقتضى الأمر مغادرتكم للولايات المتحدة هل تفكرون في القدوم إلى مصر؟

ج: لا أفكر بالمغادرة من هنا حاليا ما لم تكن هناك أسباب قاهرة. أنا مقيم في هذا المكان منذ ١٧ عاما، لم أتعرض لأي إساءة من الجيران أو ممن يعيشون هنا، بل كانوا طيبين ومرحبين بنا دائما.

ولكن كما قلت قبل قليل إذا صدر قرار قضائي في حقي للترحيل من هنا فإنني سأغادر إلى تركيا دون تردد. أنا أعيش آخر أيام حياتي. ولعلها تكون فرصة يمنحني الله إياها لأبصق على وجوه بعض الظلمة، قبل أن أتابع مسيري إلى الدار الآخرة.

بعض وجوه مصر من المثقفين والمسؤولين تصرفوا بما يعبر عن شهامتهم ونبلهم. ولا أحسب أن تداول مثل هذه الموضوعات في المنابر الإعلامية والسياسية يتم بمنأى عن القائمين على تدبير الشأن في البلاد. لذلك أنتهز الفرصة وأقدم شكري لكل من تعاطفوا مع العبد الضعيف من صميم قلبي.

وبهذه المناسبة، فكل بادرة تهدف إلى إنصاف مظلوم أو تبرئة مفترى عليه ودعمه عمل يستحق الإشادة والتقدير، وقد اتخذت مصرُ موقفا من هذا القبيل حين وقفت حائلا ضد استغلال تركيا لمنظمة التعاون الإسلامي في محاولاتها لإدراج الخدمة ضمن الكيانات الإرهابية، فهذه الوقفة الحازمة من مصر ذات الثقل في المجتمع الدولي لا يمكن أن تنسى، بل هي جميل لن أنساه ما حييت.

في الحقيقة مكانة مصر في قلبي لا تقل عن تركيا، رغم أنني لم أتشرف بزيارتها من قبل. يصف بديع الزمان النورسي المصري بأنه ابن الإسلام الذكي. ومن ثم تتميز مصر بنفس الأهمية التي تتميز بها تركيا. شخصيا لا أريد أن تسوء العلاقات بين مصر وتركيا وتنقطع. لا أريد أن أكون سببا يجر مصر إلى مشاكل بينها وبين تركيا، فمع شكري وامتناني العميق لهذه اللفتة الكريمة أفضل البقاء هنا حاليا ولن أغادر إلى أي مكان آخر إلا إلى تركيا.

س: برغم اطلاعكم على نوايا أردوغان العدائية الخفية منها والمعلنة تجاه الخدمة لماذا لم تعملوا بما لديكم من ثقل مجتمعي على إضعاف حزبه أو إيجاد بدائل أخرى له أو دعم حزب آخر معارض له؟

ج: إننا مسلمون، وبمقتضى تربيتنا الإسلامية لا يمكن أن نفعل شيئا يتناقض مع مبادئنا التي تربينا عليها. فالألاعيب السياسية والتفكير في إضرار من يعتبروننا منافسين أو السعي إلى إزاحتهم من الساحة وفق المنطق الميكيافيلي، كل هذا بعيد كل البعد عن رؤانا التي نتبناها. فمهمتنا هي البناء والإنشاء، أعني العمل الإيجابي.. وكما قال الأستاذ بديع الزمان النُّورْسي: نحن فدائيو المحبة، ولا وقت لنا للخصومة، وإن كان لا بد أن نعادي، فعدونا هو العِداء ذاته.. لذلك لم نفكر قط في تسيير قافلتنا على حساب الآخرين أو من خلال العمل على تعويقهم، ولن يكون ذلك في المستقبل أيضا.. فكما ذكرت سابقا، لم أقل للمتعاطفين مع الخدمة: صوِّتوا للحزب الفلاني، كذلك لم أقل لهم لا تصوتوا للحزب الفلاني أيضا.. فكل فرد منهم واعٍ بقيمه، وكل حزب يقترب من تلك القيم فسيصوِّت له حتما، يصوت لمن يشاء، ويدعم من يشاء، وإذا رأى أن حزبا يناقض قيمه تلك فلن يصوت له، كما أن وعود الأحزاب السياسية وإنجازاتهم معلومة للجميع، لذا فإني أرى توجيه الناس في هذا الصدد نوع من الاستخفاف ببصيرتهم وفراستهم.

س: لقد فرضوا الحراسة على بعض الشركات وقاموا بمصادرتها وعينوا عليها حُرَّاسًا قضائيين، والآن قاموا بمصادرة جميع

مؤسسات الخدمة ثم إغلاقها، لماذا اخترتم الاستسلام وعدم المقاومة؟ ولماذا لم تدع أبناء الخدمة إلى التظاهر والخروج إلى الشوارع والميادين اعتراضا على هذه الممارسات؟

ج: من الوارد أن هناك فئة كانت تستهدف حدوث ذلك، أعني الانجرار إلى الميادين، فمنذ أعوام وهم يضعون مؤسسات الخدمة وأبناءها تحت المجهر، ولجانُ التفتيش لم تترك شاردة ولا واردة إلا فحصتها فحصا دقيقا أملا في العثور على تهمة أو شيء يشوهون به الخدمة ويشنعون عليها، ولكنهم لم يعثروا على شيء، ولو كانوا عثروا على شيء طفيف لضخَّموا الأمر وجعلوا من الحبة قبة كما يقال، ولطاروا به إلى كل الدنيا. ولعلكم تابعتم بعضا مما تسرب من هذه الأفعال إلى الخارج، فقد حاولوا أن يغتالوا الشخصية المعنوية لهذه الحركة التي أفنى أبناؤها ذواتهم فيها في سبيل العمل على نشر القيم الإيمانية والإنسانية التي يؤمنون بها، فعمدوا إلى وصمهم بالإرهابيين وتوسلوا إلى ذلك بمخطط شيطاني، وهو أن يضعوا السلاح في بعض أماكنهم التي يتواجدون فيها ثم يقومون بمداهمتها وتصويرها قائلين: ألم نقل لكم إن هؤلاء إرهابيون؟ وها هو سلاحهم، لكن كل ذلك لم ينجح، ولن ينجح.. بل حتى الذين كانوا يتخذون موقفا عدائيا ضد الخدمة سخروا من هذه الترهات، وقالوا لهم: "صفوهم بما شئتم، وقولوا في حقهم ما تريدون، لكن لا تصفوهم بأنهم إرهابيون، فإن ذلك لن ينجح".

لقد كان هدفهم من إغلاق المؤسسات وتدميرها بهذا الشكل العنيف، وإهدارِ كل الجهود المتراكمة على مدار السنين، بالإضافة

إلى إطلاق أعوانهم والموالين لهم لينهبوا هذه المؤسسات ويستولوا عليها هو الضغط على مشاعر أبناء الخدمة واستدراجهم إلى الشوارع وتصويرهم عندها على أنهم إرهابيون مخربون.

ولكننا بفضل الله أولا، ثم بفضل التربية التي نشأنا عليها لم نحقق مرادهم ونُستدرج إلى ما يريدون، فلم يصدر من أبناء الخدمة رد فعل على كل هذه الاستفزازات حتى ولو بوكزة، وأكثر ما سرني في خضم هذه الأحداث المليئة بالأحزان هو أن أحباءنا تَخَطَّوْا هذه الامتحاناتِ أيضا بنجاح باه. وبهذه المناسبة رأى العالَم بأم عينيه من خلال هؤلاء الأخيار مدى أهمية الاستثمار في الإنسان، ونوعيةَ الناس الذين قامت الخدمة بتربيتهم.

س: **إذا كنتم إزاء كل هذه الممارسات والانتهاكات قد رجحتم ضبط النفس وانتهاج السبل القانونية، فلماذا لم تتلقوا دعما من المعارضة السياسية في تركيا، ولماذا لا يصطفون إلى جانبكم مع سائر القوى الأخرى للحد من التوغل الديكتاتوري لأردوغان؟**

ج: هناك إشكال في تركيا أشرت إليه من قبل مرارا، وهو غياب المعارضة السياسية الحقيقية. لا يوجد معارضة قوية وجادة. هنا في أمريكا ديمقراطيون وجمهوريون، أحيانا يتفوق الأول على الثاني أو الثاني على الأول ببعض النقاط الطفيفة، بما يعني أن هناك منافسة نِدّية، تمكّن من تداول السلطة، هناك انتقادات ذاتية ومحاسبة دقيقة للسياسات حتى لا يخسروا في الانتخابات، وهو ما يدفعهم للالتزام بمبادئ الديمقراطية أكثر.

في تركيا تم تدجين المعارضة بالكامل، وربما الظروف تطورت في

ذلك الاتجاه. سابقا كان كلٌّ مِن حزب الطريق القويم وحزب الوطن الأم يشكلان الأغلبية. ولكن بعد تداعي هذه الأحزاب من الداخل وفقدها لتأثيرها أقبلت جماهير الشعب على دعم الحزب الحاكم حاليا ومن ثم بدأت شوكتهم تزداد يوما بعد يوم، مع غياب حقيقي لأحزاب المعارضة، وهذه هي إحدى كبرى مشاكل تركيا حاليا.

أضف إلى ذلك أن بعض أحزاب المعارضة كان لها موقف سلبي إزاء حركة الخدمة من قديم. لا أريد أن أسميه، لكن واحدا من الأحزاب الكبرى في المعارضة[١] كان يمنع أعضاءه من الحضور في أولمبياد الثقافة واللغات التي كانت تقوم مدارس الخدمة بتنظيمها. لكن بعض الأوفياء منهم كانوا يقولون للإخوة "سنأتي إكراما لكم ووفاء، ولكن نرجو ألا تجلسونا في الصفوف الأمامية، دعونا نجلس في الوراء حتى لا نظهر". إذن هناك نوع من الانزعاج وعدم الاستساغة منذ ذلك الوقت. يمكنني أن أقول الشيء نفسه بالنسبة للحزب الآخر كذلك (حزب الشعب الجمهوري). بل يمكنني القول نفسه لمن كانوا سابقا يهانون ويطردون ويهمشون في جنوبي شرقي تركيا (حزب الشعوب الديمقراطية). لقد كانوا يحملون النوايا والأفكار ذاتها في قرارة أنفسهم. ومع الأزمة الراهنة استحسنوا ما وقع فقالوا: "ليأكل هؤلاء (قيادة أردوغان) الطرف الآخر (الخدمة)، لينكلوا بهم ويقضوا عليهم". نعم ذهبوا في هذا الاتجاه ولم يكونوا مخلصين لمبادئهم، تجاهلوا المستقبل، توقعوا أن الأمور ستجري على هذا الشكل إلى الأبد.

---

[١] يشير إلى حزب الحركة القومية. (المحرر)

يمكن أن نقول إنهم وجدوا قاسما مشتركا فيما بينهم، موضوعا اتفقوا عليه جميعا، هو القضاء على حركة الخدمة. حركة الخدمة حركة إنسانية انطلقت تخدم الإنسانية في ١٧٠ بلدا في العالم. تسعى إلى أن يعانق الإنسان أخاه الإنسان بمحبة... المساجد إلى جانب الكنائس والصوامع مع المعابد جنبا إلى جنب دون حرج... في ولاية "هوستون" الأمريكية رأينا نموذج المسجد وإلى جانبه كنيسة، في تركيا رأينا مشروع مسجد وإلى جانبه دار الجمع لإقامة روح التعايش بين العلويين والسنيين.

هذه المشاريع تمت بإذن الله وعنايته، وفشلت جميع مخططاتهم التي تخدم روح التفرقة، لذا لم يستسيغوها بل حقدوا عليها، يقولون اليوم: "لا تتفوهوا بكلمة اعتراض على المظالم التي تقع، اتسعت أنشطة هؤلاء كثيرا، دعوا القيادة الحالية تقضي عليهم، ولا شك أن السياسات المجحفة التي تنتهجها الحكومة ستضعفها هي كذلك، ومن ثم نوقع عصفورين بحجر واحد". أعتقد أنهم يرددون أيضا: "غدا ستتدخل القوى العظمى في هذا الموضوع وستقضي على القيادة الحالية، فيفتح لنا المجال ويكون لنا دور يومئذ". لا نستبعد هذا النوع من التفكير البراغماتي لدى هؤلاء. هذه توقعاتي من خلال قراءتي المتواضعة للمشهد من الزاوية الاجتماعية والسيكولوجية.

س: كيف تنظرون إلى ما تفشى في تركيا من انحلال أخلاقي، وانتشار للفساد، وتزايد حدة الاستقطاب المجتمعي جراء السياسات الخاطئة حول الهويات العرقية؟

ج: إن من يزعمون أنفسهم "متدينين" هم صاحب النصيب الأعظم

في هذا الضرر، فقد عمدوا إلى استغلال مشاعر الناس الدينية، ولم يقدموا شيئا يخدم الدين، ويبدو أن المناصب الفخمة التي شغلوها والأماكن الراقية التي سكنوها بعدما كانوا يسكنون في أطراف المدن قد أثرت فيهم تأثيرا سلبيا، فقد تعرَّضوا لتسمم المنصب والقوة.. ولم تمض فترة قليلة حتى أحاط بهم مجموعة من النفعيين، وبما أنهم لم يضعوا مسافة بينهم وبين الدنيا سرعان ما وقعوا تحت تأثير هؤلاء المحيطين بهم.

ولكن ما يحز في النفس أنهم لم يجدوا حرجا في أن يُغلِّفوا كل ما اقترفوه بلباس الدين، بل حصلوا على فتاوى من أناس تخيلوا أنفسهم في مقام شيخ الإسلام تبيح لهم تلك الأفعال، فارتكبوا المعاصي باسم الدين، ونفّروا الناس بسلوكهم هذا من الدين، حتى وصل الحد ببعض الناس إلى أن يقولوا: "إذا كان ما يعمله هؤلاء دينا فنحن منه بُرَءاء"، ففقدوا بذلك ما تبقى لديهم من احترام وما توارثوه عن أجدادهم من قيم. هؤلاء تخطوا كل الحدود في إيثار المقربين منهم وإقصاء من ليس منهم، وإذا أمعنتَ النظر فيما يقولون ويكتبون فستلاحظ التبرير المستمر لكل فساد أو رشوة أو مخالفات شرعية تصدر من هؤلاء المقربين، وكأن المقرب منهم معصوم.

إن سلوك الإنسان ومعاملاته هي التي تعبر عن مدى التزامه بالدين، فالله سبحانه وتعالى لا ينظر إلى الصور، بل إلى القلوب وما فيها من إيمان. لقد انخفض سنُّ تعاطي المخدرات حتى وصل إلى مستوى تلاميذ المرحلة الابتدائية، والانحلال الأخلاقي يعيش عصره الذهبي، ولكن لا حياة لمن تنادي.

لقد بلغت فضائح قضايا الفساد في ٢٥/١٧ من ديسمبر/ كانون الثاني عنان السماء، وقد قاموا بإحراق كل مكاسب البلاد للتغطية على هذه الفضائح. إن الإنجازات التي حققوها إلى ذلك اليوم كانت رائعة، لقد كان بإمكانهم أن يقولوا حين انكشفت تلك الفضائح: "على كل مَنْ تورط في قضايا الفساد هذه أن يمثل أمام العدالة، ليبرّئْ نفسه ثم ليأتنا"، ولو فعلوا لضربوا أروع الأمثلة في النزاهة والعدالة ولَعُدّوا من أبطال التاريخ، لكن يبدو أن المستنقع كان من العمق بحيث لم يتجاسروا على ذلك، وغيروا وجهتهم من أجل إنقاذ أنفسهم وعائلاتهم، ولكنهم للأسف يجرون البلاد الآن إلى مغامرة مجهولة العواقب.. لقد زادت حدة سياسة الاستقطاب منذ ذلك الحين، وقد كان الرئيس يستخدم لغة التصعيد للتغطية على كل هذه الفضائح، ومنذ ذلك الحين لا يزال يستخدم تلك اللغة. ليس هو فحسب بل صارت هذه اللغة لغة الحكومة والموالين له، وبدلا من التعقل ومعالجة الأمور بحكمة أدخل البلاد في حالة جهنمية، وصار يتعامل مع نصف الشعب وكأنهم لاشيء، على الرغم من اعتلائه كرسي الرئاسة الذي يفرض عليه أن يكون رئيسا للجميع، وفي ظل وضع كهذا لا يمكن الحديث عن الاستقرار في البلاد.

وإذا راقبتم تصريحاته في السنوات الثلاث الأخيرة فسوف تطلعون على مدى التقلبات التي تكتنفها، فما كان يصفه بالأمس بأنه أبيض يصفه اليوم بأنه أسود وهكذا.. وسياسته في الملف الكردي والتعامل مع عناصر حزب العمال الكردستاني لا تختلف عن هذا، فبذريعة عملية السلام التي كان يجريها معهم كبَّل أيدي الشرطة

والجيش، ولم يأذن لهم في التعامل مع الإرهابيين المستقرين في الجبال. وقد استغل هؤلاء الإرهابيون هذه الفرصة وحولوا المناطق والمدن التي كانوا يتحركون فيها بكل أمن إلى مستودعات للسلاح. لقد كانوا يُخوّنون كل من ينبههم إلى هذا الخطر ويُسكتون كل صوت يحذر أو يتحدث في هذا الأمر. واليوم بدؤوا هم أنفسهم يتحدثون عن هذه الأمور، يخوِّنون أفراد الشرطة والجيش ويلقون باللائمة عليهم، ويتهمونهم بالتقصير والإهمال. وفي هذا السياق فإن أكبر المتضررين هم أبناء الشعب من الأكراد الذين قُتل منهم كثير من الأبرياء، ودُمرت بيوتهم، وأزهقت كثير من أرواح المدنيين، بل وحتى أخليت قرى وبلدات كاملة من ساكنيها فرارا من الحروب والدمار.

س: إن العلاقات الخارجية التركية هي أيضا متأزمة، وهناك كثير من الدول لديها قناعات بأن تركيا تدعم المنظمات الإرهابية من أمثال داعش والقاعدة وغيرها.. فكيف تقيّمون علاقة أردوغان مع دول العالم وبالأخص دول الجوار؟

ج: حينما نما إلى مسامعي هذا الحديث شعرت بقلق بالغ، وتمنيت ألا يكون صادقا. ولكن كما تتابعون، أصبحت هذه الأخبار من الأمور العاديَّة، حتى إن بعض الدول الكبرى بدأت تتحرك في هذا الاتجاه، وتجهز ملفات حول إثبات هذه الموضوعات التي يدور الحديث حولها.

ومع الأسف نحن أمام شخصية لم تستطع أن تتفهم مسئولية المنصب الذي تشغله، ويبدو أن أحلام الخلافة وإمارة المؤمنين التي تراود خياله لها تأثير على شخصيته. فهو يظن أن العالم الإسلامي

سينقاد خلفه ومن ثم تراه يتحدث عن الدعاء في قبر صلاح الدين الأيوبي، والصلاة في الجامع الأموي، وكأنه يرى التدخل في الشأن الداخلي للدول الأخرى حقا طبيعيا له. وكما هو معلوم فإن سياسته كانت تميل إلى تأجيج الأحداث وصب الزيت على النار، خاصة فيما يتعلق بالأحداث في مصر وسوريا. ومن المرير اعتقاده بأنه يحرز مكانة عالية من خلال استغلال مظلومية الملايين من الناس.

ولتحقيق الهيمنة وأحلام السلطنة، صارت الرغبة في دخول الأراضي السورية هاجسا ملحا وعقدة تضغط عليه، فقام بدعم المنظمات الإرهابية من أمثال داعش بشكل علني، وتخيَّل أنه إذا دعم معارضي النظام السوري فسيطيح به، بل إن طموحه هذا لم يقتصر على سوريا بل تعداها إلى دعم كل حركة إرهابية تستخدم في ظاهرها خطابا إسلاميا. ومؤخرا تناولت وسائل إعلام عالمية نوع الأسلحة التي أُرسلت والجهات التي تلقتها. ولما تم القبض على الشاحنات التي تحمل هذه الأسلحة أصيب بنوع من الهذيان، وبدلا من توضيح الحقائق لشعبه بدأ بتشريد القضاة والمدعين العموم والجنود وأفراد الشرطة الذين نفذوا هذه العملية وزجَّ بهم في السجون. والواقع أن الإنسان لا يمكنه تحقيق أي إنجاز عن طريق التدمير، التدمير سهل لكن التعمير ليس بنفس هذه السهولة، فالسلاح الذي تُمِدّ به غيرك قد يأتي يوم ويُصوَّب إلى صدرك.

منذ زمن بعيد وأنا لا أزال أردد القول بأنه لا يمكن حل أي مشكلة عن طريق العمليات الإرهابية. بل وصل بي الأمر إلى التعرض للاستهداف بسبب تصريحاتي المناهضة للإرهاب، فقد كنت أردد

دائما أن المسلم لا يمكن أن يكون إرهابيا، ولن يكون الإرهابي مسلما حقيقيا. فالإرهاب إرهاب مهما كان مرتكبه مسلما أو غير مسلم، وليس هذا مسلكا ناجعا، ولو كان كذلك لسار عليه الأنبياء وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. نعم، لقد خاض حروبا في زمانه لكنها كانت حروبا دفاعية، لم يكن الرسول ﷺ هو البادئ بها، لقد وضع كل الإستراتيجيات الدفاعية ضد هجمات الجيوش التي جاءت، محاولا تقليل الخسارة بأقل درجة ممكنة.

إنه واقع مرير. ولكنه حقيقة يشهدها العالم، فمن جانبٍ هناك مسئولون يستخدمون الشعارات الدينية لتحقيق مكاسب سياسية، ولا يكترثون بنزيف الدماء ما دام يخدم أجندتهم، ومن جانب آخر، هناك معماريو السلام الذين يُنشئون المحاضن التربوية لخدمة الإنسانية.. لقد وضع هؤلاء المسئولون نصب أعينهم إغلاق هذه المؤسسات التي تصنع خميرة القضاء على العداوات مستقبلا. وبالفعل أغلقوها في تركيا بمنتهى الوقاحة والصلف، وهم الآن يواصلون سعيهم الحثيث لإغلاقها في شتى أنحاء العالم، وليس لنا إلا أن نسأل الله تعالى أن يعيدهم إلى صوابهم.

س: ما سبب عداء أردوغان لمصر حسب رأيكم؟

ج: لا أظن أن هذا العداء قاصر على مصر فحسب، بل إنه يضع نفسه في مكانة معينة، ومن ثم يرى كل من لا يضعه في هذه المكانة خصما، فكل من لا يراه "خليفة" للمسلمين أو "سلطانا" للعالم الإسلامي هو بمثابة عدو. والحقيقة أن هذه حالة مرضية ينبغي للمتخصصين أن يتناولوها بالبحث.

فعندما كانت إدارة مصر بيد من يراهم مقربين منه، كان يسعى أن يكون له هيمنة عليها من خلالهم. لكنَّ مصرَ التي تمثل عنصر توازن للمنطقة والعالم الإسلامي تَنبهتْ لهذا مبكرا، واتخذت موقفا حياله، ونتيجة لذلك ازداد حنقا وغيظا، ومن ثم يمكن في ضوء ذلك تفسير مواقفه تجاه مصر. وعندما لم ينجح في سياساته، بدأ في استغلال هذا الملف داخليا، وأصبحت ساحات المهرجانات الانتخابية التركية معرضا للقضايا المصرية، يستغلها لبث روح الكراهية والعداء في نفوس شريحة من مؤيديه ضد مصر.

كما أظهر نفسه "طوق نجاة" للإخوان، ففتح أمامهم أبواب البلاد ووفر لهم الملاذ الآمن، ووعدهم بتسخير الإمكانات من أجلهم، ولكني لا أظنه مخلصا تجاههم أيضا، فكما استخدم غزة من قبل أداة لسياساته، أساء استخدام الإخوان –ولا يزال–؛ فإذا أمعنَّا النظر في الإمكانات التي هيأها لهم، يمكننا القول بكل سهولة إنه يوفر لهم الملاذ الآمن اليوم، وغدا سيقوم باستغلالهم إذا سنحت له الفرصة، كما دأب على ذلك مع كل الأطراف التي تعاملت معه، والزمان خير مفسر. إننا للأسف أمام شخصيات تتقمص روح الاتحاديين في نهايات الدولة العثمانية، من أمثال أنور باشا وطلعت باشا وجمال باشا. ففي سبيل رغبات هذه الشخصيات التوسعية وتطلعاتها السلطوية نراها تهدر كل المكاسب التي حققها المجتمع بلا أدنى اكتراث.

إن مصر وتركيا يمثلان عنصر توازن في المنطقة، وإن الروابط المشتركة التي تشكلت عبر القرون كفيلة بإعادة العلاقات إلى سابق عهدها. لذلك فإني على يقين بأن هذه الهستيريا ستنتهي عند نقطة معينة،

وتتلاشى الأجواء السلبية، وتعود العلاقات بين الشعبين المصري والتركي إلى طبيعتها، وسنلتقي مجددا إخوة متحابين متكاتفين.

س: من وجهة نظركم، كيف يمكن مكافحة انتشار الأفكار الراديكالية الموجودة في الشرق الأوسط؟

ج: أوَّلا، أريد أن أبين أن الراديكالية ليست ظاهرة خاصة بالشرق الأوسط، بل هي ظاهرة عالمية ولها جذور قديمة، ومن ثم لا يمكن حصر الإرهاب في منطقة معينة أو زمان معين. كما أن الإرهاب ظاهرة تهدد العالم كله، لذا ينبغي النظر إلى الأسباب التي تؤدي إلى الإرهاب من هذا المنطلق أيضا. فالعوامل التي تغذي الإرهاب أو تؤدي إليه لا ينبغي حصرها في بيئة أو منطقة معينة، فمهما كان حجم العمليات الإرهابية في منطقة ما قليلا أو كثيرا، فإن هناك عوامل متعددة تعزز هذا التطرف، وتدفع إلى هذه العمليات الإرهابية، سواء من داخل هذه البيئات أو من خارجها.

إن مشكلة التطرف لها أبعاد وجوانب متعددة، وهي في الحقيقة مشكلة معقدة، وهذا التعقيد يفرض على الجميع المشاركة في حلها؛ إذ ليس لأحد أن يدعي أنه بمنأى عنها، فقد شاهدنا مؤخرا دولا ومناطق تتعرض للإرهاب، في حين أنها كانت تظن أنها بعيدة عنه.

ويحضرني في هذا السياق ما اقترحه الأستاذ النورسي في معرض خطبته التي خطبها في الجامع الأموي بالشام عام ١٩١١، إذ لا تزال هذه المقترحات التي قدمها غضة طرية لم تفقد طراوتها بعد.

فالجهل يمثل بيئة خصبة يترعرع فيها الإرهاب، والفقر يمثل حالة مثالية لاجتذاب العناصر الإرهابية وتجنيدها، كما أن بث روح التفرقة

بين أفراد المجتمع يسهم في زيادة وتيرة تلك العمليات الإرهابية. لذلك فالقضاء على هذه المشكلات الثلاثة حسبما أوضح الأستاذ النورسي هو الحل الأمثل لتجفيف منابع الإرهاب، والعمل على اجتثاثه من جذوره. وإلا فكل المحاولات التي تهدف إلى الحل من دون القضاء على الجهل، وتقديم الحلول الناجعة للبطالة، وإنهاء السياسات التي تقسم المجتمع وتفرق بين أفراده ستبوء بالفشل.

إن التربية والتعليم هما المفتاح السحري لحل هذا الموضوع من جذوره. فتربية الأجيال على احترام إنسانية كل إنسان، وتنشئتها على قيم التسامح والمحبة ونبذ الفتن والخصومات، وتعزيز الأمل في نفوسها حول مستقبلها، كل هذا سيمنعها من أن تقع فريسة سهلة للأفكار الراديكالية.

وينبغي الاهتمام بهذا الموضوع من سن مبكرة، بداية من سن الروضة مثلا، ويجب ألا ينحصر في المؤسسسات التربوية فحسب، بل يجب تضافر كل الجهود للاستفادة من كل الوسائل والإمكانات العصرية المتوفرة، كوسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية، وعالم الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي وغيرها. كما ينبغي توظيف الأعمال الدرامية من أفلام ومسلسلات وأفلام الرسوم المتحركة وغيرها من الوسائل الممكنة لتغذية اللاوعي في سن مبكرة.. وفي المقابل ينبغي التصدي لكل من يعمل على ترويج الأفكار الإرهابية، وتصويرها في صورة محببة إلى النفوس، وعدم منحه الفرصة لتدمير ما بنيناه.

عليَّ أن أعترف بأن آفاقنا الفكرية في العالَم الإسلامي ضيقةٌ

جدا، لدرجة أننا عاجزون عن رؤية ما بين أيدينا، فضلا عن الرؤية بعيدة المدى؛ لذلك تنحصر أفكارنا في حدود يومنا الذي نعيشه، ولا نحاول أن نتعب دماغنا في سبيل إيجاد وسائل تساعد على حل مشاكلنا المتراكمة، بينما مشاكلنا اليومية متواصلة بلا انقطاع. الحقيقة أن هذه المشاكل لم تظهر بين ليلة وضحاها، حتى يمكن حلها مرة واحدة. فالإرهاب شأنه شأن كثير من المشاكل يتطلب نفسا طويلا وصبرا.. والرسول ﷺ المؤيد بالوحي الإلهي بذل جهودا على مدار ٢١ عاما لحل المشاكل في مكة المكرمة، وفي النهاية استطاع حلها جميعا، وهذا يعني أن المشاكل يمكن حلها.. فالمنهج النبوي يعلمنا أنه ليس هناك مشكلة مستعصية على الحل.

ويبدو أن هذه المشكلة أيضا هي من نوعية المشاكل التي لا يمكن حلها إلا بنفس طويل وبذل مشترك للجهود. فبالأمس كان فكر الخوارج يُقَطِّع الصحابة إربا إربا، وها هو اليوم يعود إلى الحياة في هيئة جديدة ممثلا مشكلة أكبر من السابق.. فضلا عن أنه لا يتلقى الدعم من الخارج فحسب، بل يتقوى بدعم من داخل العالَم الإسلامي أيضا.. ومن البديهي أنه إذا لم يتم تشخيص المرض تشخيصا جيدا فلن يجدي التداوي والعلاج. وبرغم كل شيء لا ينبغي الوقوع فريسة في براثن اليأس أو الاستسلام له.. فلا شك أن ما أمكن حله بالأمس يمكن أن يحل اليوم أيضا، شريطة أن يكون المنهاج الذي نسلكه هو المنهاج النبوي.

س: ما أهدافكم التي تسعون إلى تحقيقها من وراء انتشار مؤسساتكم العلمية والثقافية والتربوية في مصر والعالم العربي؟

ج: انتهزت كل فرصة لأقول: لم يكن لنا يوما مطلب سوى تحصيل مرضاة الله تعالى، ولن يكون لنا غير ذلك بإذن الله. فبحسب تعبير فخر الكائنات سيدنا محمد ﷺ الذي يقول فيه: "خير الناس أنفعهم للناس"، توخينا أن نقدم خدماتنا للناس، كل الناس بغض النظر عن أديانهم وأعراقهم وأجناسهم ومذاهبهم ومشاربهم. آمنا بأن هذا هو الطريق لتحصيل مرضاة الله تعالى بشكل كلي.. وما يهمنا في هذا الباب هو رعاية التوازن بين "المهم" و"الأهم"، ونحن بدورنا أعطينا الأولوية في هذا الأمر للمناطق التي هي بأمس الحاجة إلى قيمنا.. سلكنا الطريق، ونحمد الله تعالى أن ظهرت لنا أثناء مسيرنا أماراتٌ عديدة تدل على أن الله راض عن عملنا هذا. ومنذ البداية إلى يومنا هذا لاحظنا من كل تلك الأمارات التي رأيناها وسمعناها وعشناها، أن هذا الطريق الذي نسلكه هو عين الصواب.

أما بالنسبة للعالم العربي وفي القلب منه مصر، فإن جغرافية هذه المنطقة لغتها العربية، وهي لغة ديننا الحنيف، ومن ثم فهم أسرع وصولا منا إلى نصوص الكتاب الحكيم والسنة النبوية.. فضلا عن أنها تمتلك أرضية خصبة من المؤسسات العلمية العريقة كالأزهر الشريف، الذي يتمتع بتقاليد علمية أصيلة تضرب بجذورها في عصور قديمة، مما جعلها صاحبة شهرة تستحقها. وبالتالى فإننا بالإضافة إلى ما يمكن أن نقدمه لهذه المنطقة من خدمات، في حاجة ماسة إلى أن نتعلم منها الشيء الكثير.. لست أدري ما الحكمة الإلهية من تأخر وصول مؤسسات الخدمة إلى العالم العربي، قد يكون هذا بسبب تقصير منا، كما يبدو أننا تأخرنا في طلب الاستفادة من هذه المنطقة.

هذا جانب من الأمر، ومن جانب آخر: هناك من العالم العربي أحباء تعرفوا على برامج الخدمة في مناطق مختلفة من العالم، واطلعوا على ما كتبه العبد الفقير فوجدوا حسب تعبيرهم نَفَسا وصوتا مختلفين، ثم أصروا علينا عاتبين: لماذا تهملون هذه المنطقة من برامج خدماتكم؟ فبدأت بواكير بعض هذه المؤسسات بالتعاون مع بعض رجال الأعمال الأتراك، وكانت تجربة جيدة تكررت نماذجها في عدد مختلف من البلدان العربية، وأثنت عليها الإدارات الحكومية التي تشرف عليها لالتزامها بالشفافية والاحترافية والالتزام.

كما استفاد أبناؤنا الأتراك أيضا من تواجدهم في العالم العربي من خلال احتكاكهم بالثقافة الإسلامية والعربية في منابعها الأصيلة، وتخرجوا من معاهدها العلمية العريقة، وتلامسوا مع الجذور في الثقافة العربية والإسلامية. لذلك لا يسعني إلا أن أقول: إن كل قافلة مهما كانت محملة من بضائع إلى البلد الذي تتوجه إليه، فإنها لا تعود من هناك فارغة الأيدي، لذا نرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وأن نعود بما ينفعنا.

نحن نعتبر إنشاء أي مؤسسة تربوية في أي بلد هي قيمة إضافية لذلك البلد، وملك له تخدم مجتمعه وتنمي من قدرات أبنائه، وليس لهذه المؤسسات من غاية أخرى سوى أن تكون مفيدة ونافعة لهذا البلد. ليم نتدخل مطلقا في أي شأن داخلي، وليست لدينا نوايا في هذا الصدد، نحن نؤمن بأن مشاكل الغد لا يمكن أن يحلها إلا أفراد يتحلون بروح العلم والمعرفة، ومن ثم فكل مؤسساتنا تدور في هذا الفلك.

ومنذ بدايات سنة ١٩٩٠انتشرت سلاسل مؤسساتنا التربوية في

مختلف أنحاء العالم، وخضعت جميع هذه المؤسسات والمتخرجين منها للرقابة الأمنية والاستخباراتية الوطنية في هذه البلدان لمدة تزيد عن ٢٠ عاما منذ ذلك التاريخ، وقد حصلت هذه المؤسسات إلى يومنا هذا على عدد كبير من شهادات التقدير والتبجيل من الوزراء والمحافظين ورؤساء تلك الدول.. كما أنها تلقت دعوات بشأن إنشاء مؤسسات أخرى.. فالعالَم يعرفنا جيدا، ولديه القدرة على استشفاف نوايانا من خلال ثمرات هذه المؤسسات..

لذا أكرر القول: ليس لأبناء الخدمة الذين أسسوا هذه المؤسسات أي هدف سوى أن يضربوا في مجال التربية والتعليم بسهم، ينشئ مواطنين صالحين لأوطانهم، ونافعين لأمتهم وللإنسانية، قادرين على تأسيس روح المحبة والتعايش فيما بينهم، ساعين إلى العمل على رفعة بلادهم إلى مستوى يشار إليه بالبنان، سواء في العلوم والتكنولوجيا، أو في العلاقات الإنسانية.

س: تتمتع مصر بموقع مهم في العالم الإسلامي، كما يقع الأزهر الذي يُعتبر من حصون أهل السنة والجماعة في مصر. ومن هذا المنطلق فما رأيكم في الدور الذي يقع على عاتق المؤسسات الدينية في بيان رسالة الإسلام السمحة وتبليغها إلى العالم؟

ج: في هذا العصر الذي يتم فيه تشويه كل شيء وتحريفه عن مساره الصحيح، هناك حاجة ملحة إلى مؤسسات مثل الأزهر، كالحاجة إلى الخبز والماء. فيا حبذا لو كان في كل منطقة مؤسسات مباركة مثل الأزهر الشريف، حتى يتأسى بها الناس في كل أمورهم ويحددوا بوصلتهم تبعا لها.

لقد كان لدى الأستاذ النورسي مقترح بتأسيس جامعة على غرار الأزهر الشريف في شرقي تركيا إبان الحقبة التي دُمّر فيها كل ما يتعلق بالإيمان وبثقافتنا. وقد اقترح أن يكون اسمها "الزهراء" استلهاما من الأزهر الشريف، حيث كان يراها شقيقة للأزهر. وقد خطط أن تكون اللغة العربية فيها بمثابة الفرض، والتركية بمنزلة الواجب والكردية جائزة. وكان رحمه الله يستهدف أن ترتفع جدران العلوم الدينية والكونية معا على هذا الأساس.. لكن معاصريه لم يتفهموه هو أيضا في تلك الفترة، لذلك لم يُكتب لهذه المؤسسة أن ترى النور. والواقع اليوم يؤكد أن كثيرا من المشكلات التي نواجهها، والتي تطرقتم لبعضها في هذا الحوار يرتبط حلها بوجود أمثال هذه المؤسسات.

فالأزهر اليوم يحتضن آلاف الطلبة القادمين من جغرافيات شاسعة كأعماق إفريقيا، وآسيا الوسطى والبلقان والشرق الأقصى.. وإن تنشئةَ طلبة متمسكين بالكتاب والسنة، ومحترِمين للجهود التي بذلها سلفنا الصالح، ومتضلعين بعلوم الأصول بشكل جيد، وملمين في الوقت نفسه بحاجات مجتمعاتهم، ومؤهلين لتقديم الخدمات الدينية إذا رجعوا إلى بلادهم... كل ذلك يحظى بقيمة تفوق كل تقدير.

وكما أعربتم في سؤالكم، فالمهمة التي تقع على عاتق المؤسسات الدينية هي نقل الدين بشكل صحيح إلى الجماهير، والتمثُّل الحقيقي للخط النبوي الذي امتد منذ القدم وسار عليه أهل السنة والجماعة. كما أنه من الأهمية بمكان أن تُنتِج هذه المؤسسات المعلومات التي نحتاج إليها في عصرنا، دون أن تكرر المعلومات السابقة، وألا تنحو صوب الترف الفكري.

أجل، إذا ألقينا نظرة عامة على العالم الإسلامي اليوم فسنرى احتراما عاما للدين ومظاهر مختلفة للتدين، وسنسمع أصوات القراء الذين يتلون القرآن تتردد في كل مكان، وسنشاهد في كل زاوية مساجد تحتضن مرتاديها، وتعج بمشاعرهم الجياشة. لكن هناك واقعا ينبغي ألا نغفله وهو أننا نعايش خمودا في الجانب الروحي.

وعلينا أن نتجاوز بالدين حدود المظاهر إلى العمق، حتى نستطيع أن نجعله جزءا من حياتنا، علينا أن نكتشف آليات ووسائل تمكننا من نقل هذا الدين إلى جنبات العالم الذي نعيش فيه بشكل يغبطنا عليه الناظرون، لا يجب أن يظل الدين حبيسا في أروقة المساجد، لا بد من الاستمرار في البحث عن وسائل جديدة يمكن من خلالها أن يعيش الدين في كل مناحي الحياة.. كما ينبغي تنشئة علماء دين لهم إلمام بالعالم الرقمي أيضا بحيث يستطيعون أن يوصلوا أصواتهم إلى الملايين في هذا العالم.. وإذا كان الناس في عصرنا يعيشون حياتهم في محور الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية فعليكم أن تكتشفوا طرائق توصل إليهم قضاياكم عبر هذه القنوات.. فإذا لم تكونوا موجودين في خضم هذه البيئة التي تفيض فيها سيول المعلومات، فهذا يعني أنكم ستخسرون مستقبلكم أيضا.. فمنذ وقت بعيد لم نستطع أن نستفيد من هذه المجالات. ومن المعلوم أن الطبيعة لا تقبل الفراغ، فإذ لم تملؤوها أنتم فسيأتي من يملؤها من غيركم.

فأمثال الأزهر الشريف من المؤسسات التي تتمتع بسمعة طيبة تستطيع أن تلعب في هذا المجال أيضا دورا رائدا، وأن تتبوأ مكانتها اللائقة بها بالفعل، فتجمع بين رجال الأعمال والعقول المفكرة لتصبح

وسيلة إلى أعمال خيرية كبيرة من خلال نشر ديننا وقيمنا بلغة العصر. إن هناك كثيرا من الأعمال في انتظار من يبادر لها، ولكي يتم قطع مسافة في هذا الطريق لا بد من إطلاق إشارة البدء والاعتماد على الله في كل حال.

س: مؤخرا نُشِر منسوبا لكم رسالة وفاء[1] لفضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة مفتي الديار المصرية السابق إثر تعرضه لمحاولة اغتيال أثناء توجهه لأداء صلاة الجمعة فما مدى علاقتكم بفضيلته؟ وهل لكم علاقة بشخصيات عربية أخرى؟

ج: فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة مفتي مصر السابق عالم كبير له وزنه بين علماء الأمة الإسلامية، تعرّف عليه إخواننا، وتشرّفنا بدعوته إلى تركيا في المؤتمرات التي كانت تعقدها مجلة حراء الناطقة بالعربية بالتعاون مع شقيقتها مجلة "يني أوميت" التركية. وقد كان حضوره العلمي والرسمي مثريا لهذه المؤتمرات، لما يتمتع به من سعة أفق واطلاع، وإلمام بما يجري في العالم من أحداث، وقدرته على قراءتها بشكل صحيح وتنزيل النصوص الدينية على الواقع بما يلائم العصر، هذا فضلا عن نبل أخلاقه وشهامته التي تليق بأمثاله من العلماء. فقد اعتبر فضيلتُه المدارس التي فتحت في مصر قيمة مضافة في مجال التربية والتعليم في مصر، ودعا إلى الإكثار منها، ومن ثم أشاد بها دائما ووقف إلى جانبها في كل أزمة. وحسب علمي فهو رئيس مجلس أمناء هذه المدارس منذ تأسيسها في مصر.

لذلك فإنني أعتبره -إن قبل- أخا وفيا وصديقا عزيزا. وعندما

---

[1] انظر: بيان الأستاذ فتح الله كولن بعد محاولة اغتيال الشيخ علي جمعة، ص:٣١٦ من هذا الكتاب.

تلقيت نبأ محاولة اغتياله الغادرة أثناء خروجه لأداء صلاة الجمعة أعربت عن استيائي منها وإدانتي لها فورا، كما أعربت أيضا عن كل محاولات الاغتيال المعنوي التي يتعرض لها، علما بأن كل استهداف لأمثال فضيلته من أهل العلم والحكمة والرشد إنما هو استهداف للإسلام ذاته، وطعن للأمة الإسلامية في قلبها، لذلك أدعو الله من صميم قلبي أن يحفظه من كل مكروه وسوء، وأن ينعم عليه بموفور الصحة وتمام العافية.

أما عن العلاقة مع الشخصيات العربية فقد حملت مجلة حراء على عاتقها استكتاب أقطاب الفكر والأدب ورواد الإصلاح الروحي في العالم العربي بغية تشكيل رؤية حكيمة معتدلة تربط الإنسان بخالقه، وتعزز الشعور لديه بقيمة الانتماء إلى هذه الأمة، وتعيد تشكيل صرح روحه على سَنن الرعيل الأول من الصحابة والتابعين، فكانت حراء بذلك وسيلة مهمة في التعرف على مجموعة كبيرة من علماء هذه الأمة المخلصين العاملين، الذين هم تاج رؤوسنا، قرأنا إبداعاتهم الفكرية، وقرأوا ما كتبه العبد الفقير، وتبادلنا رسائل الود والإخاء، وأثروا ندواتنا ومؤتمراتنا وفعالياتنا بحضورهم القوي، ونهل أبناؤنا من معين علمهم. ولو كان المقام يتسع لذكر أسمائهم لذكرتهم واحدا واحدا وأثنيت على كل واحد منهم بما هو أهله، فلهم مني جميعا كل محبة وإعزاز وتقدير.

س: ما أسباب اختيار الولايات المتحدة مقرا للإقامة فيها؟

ج: لقد قدمت إلى الولايات المتحدة في عام ١٩٩٩ بسبب ظروف صحية ألمّت بي، فقد كنت أعاني من مشاكل في القلب، فضلا عن

أمراض الضغط والسكر والكوليسترول. وبعد إجراء فحوص دورية في تركيا، قرر الأطباء أنني في حاجة إلى عملية جراحية في القلب، فألح عليّ بعض الأصدقاء بالقدوم إلى هنا لإجراء العملية ومتابعة الفحوص الطبية، ثم قاموا بالحجز لي في مستشفى "مايو كلينيك" الشهير في هذا النوع من الفحوصات. وبالفعل قرر الأطباء هنا إجراء نفس العملية الجراحية، فطلبتُ منهم مهلة للتفكير، ثم بدأوا في إجراء الفحوصات اللازمة لحين اتخاذي القرار.

وفي غضون ذلك بدأت حملة منظمة ضدي في وسائل الإعلام التركية الحكومية والخاصة، حيث اقتطعوا مقاطع مسجلة من بعض دروسي، وصوروني ساعتها على أني أسعى لتقويض النظام العلماني في البلاد. وهو بالمناسبة نفس ما يردده أردوغان وحلفاؤه في تركيا اليوم.

وبدأت هذه الحملة تتضخم يوما بعد يوم إلى أن وصلت إلى أروقة المحاكم. ومع تفاقم هذه الحملة وبالنظر إلى وضعي الصحي الذي شرحتُه لكم نصحني الأطباء والإخوة المرافقون بتجنب العودة إلى البلاد في ظل هذه الأوضاع، إلى أن تهدأ الأمور وحتى لا تزداد حالتي الصحية سوءا. فرأيتها فرصة مناسبة لاستكمال الرعاية الصحية التي كنت قد بدأتها، كما فكرت أن ابتعادي فترة ما عن البلاد في ظل هذه الأوضاع قد يكون عاملا من عوامل تخفيف حدة التوتر وعودة الهدوء. ومن جهة أخرى فقد كانت هناك جهات متحفزة في البلاد للتضحية بكل المكاسب الديمقراطية التي أحرزها الشعب خلال السنوات الماضية، وكانوا يخططون لاستغلال عودتي من الخارج لتنفيذ مخططاتهم تلك، لذلك كله اتخذت قرارا بتأجيل

العودة رغم ما كنت أشعر به من حنين جارف للوطن.

ومنذ ذلك الحين وأنا أقبع هنا منزويا في منفاي الاختياري في هذه القرية الصغيرة في ولاية بنسلفانيا لا أغادرها إلا لضرورات العلاج أو إجراء بعض الفحوصات والتحاليل، ومرة أو مرتين ذهبت للإدلاء بإفادتي في التهم التي وجهتها لي المحاكم التركية أمام النائب العام الأمريكي في ولاية نيوجيرسي.

وأصدقكم القول، لقد راودتني أفكار العودة إلى الوطن مرات عديدة، وكادت هذه العواطف تغلبني نوعا ما، لكن الأوضاع في تركيا وازدياد حدة التوتر والانقسام المجتمعي، وبث روح الكراهية بين أفراد الشعب الواحد، كلها كانت عوامل تدمر حالة التوازن والانتظام التي ينبغي أن يكون عليها البلد، والتي من المستحيل أن يؤسس عليها نظام اجتماعي وديمقراطي راسخ. كما كنت أخشى أيضا أن تستغل عودتي في ظل هذا الوضع في إحداث نوع من العمليات الاستفزازية.

لقد تلقيت دعوات متعددة للعودة إلى البلاد من المسئولين على مختلف مستوياتهم، ولا سيما بعد مصادقة المحكمة العليا في البلاد على براءتي من كل التهم المنسوبة إلي، وذلك في العام ٢٠٠٨ بعدما استمرت زهاء الثماني سنوات في أروقة المحاكم، لدرجة أنهم أرسلوا طلبا إلى النيابة العامة هنا في أمريكا للإدلاء بإفادتي أمامها.

وكانت آخر هذه الدعوات من أردوغان شخصيا عندما كان يلقي كلمة في حفل بإسطنبول بأحد أكبر ملاعبها لأحد الأولمبياد العالمية للغات والثقافات التي كانت تنظمها حركة الخدمة، ويشهده أكثر من

مائة ألف مواطن تركي. وقد تبين لاحقا أنها كانت مناورة سياسية هدفها إحراجي للعودة إلى تركيا ومن ثم محاكمتي في محاكمهم الخاصة التي كانوا يشكلونها. وهو ما أفصح عنه قبل مدة نائب برلماني حاليا ومستشار سابق لأردوغان في أحد أعمدته التي يكتبها، لقد صرح قائلا: " الذين اطلعوا على الحملة التي قادها أردوغان ضد حركة الخدمة منذ العام ٢٠١٠ يعلمون جيدا أن هذه الدعوة لم تكن تحمل أدنى ذرة من ودّ أو محبة، وإنما استهدفت إحراج فتح الله كولن، وكذلك زادت من تأجيج نار النزاع، ويعلمون أنها كانت مناورة من "عبقري سياسي" فريد".

لقد كانت لديّ خيارات متعددة للإقامة فيها بجانب أمريكا، بعضها في البلاد العربية وأخرى في أمريكا اللاتينية، وبعض البلاد في روسيا وآسيا الوسطى، لكن العوامل الصحية والإجراءات العلاجية التي كنت قد بدأتها جعلت هذه الخيارات تتراجع. كما لفت نظري هنا شيء مهم جدا، وهو طبيعة النظام القضائي في الولايات المتحدة؛ فقد كنت أحصل على الإقامة هنا بموجب ظروفي الصحية، وفي أحد هذه المرات التي كنت أجدد فيها الإقامة تم رفض هذا الطلب، فرفعتُ دعوى قضائية في أحد المحاكم أتظلم فيها من هذا الرفض، وفي نهاية المطاف حكموا لي بحقي في تمديد الإقامة.

لذا وبعد اطلاعي على المنظومة القضائية العادلة واحترام حقوق الإنسان وسيادة القانون التي لا تتبدل بتبدل الحكومات والأشخاص، فضلا عن مستوى الرعاية الصحية المتطور في البلاد وجدت أنه من المناسب البقاء هنا.

إنني الآن في السابعة والسبعين من العمر، ليس لي أي هدف في هذه الحياة الدنيا سوى العمل على مرضاة ربي والاستعداد إلى لقائه، أعاني من أمراض الشيخوخة، فضلا عن الأمراض التي ذكرتها، لذلك يلازمني بعض الأطباء من أصدقائي، ولديّ هنا عدد من الطلاب الذين يواصلون الدراسات العليا في الماجستير والدكتوراه في الجامعات الأمريكية، نتجمع كل يوم ثلاث ساعات صباحا أو مساء على حسب الظروف، نتدارس معا كتب التفسير وأصول الفقه والحديث، وغيرها من كتب العلم. لذلك فإن انتقالي إلى بلد آخر يعني اضطرار عدد كبير من هؤلاء المحبين إلى تغيير أماكنهم، وتلك مشقة لا أريد أن أكون سببا فيها.

إن وطني حاضر على الدوام في خاطري، ولم يغب يوما واحدا عنه، لقد طلبتُ من بعض أصدقائي المقربين أن يحملوا لي بعضا من تراب الوطن إلى هنا، فجمعوا لي ترابا من أكثر من مائة منطقة في تركيا، وعبئوها في زجاجات -بوسعكم أن تروها لو أردتم-. وكلما هاج في صدري الحنين إلى الوطن قرّبت هذه الزجاجات من أنفي وبدأت أشمها لأتسلى بها. أنا ابن قرية صغيرة في محافظة أرضروم شرقي الأناضول تدعى كوروجك، فلو قايضوني على قريتي الصغيرة هذه التي تحيط بها الجبال من كل جانب بالولايات المتحدة كلها ما قبلتُ ذلك. هذه هي مشاعري وتلك هي أفكاري.

إذا قدر الله لتركيا أن يزول عنها الطغيان يوما، فلن يكون ساعتها أحب إلى قلبي أكثر من العودة إلى موطني، أعود إليها عودة مواطن بسيط، بعيد عن الصخب والضوضاء، أو أيّ لون من ألوان الظهور والرياء.

العربية
Al Arabiya

ما يحز في النفس الآن أن الحكومة التركية بعد إغلاقها لكافة مدارس الخدمة في تركيا تبذل كل جهدها وتنفق أموال الشعب للعمل على إغلاقها في الخارج بدلا من الاهتمام بمشكلاتها الداخلية، والتصدي لظاهرة الإرهاب التي بدأت تتنامى في الفترات الأخيرة وتحصد الأرواح بلا وازع من دين أو إنسانية.

ما يحز في النفس أنهم لم يجدوا حرجا في أن يُغلِّفوا كل ما اقترفوه بلباس الدين، بل حصلوا على فتاوى من أناس تخيلوا أنفسهم في مقام شيخ الإسلام تبيح لهم تلك الأفعال، فارتكبوا المعاصي باسم الدين، ونفّروا الناس بسلوكهم هذا من الدين.

حوار قناة العربية مع الأستاذ فتح الله كولن[1]

س: مراراً وتكراراً شجبتم علناً المحاولة الانقلابية الفاشلة، إلا أن الاتهامات الموجهة إليكم ولأتباع حركتكم بالتورط والتنظيم للانقلاب مستمرة ولم تتوقف بعد. فهل لكم أن تناشدوا أتباعكم من هذا المنبر بالتعاون مع الحكومة التركية، والتوقف عن القيام بأي محاولات انقلابية شبيهة في المستقبل بحيث نضمن أن تغييرا في تركيا المستقبل لن يتم إلا عبر صناديق الاقتراع؟

ج: لقد كرر العبد الفقير مرارا ومنذ فترة طويلة أن الديمقراطية باتت مطلبا ملحا من قبل الجميع، ومن ثم يجب ألا يتم تداول السلطة إلا عبر الانتخابات. فمعاناتي الطويلة من الانقلابات جعلتني أقف ضدها دائما. لكنني لا أقف ضد المؤسسة العسكرية كمؤسسة وطنية لها دور مهم في البلاد. لقد حققتْ بلا شك أمورا عظيمة في استقلال الوطن وسلامة أراضيه. وقد يبدو ذلك تناقضا مني حيث أقدّر ما للمؤسسة العسكرية من دور هام، وفي الوقت نفسه أعارض إجراءاتها المناقضة للديمقراطية. وهذا ليس ناتجا عن معاناتي الشخصية فقط، بل لما أستشعره في أعماق نفسي من معاناة الشعب من تلك الانقلابات

---

[1] تم بث هذا الحوار بتاريخ ١٩ أغسطس ٢٠١٦.

أيضا. ولذلك وقفت دائماً بكل كياني -ولا زلت- ضد الانقلابات. وقد أعربت عن هذا كله في جميع مواعظي ودروسي وكتاباتي.

لا أظن أن السلطة الحالية ستدعو هذا الفقير أو أحدا من الناشطين في حركة الخدمة إلى مناصرتها للوقوف ضد الانقلاب، على أننا مستعدون لتلبية دعوة أي أحد في أي مكان في العالم للوقوف معه ضد الانقلابات بلا تردد. لكني لا أظن أن يكون لدى السلطة نية لدعوة كهذه. لأننا إذا تأملنا في هذا الانقلاب الدموي المسرحي المصطنع، فسنجد أنه قد خطط له سلفا، ولذلك يريدون استمرار الأمر على هذا النحو واستغلاله أسوء استغلال.

هناك تعبير عربي مستخدم في التركية يقول: الخائن خائف خائب. ولأن هذه الخيانة من تدبيرهم هم تجدهم يسكتون كل صوت معارض، ويصادرون الصحف والقنوات ويغلقونها، ويعتقلون كل من يخالف روايتهم. ويشرّدون كل من رأوا فيهم نزاهة وصدقا بالنفي والسجن والإبعاد. وقد عبر عن هذا شاعر النشيد الوطني محمد عاكف في أحد قصائده. لذلك ليس في تركيا اليوم صوت شريف يستطيع أن يعبر عن فكره ومشاعره بصدق وحرية دون أن يتعرض للأذى.

لقد اعتقلوا شخصيات من التيارات القومية والاشتراكية والليبرالية ممن تعاطفوا مع الخدمة ورأوا فيها حركة إيجابية كالكاتب الصحفي شاهين ألباي، وممتازير تورك أونه، وعلي بولاج وعلي أونال. أسكتوا كل المعارضين، لا يريدون أن يسمع الناس رواية مختلفة. هم يعرفون أنهم ارتكبوا جرائم فظيعة وأعمالا شنيعة لو علم بها الرأي العام لغطّوا وجوههم من شناعة ما ارتكبوه. لذا ينتهجون سياسة استئصال كل صوت معارض.

س: جنابكم مواطن تركي، وتقول إنك تؤمن بالديمقراطية والعملية الانتخابية، فهل تعتبر رجب طيب أردوغان رئيسك؟

ج: الإعجاب بالشخصية شيء، والقبول بها كرئيس منتخب من قبل الشعب شيء آخر. نعم يجب القبول به كرئيس للجمهورية احتراماً لإرادة الشعب الذي انتخبه، لكن هل هذا الشخص مناسب للمنصب الذي يشغله أو لائق به؟ لا يمكن أن يغيب عن تصوري بعض الأمور التي تجعله فاقدا أهليّتَه لهذا المنصب، بدءاً من الشبهات حول مؤهِّله الجامعي وانتهاء بخطاب الكراهية والاستقطاب الذي ينتهجه. لذا فلياقته للمنصب من عدمها شيء، واحترام إرادة الشعب شيء آخر. ومن ثم يمكنني القول إنه رئيس للجمهورية التركية بموجب احترامي للإرادة الشعبية، بغض النظر عن أهليته لهذا الموقع.

اسمحوا لي بهذه الإضافة؛ إن نية القضاء على الخدمة تمتد إلى ما قبل فضائح الفساد بنحو ١٨ عاما. وقد عبرت عن هذا في مناسبات متعددة. عندما اعتزم أردوغان تأسيس حزب جديد جاء إليّ والتقاني، وأنا بدوري عبرت له عن أفكاري فتحدث معي بإيجابية. لقد كنت حَسَنَ الظن به، لكنني صرت ضحية حسن الظن هذا. بعد أن استمع إلى أفكاري وغادر، بلغني أنه قال لمرافقه الذي كان معه في المصعد: "إن أول ما سأقوم به بعد التمكن من السلطة هو تصفية هؤلاء والقضاء عليهم". وهذا يدل على ما ينطوي عليه من حسد وحقد، ثم تطورت هذه المشاعر أكثر لاحقا. انتشرت مدارس الخدمة ومراكزها الثقافية في العالم، وبدأت تؤدي دورا فاعلا في نشر القيم الإنسانية السامية والحوار والتعايش. وأظن أن أردوغان كان يريد توظيف هذه

المؤسسات للدعاية الشخصية لنفسه، وللترويج لزعامته للمسلمين وإمارة المؤمنين. كان ينتظر من أبناء الخدمة المنتشرين من خلال المدارس والمراكز الثقافية في ١٧٠ بلداً أن يروّجوا لهذه الزعامة. كان يريدهم أن يعدوه كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويحترموه على هذا الأساس. وعندما لم تتحقق رغبته تلك، ووجد أن الأمور تسير في حركة الخدمة بشكل مختلف، ووجد أيضا أنه لا يمكنه الاستفادة الشخصية من مواردها، أو من الترويج للصورة التي يرجوها لم يستسغها وحنق عليها. لذلك قلت إن هذه قصة قديمة. ولكونه لم يستسغ فعاليات الخدمة عمد أولاً إلى إغلاق المعاهد التحضيرية للجامعات، ثم شرع في الاستحواذ على المدارس قبل ٤ سنوات.

بعد سيناريو الانقلاب الأخير هذا، وإسكاته لكل صوت معارض تمكن أخيرا من بسط كافة نفوذه، وبادر إلى اتهامنا بأننا كيان موازٍ وتنظيم إرهابي، واعتقل كل من يعترض طريقه. لقد اعتقل آلافا من الناس في عملية "مطاردة الساحرات" على حد تعبيره. اعتقل كلَّ من شم فيه رائحةَ معارضة، وبات يرى ضرورة إسكات كل المعارضين. لقد كانت نيته هذه مبيَّتة من قبل، وقد أسفرت الأحداث عن ذلك. كان ينتظر أن يكون أميراً للمؤمنين وزعيماً عالمياً، لأن حاشيته أو بالتعبير القرآني "مَلَأَهُ" كانوا يوهمونه بذلك حتى آمن هو بها. بعد أن صفقوا لكل ما قام به، وحولوه إلى طاغية، بدأ يصدق فعلاً أنه يستحق هذا اللقب.

س: برأيكم الشخصي، هل سبّب هذا الانقلاب ضرراً كبيراً بمستقبل الديمقراطية في تركيا؟

ج: أجل، لقد أضر بالديمقراطية، وأضر بالنظام الجمهوري، وأضر بعلاقات تركيا الخارجية، وأضر بالعلاقات مع الاتحاد الأوروبي، وبمكانة تركيا في حلف الناتو. كما أساء إلى سمعة تركيا في العالم الإسلامي للأسف.

لم يكن للسيد الرئيس أي أثر إيجابي في فترة حكمه الأخيرة. لكن لا يزالون يصرون على السير في هذا النهج السلبي الخاطئ، ويظنون أنهم بهذا يمكنهم تحقيق نتائج مُرضِية. ليس بإمكانهم أن يغيروا الرأي العام العالمي بهذه الأفعال. فقد ولّدت هذه السلبيات والأخطاء المتوالية دوائر مفرغة يستحيل أن تتمخض عن نتائج إيجابية.

س: الحكومة التركية أصدرت بحقكم مذكرة اعتقال في ٤ آب/ أغسطس الجاري، وسلموا في ١٦ من الشهر ذاته طلباً إلى الحكومة الأميركية، لتسليمكم إلى السلطات في تركيا، هناك أيضاً وفد برلماني تركي في الولايات المتحدة هذا الأسبوع، للاجتماع بمسؤولي وزارة العدل، لحثهم على تسليمكم، ومعهم ٨٥ صندوقاً، تحتوي على ما يصفونه بالأدلة على تورطكم بالانقلاب الفاشل، فهل أنتم على يقين بأن وزارة العدل الأميركية لن تجد أية أدلة في كل هذه الوثائق المقدمة تثبت ضلوعكم في الانقلاب وتحتم عليهم تسليمكم إلى الحكومة التركية؟

ج: لا يمكنني أن أقول شيئاً في هذا الصدد. لكن سبق أن أدليت بأقوالي في النيابة العامة بنيوجرسي على خلفية قضايا رفعت ضدي في المحاكم التركية قبل سنين. وكنت شاهداً على مدى احترامهم لقيم العدالة في التعامل معي. لذلك أعتقد بناء على تجربتي السابقة

أنهم لن يفرّطوا في هذه القيم أو يتخذوا قرارات خاطئة استناداً إلى ادعاءات واهية. فالولايات المتحدة لن تجازف بسمعتها لدى الرأي العام العالمي وترتكب هكذا خطأ.

أظن أن العالم يتابع هذه القضية عن كثب. هناك دعوات وجهها لي مؤخراً مسؤولون كبار في مصر وبعض دول أمريكا اللاتينية، وسابقا دعاني جيرينوفسكي للسفر إلى روسيا والإقامة فيها. كثير في العالم كله يعلم أن ما وقع في تركيا مؤخرا مصطنع ويبدو غير متماسك.

لا أظن أن أمريكا يمكن أن تتخذ قراراً خاطئاً مثل هذا وتواجه به الرأي العام العالمي؛ إلا إذا انخدعوا بمثل هذه الادعاءات. لقد أرسلت تركيا مؤخراً طلباً لاعتقالي، لكن المحكمة هنا رفضت حسبما ذكر لي الإخوة. كما أن هناك عديدا من الملفات المعروضة الآن أمام العدالة للتحقيق فيها. وبحسب ما ذكره لي بعض الإخوة فإن هذه الملفات لا تحتوي على أي دليل معقول ومعتبر قانونياً. لذلك لا أظن أن الولايات المتحدة ستفرّط في سمعة عدالتها.

س: **إذا كانت حركتكم لا سياسية، بل هي منظمة دينية وخيرية تنشر كلمات المحبة والتفاهم والتسامح، فلماذا يعتقد أغلبية الشعب التركي، وفقاً لاستطلاعات الرأي، بأنكم وأتباعكم تقفون خلف الانقلاب؟**

ج: هذا بسبب كبت كل الأصوات المعارضة، وسجن كل رأي مخالف للرواية الرسمية. فكل وسائل الإعلام الآن ترزح تحت سلطتهم. وكالعادة فهذا ما يحدث في مثل هذه المواقف دائما. لقد انساق الناس وراء الفرعون أمنوفيس كالقطيع وانساقوا وراء هتلر،

وكذلك انساقوا وراء صدّام. فحين تُسكِت كلَّ الأصوات المعارضة تصبح الجماهير فريسة سهلة الخداع والانقياد. ومعظم الشعب التركي واقعون تحت تأثير هذه الحالة. فالبعض خاضع جراء التهديدات، والبعض الآخر طامع في منافع مقدَّمة وأخرى موعودة. فقد ذكر لي أحد المقربين أن السلطات تقدم فللاً وقصوراً من أجل إخضاعهم. وأحياناً يعطونهم أموالا لحشد الناس في اللقاءات الجماهيرية. وفي ظل وجود هذه النوعية من الطامعين يسهل التلاعب بأفكار الجماهير وإقناعهم بما يريدون والحطّ من قدر الآخرين وتهميش أدوارهم. وهذا يفسر عزلُنا وتهميشُ أدوارنا. لكن هناك مثل شعبي يقول: حبل الكذب قصير، وسوف يأتي اليوم الذي يردد فيه الظالمون: تالله لقد آثرك الله علينا.

س: تعرفون المجتمع التركي وحكومته جيداً، وتحظون بمؤيدين وأتباع في الجهاز القضائي والعسكري وفي كل أوجه الحياة في تركيا، لذا أنتم أفضل من يجيب على السؤال المتعلق بهوية منظمي الانقلاب الفاشل.

ج: تصلني أخبار من تركيا لكن من الصعب التحقق منها. لكن يبدو أن بعض القوميين المتطرفين هم من يقفون وراء هذه الأحداث. وكانت السلطة على علم مسبق بها بدليل الموقف الذي سارعت إلى إبدائه ليلة الانقلاب. وهناك حديث حول ضلوع القيادي اليساري المتطرف دوغو برينتشيك في هذه الأحداث. كما يتحدثون عن اعتقال بعض العناصر من هذا التيار. وأقول غير جازم إذا كان هناك متورط في محاولة الانقلاب من المتدينين أو ممن يدّعي تعاطفَه مع

الخدمة، فهو ضحية للخديعة والتغرير، دفعه القوميون المتطرفون للواجهة، وشجّعوه على المشاركة في الانقلاب موهمين إياه بأن خروجه من أجل الديمقراطية، وأن كل شيء سيكون جيداً. قد يكون بعض المغفّلين السذّج انخدعوا بهم، لذلك أقول إنْ حدث هذا، فإني لن أسامحهم وسأحاسبهم أمام الله عز وجل.

لا يمكن التسامح نهائياً مع أي انقلاب على الديمقراطية. لم أسوّغ ذلك، ولن أسوّغه ما حييتُ. قد يكون بينهم بضعة أفراد تم خداعهم. في الحقيقة المسألة معقدة. فحين ننظر إلى طبيعة السيناريو، سارعت القيادة الحالية بعد ساعتين من الانقلاب باتهام جهة معينة بهذه الجريمة، وذكروا أن منفذيه من أتباع هذه الجهة، وباشروا باعتقال الآلاف. لذلك فالواضح أنهم هم من دبروا هذا السيناريو من أجل تقوية سلطاتهم. لقد قاموا بما سبقهم به هتلر في ألمانيا ولينين في روسيا. لقد أجازوا لأنفسهم القيام بهذا بمنطق ميكيافيلي من أجل بناء سلطنتهم.

س: كثيرون لا يلومون الرئيس أردوغان إعلان حالة الطوارئ في البلاد، ونرى حالياً اتهامات حول قسوة تطبيقها، وهناك أيضاً محاولات لاستعادة عقوبة الإعدام التي ألغيت قبل ١٢ عاماً، فما رأيكم بفرض حالة الطوارئ، واحتمال استعادة عقوبة الإعدام؟

ج: لا أدري إن كان الاتحاد الأوروبي والمنظمات الدولية ستقبل بحكم الإعدام. هذا الحكم كان سارياً حتى فترة حكم المرحوم تورغوت أوزال. خلال فترة تأسيس الجمهورية تم إعدام نحو عشرة آلاف بعد تصويرهم على أنهم متمردون على بناء الدولة

الجديدة. وأظن أن الأسلوب ذاته يُستخَدم الآن عبر تهديد المجتمع واضطهاده. ولا أدري هل سيقبل العالم بهذا أم لا؟ لذلك أظن أن حالة الطوارئ تستهدف التغطية على الاعتقالات والانتهاكات التي يرتكبونها وتسويغ كل ذلك. وبعد سقوط هيبة المؤسسة العسكرية وإخضاعها لهم، يعتقلون من الجيش كل من يعترض طريقهم حتى لو كانوا يحملون نفس أفكارهم. لذلك أقول إن المؤسسة العسكرية باتت خاضعة تماماً لهم. فالعسكريون يقولون الآن إنهم تحت أمر السلطة الحاكمة.

إن السلطة المدنية تستغل الآن حالة الطوارئ لتصفية حساباتها. إنهم يعتقلون من يشاؤون، ويمارسون في حقهم كافة الانتهاكات، ويمنعونهم من مقابلة ذويهم ويكدّسونهم في زنازين ضيقة كالأسماك. فباسم حالة الطوارئ تنتهك السلطة التركية كافة الحقوق الإنسانية.

س: كتبتم مقالا في صحيفة لوموند الفرنسية، طالبتم فيه بتشكيل هيئة تحكيم دولية في الانقلاب، ومعلنين مسبقاً قبولكم بحكمها، فلم هيئة دولية؟ هل فقدتم الثقة في نزاهة القضاء التركي؟

ج: إن السلطة الحاكمة في تركيا فصّلت جهاز القضاء على مقاسها، فشرّدت كثيراً من القضاة وعزلت البعض الآخر، بل إنهم أسسوا مؤخراً محاكم خاصة مثل محاكم الاستقلال التي أُسست خلال تأسيس الجمهورية التركية. فالذين يمسكون بزمام الأمور اليوم يُملُون على القضاة الذين عيّنوهم الأحكام التي سيصدرونها، فيشيرون عليهم باعتقال هذا أو مصادرة ممتلكات ذاك أو إغلاق شركات مملوكة لأصحابها. وكل هذا يتم بالترغيب تارة، وبممارسة

الضغوطات تارة أخرى. في جو كهذا لا يمكن الحديث عن الحقوق والعدالة. فكل هذه القيم يدوسون عليها بأقدامهم الآن. لذلك دعوتُ إلى تشكيل هيئة دولية مهمتها التحقيق في هذا الموضوع والكشفُ عن ملابساته. وعندما دعوت إلى هذا كنت أعلم أن السلطة في تركيا لن تستجيب. وأتوقع أنهم لن يستجيبوا. فهم يخشون من أن تُفضَح ألاعيبُهم، وتظهر تلك الفبركة التي قاموا بها. لذلك أكرر القول: إن كانت لدى السلطة الحالية في تركيا الشجاعة، فليقبلوا بهيئة دولية سواء من الاتحاد الأوروبي أو البرلمان الأوروبي أو النيتو أو من العالم الإسلامي تُحقّق في هذه القضية، وتبين الحقيقة كاملة أمام الجميع. لكن لا أعتقد أن يستجيبوا. لم يستجيبوا لأي دعوة قدمها لهم هذا الفقير من قبل، ولا أظن أنهم سيستجيبون لهذه الدعوة أيضاً.

س: القمة الأخيرة بين الرئيس أردوغان والرئيس بوتين، وكذلك زيارة يوم واحد لوزير الخارجية الإيراني جواد ظريف إلى تركيا، فهل هذه تحركات لممارسة الضغوط على الغرب، أم هي تحول جديد في السياسة الخارجية التركية؟

ج: يظهر من المشهد الراهن أنهم غارقون في دوامة من المشاكل دون أن يجدوا لها حلولاً. فإعادة تطبيع العلاقات مع إسرائيل، وخطاباتُ الود الموجَّهة لها تسير في هذا السياق. ومن قبلُ كانوا يطلقون ألسنهم ضد روسيا، لكن عندما غرقوا في المشاكل صاروا يريدون سحب روسيا إلى جانبهم. بالإضافة إلى وجود مصالح مشتركة بين الطرفين تتعلق بالغاز والبترول ورغبةِ تركيا في تأمين علاقاتها مع دول وسط آسيا. في رأيي إن لجوءهم إلى روسيا نابع

من تورطهم في مأزق لا خلاص منه. أعتقد شخصياً أن الرئيس بوتين شخص ذكي. قد تحبونه أو تكرهونه، وقد تقدرون رأيي حوله أو لا، لكني أظن أنه سيأخذ من السلطة في تركيا ما يحتاجه ثم يستغني عنها، وستواجه تركيا مستقبلا مشاكل وعقبات في إقامة علاقات جدية مع روسيا. وهكذا الوضع مع إسرائيل. لأنه من غير المنطقي الثقةُ في شخصٍ وصف إسرائيل بالأمس بأنها لا تعرف شيئا سوى القتل، واليومَ يصفها بأنها أقرب دولة صديقة. مستحيل أن ينجح شخص بنى حياتَه على التناقضات والتقلبات المستمرة. الروس يعرفون نقاط ضعفه جيدا. فالرئيس بوتين شخص ذكي، أعيد هذا وأؤكد أنكم سواء أحببتموه أو كرهتموه، إلا أنني لا أظن أن بوتين سيصدقه ويقف إلى جانبه. في الوقت نفسه يدور حديث حول مسائل أخرى في هذه العلاقة من قبيل أموال تم تحويلُها من تركيا إلى روسيا في فترات سابقة، كذلك هناك حديث عن استثمارات أخرى غير شرعية هناك. لذلك فهمُّهم الآن هو استعادة هذه الاستثمارات. ولكن بوتين ليس شخصا يسهل خداعه والتلاعب به. ما يحدث مجرد سعي بائس من شخص فاشل للتخلص من المشاكل التي غرق فيها.

س: الحكومة التركية تصف حركتكم بأنها حركة إرهابية، وتسميها منظمة فتح الله الإرهابية، فماذا يمكنكم أن تقولوا للرئيس أردوغان إذا ما كان حاضراً هنا معنا لإقناعه بالعكس، وبأنكم فقط منظمة خيرية تقدم الخير للناس، وإن تعذر عليكم ذلك، فما هو الحل إذاً، فأنتم الآن تنتقدون الجهاز القضائي والحكومي، وتنتقدون حالة الطوارئ وتصفونها بالتشدد، فإلى أين نحن ذاهبون إذاً، وما

هو الحل بالنسبة إلى فتح الله غولن؟

ج: حتى لو التقيتُ بأردوغان مباشرة فلا أظن أنه سيستمع إلى رأيي. إنهم يعرفون جيدا أن الخدمة ليست حركة إرهابية. لقد اعتقلوا آلاف الأبرياء وداهموا مئات المؤسسات، حطموا الأبواب والنوافذ، واعتدوا على العاملين فيها، تماما كما كانت تفعل الوحدات الوقائية التابعة لنظام هتلر. لقد رشّوا المياه وأطلقوا الغاز المسيل للدموع على أناس أبرياء لم يواجهوهم ولو بلكمة واحدة. فهؤلاء الناس أصحاب قلوب راقية، منهجم كما يقول يونس إمره: "لا يدَ لي أوجهها لمن ضربني، ولا لسان لي ضد من سبّني، لا ألطّخ بالانتقام قلبي". فوصمُ مثل هؤلاء بالإرهاب جهل بمعنى الإرهاب أو افتراء متعمَّد على أبرياء. لو حدث فعلا وواجههم هؤلاء ولو بحجر واحد لكنتُ أول من سيقبل اتهامهم بالإرهاب. لكن برغم الظلم والاضطهاد الذي يتعرض له أبناء الخدمة الذين لا العنفُ ولا الإيذاءُ من شِيَمهم، فهم لم يقابلوا هذا الظلم ولو بأذيّة واحدة. لقد قبلوا بالسجون والمعتقلات وسلّموا أمرهم لله دون أن يردوا على الاعتداء باعتداء مثله. مع أن من حقهم العملَ بالجزء الأول من الآية القرآنية: "وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به". لكنهم آثروا العمل بالجزء الثاني منها: "ولئن صبرتم لهو خير للصابرين".

الذين يتهمون مثل هؤلاء الناس بالإرهاب هم الإرهابيون حقيقة. وهناك مثل شائع يقول: "ظُنون المرء من خُلُقه". قد يكون هناك أناس من شعوب "السلاف" اخترقوا الأناضول، وأظهروا أنفسهم يهودا مع اليهود أو نصارى مع النصارى، ومسلمين مع المسلمين.

هؤلاء يمكن أن يكونوا إرهابيين حقا. أما أبناء الأناضول المسلمون الحقيقيون الذين نذروا أنفسهم لخدمة الإنسانية في العالم، فلا يمكن أن يكونوا إرهابيين أبدا.

من جانب آخر، نحن نتحدث هنا عن حركة مدنية انطلقت وانتشرت وفتحت مدارس ومراكز ثقافية في بلدان العالم منذ ٢٤ سنة. لقد فعلوا هذا بالتعاون مع أبناء تلك البلدان، وقاموا بهذه الفعاليات بمشاركة أبناء تلك البلدان. أستسمحكم، إنّ أبناء هذه البلدان المختلفة ليسوا بأغبياء. لقد تابعوا في البداية هذه الفعاليات بعين الشك، وجسّوا نبض القائمين عليها مرات عديدة. ولحدّ الآن لم يظهر أن أحدا من أبناء الخدمة شارك أو تورط في أي عمل إرهابي في العالم ولو بنسبة ١ في الألف. لذلك فأصحاب السلطة في تركيا سيخفضون رؤوسهم في المستقبل خجلا مما يدّعونه اليوم.

أما حول المشاكل الراهنة، فستؤدي إلى تفاقم عزلة تركيا عن محيطها، وقد تُفرَض عليها عقوبات بموجب عضويتها في بعض المنظمات الدولية كالاتحاد الأوروبي والبرلمان الأوروبي وحلف الناتو. ومن الممكن أن تحدث انشقاقات داخل الحزب الحاكم. أما عن المظالم والانتهاكات التي يقومون بها، فأنا على يقين بأنها لن تستمر بإذن الله ورعايته. "إن الله ليُملِي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلِته"، ويقول الله عز وجل: "وكذلك أخذُ ربك إذا أخذ القُرى وهي ظالمة إنّ أخْذَه أليم شديد".

أردوغان ينتهج سياسة الاستقطاب ولغة التصعيد والكراهية للتغطية على كل فضائحه، ليس هو فحسب بل صارت هذه لغة الحكومة والموالين له؛ وبدلا من التعقل ومعالجة الأمور بحكمة، أدخل البلاد في حالة جهنمية، وصار يتعامل مع نصف الشعب وكأنهم لا شيء، على الرغم من اعتلائه كرسي الرئاسة الذي يفرض عليه أن يكون رئيسا للجميع. وفي ظل وضع كهذا هل يمكن الحديث عن الاستقرار في البلاد؟

إن السلطة الحاكمة في تركيا تريد تصفية الدولة من جميع من لم يبايعوها من جانبٍ، وترهيبَ سائر منظمات المجتمع المدني من جانب آخر، مع حرصها على تقديم هذه الحملات وكأنها تستهدف حركة الخدمة حصريًّا. إن انتهاكات حقوق الإنسان، بما فيها التعذيب، والتي انعكست في تقارير منظمة العفو الدولية أيضاً مرعبة تقشعر منها الأبدان. إنها مأساة إنسانية حقًّا.

حوار قناة الغد مع الأستاذ فتح الله كولن[1]

س: سيد فتح الله كولن في البداية كيف تقيّمون الوضع في تركيا الآن؟

ج: لأنني بعيد حاليًّا عن تركيا، لا يمكنني أن أقيّمها كمن يعيش في تركيا.. أتابع من خلال القنوات الفضائية، والصحف المتوفرة.. وأعتقد أن الإعلام العالميّ يتابع تركيا بشكلٍ أفضل مني.

س: ما هي رؤيتكم لوضع تركيا على الأقل؟

ج: الجميع يتابع ما يحصل في تركيا.. وما أراه من منظوري الشخصيّ فإن المجتمع التركي يتعرّض لأمور سيئة، مثل تقسيم المجتمع إلى معسكرات متناحرة، لا أدري كيف أعبر عن ذلك..

إن ما يحدث حاليًّا قد يكون شبيهًا بما حدث في حقبة الحروب الصليبية، حيث كانت الأمة التركية تحمل لواء الاسلام ولم تكن هذه الأمة متناحرة ولا تعيش حالة من العداء كما هو الحال اليوم.. إن قلبي ينزف على هذا المشهد التركي اليوم.

س: هناك حملة اعتقالات واسعة في صفوف الجيش والشرطة والقضاة والإعلاميين بلا محاكمات. هل هذا يؤدّي إلى تفاقم

---

[1] تم بث هذا الحوار بتاريخ ٣ أغسطس/آب ٢٠١٦م.

الأزمة وإلى مستقبل مظلم لتركيا؟

ج: إن من ينظر إلى المشهد التركي بحيادية يرى أن هذا المشهد يتطور بشكل سلبيّ، وكنت أتمنى ألا يكون الحال في بلادي كذلك، وأدعو الله في صلواتي: "اللهم اجمع شملنا وألّفْ بين قلوبنا".. ويشهد إخوتي الذين يعيشون معي على ذلك.

وبمناسبة ما وقع في تركيا من أحداث فساد في عام (٢٠١٣م) من جرائم غسيل الأموال، والعثور على كميات هائلة من أوراق البنكنوت في بيوت بعض المسؤولين الأتراك، لا أدري من قام بتسجيل تلك الجرائم وبثّها في قنوات التلفاز، هل هي المخابرات التركية نفسها! أم أن من قام بالتسجيل أجهزة استخبارات دولية؟!

وربما من قام بالتسجيل جهات لا تحب أردوغان، وعلى أيّ حال فقد طُرِحت قضايا الفساد في البرلمان التركيّ للتحقيق وأرادت المعارضة التحقيق أيضًا.

ومنذ ذلك الوقت اشتد الهجوم علينا رغم أنه لا علاقة لنا بالموضوع، وقد اختلقت السلطات التركية تعبير "الكيان الموازي".

ولا أعرف ديكتاتورية في التاريخ استخدمت مثل هذه الأساليب، فقبل أن تثبت الادّعاءات بالمحاكم ألصقوا بنا تهمًا كثيرة، منها تهمة "الكيان الموازي"، وتُهَمٌ أخرى لا تليق برجال الدولة.

قبل المحاولة الانقلابية الأخيرة أصدر مجلس الأمن القومي التركي قرارًا باعتبارنا حركة إرهابية، وذلك دون الاستناد على حكم قضائيّ.

وأخذت السلطات التركية في شنّ حملات من التشوية الممنهج، وأغلقوا مدارسنا ومعاهدنا التحضيرية للجامعات، وفرضوا الحراسة

على مؤسساتنا.

كنت قد اقترحت بعض الحلول للمشكلة الكردية جنوب شرق تركيا؛ للحفاظ على تركيا الموحدة بكردِها وتركِها وعرَبِها وشركسِها، لكن أردوغان ضرب بكل تلك الحلول والاقتراحات عرضَ الحائط، واستمرّوا في حربهم علينا بإغلاق مدارسنا خارج تركيا من خلال توظيف السفارات التركية في الخارج لهذا الغرض.

إن ما نتعرض له اليوم لا علاقة له بالمحاولة الانقلابية وأعتقد أن المحاولة الانقلابية اتخذها أردوغان ذريعة لإكمال ما بدأه من إجراءات لتدمير حركة الخدمة.

س: كيف تخرج تركيا من هذا الوضع؟

ج: أدعو الله أن يُنقذ تركيا بعنايته كما أنقذ سيدنا موسى (عليه السلام) وسيدنا نوح (عليه السلام) لكن إذا نظرنا في إطار الأسباب الظاهرية فإن الصورة لا تبدو بكثير من التفاؤل، ونضرع إلى الله أن يشمل تركيا برحمته وعنايته.

هذه الأمة التركية التي حملت لواء الدفاع عن الاسلام قرونًا طويلة نأمل من الله ألا يخيب رجاءها ولا يفرّق شملها، هذا أولًا، أما فيما يخص الرأي العامّ العالميّ فإنه ينبغي له أن يتدخّل بالضغط على الحكومة التركيّة لوقف الانتهاكات التي تمارسها الدولة هناك، وينبغي أن يتصدى الاتحاد الأوروبيّ والمجتمع الدوليّ ومنظمة شنغهاي لتلك الانتهاكات التي تمارس كل يوم في تركيا، وحيث أن تركيا تحتلّ موقعًا جغرافيًّا في غاية الأهمية، لذا فإن استقرارها هو أمر حيويّ بالنسبة لدول آسيا الوسطى وأوروبا والشرق الأوسط.

إن العالم يرى ما يجري في تركيا، ويجب أن يتعامل مع هذا الملفّ بإنصاف، وإذا أرادَ المجتمع الدولي أن يكون عادلًا ينبغي عليه أن يقول للقيادة التركية أن تلتزمَ بمعايير شرعية دولة القانون.

فلعلّ القائمين على الأمر في "أنقرة" ينتبهون لخطورة ما يمارسونه من إجراءات تسيء وتضر كثيرًا بمستقبل تركيا، ولعلهم يندمون ويرجعون عن أفعالهم وأخطائهم؛ لأنَّ ما يقومون به هو خطأٌ فادح.

س: لماذا يستهدفك أردوغان على وجه التحديد؟

ج: لا أعرف السبب الحقيقي وراء عداوة أردوغان لي.. لكن هناك قصة ذكرتُها لبعض الأخوة مرارًا، وسأعيدها عليكم.

كان أردوغان رئيسًا لبلدية إسطنبول وجاء لزيارتي.. كان يريد أن يؤسّس حزبًا ويتشاور مع بعض المفكرين، فجاء لزيارة العبد الضعيف، واستقبلتُه في مؤسّسة قام هو بإغلاقها في الحملة الأخيرة، وقمنا بتقديم واجب الضيافة له، هذ كان قبل عشرين عامًا تقريبًا، كان يريد أن ينشق عن زعيمه "نجم الدين أَرْبَكَانْ (Necmeddin Erbakan)"[١] ويؤسسَ حزبًا جديدًا، ونصحتُه آنذاك بالتروّي وقدمتُ له بعض النصح.

---

[١] نجم الدين أربكان (٢٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٢٦م - ٢٧ شباط/فبراير ٢٠١١م) تولى رئاسة "حزب النظام القومي (MNP)" و "حزب السلامة القومي (MSP)" و"حزب الرفاه (RP)" وتولى أيضًا منصب نائب رئيس الوزراء بتكوينه حكومة ائتلافية مع "بولنت أجويت (Bülent Ecevit)"، وأسس في عام (١٩٨٣م) حزب الرفاه، نجح في حصد أغلبية الأصوات في انتخابات عام (١٩٩٦م) ليترأس حكومة ائتلافية (١٩٩٦-١٩٩٧م) مع "حزب الطريق القويم (DYP)" برئاسة السيدة " تانصو چِلر (Tansu Çiller)"، وهو (رحمه الله) توفي في ٢٧ شباط/ فبراير (٢٠١١م) في أنقرة.

مضى زمنٌ طويلٌ منذ ذلك اللقاء، وكان "نجم الدين أربكان" وقتئذٍ زعيمًا لحزب "الرفاه" الحاكم.

وقلت لأردوغان: إن أردتَ الانشقاق وتأسيس حزب جديد فعليك توخي الحذر والتروي؛ لأنك قد تُسبب مشاكل داخل الحزب الحاكم.

ونصحتُ أردوغان أيضًا بأن تركيا تُعاني من كثرة الانقلابات، فعليكم التعايش مع المؤسسة العسكرية حتى لا تخسروا ما حققتموه من إنجازات، وكنتُ حسنَ النية تمامًا معه.

أذكرُ أن أردوغان غادر اللقاء دون أن ينبسَ ببنت شفة.. لكنّه قال للصديق الذي جاء به إليَّ: غدًا إذا تمكنتُ من الأمور في تركيا فإن أول من سأتخلّص منهم هم هؤلاء، وكان يقصد بهؤلاء العبدَ الضعيف وتلاميذي في حركة الخدمة.

إذًا فالمسألةُ ليست متعلّقة بفضائح الفساد في (٢٠١٣م)، فنيّةُ أردوغان قديمةٌ، وتعود إلى ذلك اللقاء.. لكنني لا أفهم السبب وراء كل ذلك الحقد الذي يحمله أردوغان.

أنا إنسان عادي بسيط، ولعل الله يتفضل على البسطاء بإنجازات كبيرة، وإنني أنظرُ إلى شخصي الضعيف على أنني إنسان بسيط، وهناك مدارس لحركة الخدمة في ١٧٠ دولة حول العالم. هذه المدارس تؤسّس جسورًا للمحبة والحوار بين الأمم والشعوب والثقافات المختلفة.

ويبدو أن حكومة أردوغان التي عجزت عن مثل هذا المشروع التنويري تحمل الحقد لنا، وكما تعلمون فإن الحاسد قد يكون أكثرَ

تدميرًا من الكافر، والحسنُ البصري ﷺ يشفق على الحاسد ويشبهه بمن ظلم نفسه[١].

والنبي ﷺ يقول " إيّاكم والحسدَ، فإن الحسد يأكل الحسناتِ كما تأكل النارُ الحطبَ"[٢]، لقد دخلت جماعة أردوغان في دوامة من الحقد والحسد، وكلما زادت أنشطة حركة الخدمة ازداد أردوغان وجماعته حقدًا وحسدًا.

---

[١] وقال الحسنُ البصري "ما رأيت ظالمًا أشبه بمظلوم من حاسد: نفس (حسد) دائم، وحزن لازم، وغمّ لا ينفذ". (ابن عبد ربه: العقد الفريد، دار الكتب العلمية - بيروت، (١٤٠٤ه) ١-٨، ٢/١٧٠).

[٢] سنن أبي داود، الأدب، ٤٤.

MENA
MIDDLE EAST NEWS AGENCY

إن القيادة الحالية في تركيا تستغل حالة الطوارئ لتصفية حساباتها مع جميع معارضيها. إنهم يعتقلون من يشاؤون، ويمارسون في حقهم كافة الانتهاكات، ويمنعونهم من مقابلة ذويهم ويكدّسونهم في زنازين ضيقة كالأسماك. باسم حالة الطوارئ تنتهك السلطة التركية كافة الحقوق الإنسانية.

www.nesemat.com

إذا استمرت الأوضاع على هذا النحو المزري من انتهاكات لحقوق الإنسان، وغياب كامل للحقوق والحريات وانعدام فرص التقاضي العادل، فستنعزل تركيا عن محيطها الإقليمي وعن العالم بأكمله.

حوار وكالة أنباء الشرق الأوسط مع الأستاذ فتح الله كولن[1]

س: في البداية كيف ترون موقف الحكومة التركية من التعامل مع محاولة الانقلاب الأخيرة ومن طلب تسليمكم إلى تركيا، خاصة أن ما لوحظ خلال تصريحات رئيس وزراء تركيا الأخيرة لصحيفة "وول ستريت جورنال"، وكذلك تصريحات محامي الحكومة التركية مع محطة "سي إن إن" لم تدل على أن تركيا لديها أدلة كافية أو قوية على تورطكم في محاولة الانقلاب؟

ج: الحقيقة أن موضوع المطالبة بتسليمي بدأ بعد فضائح الفساد في ١٧ و٢٥ ديسمبر في العام ٢٠١٣ حيث أصدروا قرارا بمكافحة خرافة "الكيان الموازي" التي أطلقوها على حركة الخدمة ثم عادوا بعد ذلك وقالوا "لا" ليست كيانا موازيا، بل هي "منظمة إرهابية". هذا قبل أن تقع أحداث ١٥ تموز/يوليو. لقد تكررت المطالبات بتسليمي قبل الانقلاب المزيف. لكن الإدارة هنا في أمريكا لم تُلقِ لها بالا. السيد أوباما لم يعرها اهتماما، وكذلك وزير خارجيته. أرسلوا إلى هنا تقارير ملفقة تم ترتيبها في وقت مسبق تمتلئ بمزاعم لا دليل على صحتها. أعتقد أن المؤسسات القضائية تدرس تلك

---

[1] تم نشر هذا الحوار بتاريخ ٣ أغسطس ٢٠١٦.

التقارير، وتناقش ما إذا كانت تتضمن وثائق جادة. ولكن أرى أن القناعة السائدة لدى المتابعين لهذا الشأن في أمريكا أنه لا يوجد أدلة مقنعة تقتضي تسليم العبد الضعيف لهم.

سبق أن قدم العبد الفقير إليهم مقترحا دعوتُ فيه إلى تشكيل لجنة تحقيق دولية تتحرى الموضوع بكل تفاصيله. أنا لست هناك في تركيا أنا هنا، فأيّ نوع من المغامرين كان وراء هذه الجريمة في تركيا؟ من الذي رتب لها؟ من الذي غرر ببعض السذج ليكونوا جزءا منها؟ من الذي استفزّ الناس للخروج إلى الشوارع بعد منتصف الليل لكي يواجهوا الدبابات؟ من الذي أمر لحظتها برفع الصلوات والنداءات من المآذن للخروج إلى الشوارع؟ من الذي كان السبب في إدخال المدنيين العزل في مواجهات دامية مات جراءها مئات الأبرياء؟ أسأل الله أن يرحم صالحيهم ويسكنهم فسيح جناته. من الذي تسبب في تلك الكوارث والمظالم التي تبعت هذه الأحداث المأساوية؟ الصورة التي شهدناها جميعا تقول بأن الحقد والعداء الذي كان دفينا في قلوبهم من زمن بعيد قد بلغ ذروته، فكان ما كان. ومن ثم عادوا فطرحوا موضوع الترحيل من جديد. أرسلوا بعض المسؤولين إلى هنا، ولا يفتأون يرسلون مجموعات من أعضاء البرلمان يوما بعد آخر لكي يقنعوا المسؤولين هنا.

هذا الفقير كان قد اقترح شيئا، لتتشكل لجنة تحقيق دولية، ولتتحرّ حقيقة الأحداث ما بان منها وما خفي. فإذا ثبت بأنني أنا من دبر هذا الانقلاب، مثلا إن ثبت أنني قلت لواحد في الألف من هؤلاء المتورطين في هذه الجريمة كلمة، ليأتونا بدليلهم، إن هاتفتُ أحدا

وقلت له نصف كلمة تتعلق بالموضوع فليأتوا به. ليتحروا مؤلفاتي التي يتجاوز عددها السبعين وهي التي تشكلت عبر ٥٠ عاما من حياتي، إن عثروا على جملة واحدة في هذه الكتب تؤيد كلامهم وتدينني، فسأقبلها حجة للحكم عليّ، وأتقبل الحكم بكل طمأنينة. ليثبتوا مزاعمهم بالدليل، وليكن بعد ذلك ما يريدون. لكنهم لم يستجيبوا لاقتراح العبد الفقير أبدا، رغم أنني كررت ذلك مرارا، لم يقولوا نعم هلموا أبدا، لأن ما يقولونه مجرد مزاعم لا أصل لها.

س: تشير بعض مراكز الأبحاث الأمريكية ووسائل الإعلام إلى احتمالية استخدام تركيا لقاعدة إنجيرليك أداة للضغط على الولايات المتحدة، فما رأيكم في هذا الشأن؟

ج: بما أنهم لا يملكون حيلة ولا حجة، فقد يلجؤون إلى استخدام كل وسيلة. قد يستخدمون قاعدة إنجيرلك لتهديد وابتزاز أمريكا حتى تنفذ مطالبهم. هم يعلمون ماذا تعني إنجيرليك لأمريكا. أمريكا عندها قواعد عسكرية أخرى في تركيا، عندها قواعد في كمال باشا في إزمير، عندها مراصد تتابع من خلالها المنطقة كلها. هذه القواعد في غاية الأهمية لأمريكا. قد يستخدمونها ذرائع لابتزاز أمريكا قائلين إما أن تفعلوا ما نطلبه منكم أو نراجع مواقفنا إزاء هذه القواعد. لذلك أعتقد أنهم اتجهوا ناحية روسيا التي أعلنوها من قبل خصما لهم، يحاولون التصالح وتطبيع العلاقات معها بعدما لم يحصلوا على رد إيجابي من أمريكا. وتذكرون أن أردوغان قبل سنتين كان قد صرح باحتمال انضمام تركيا إلى منظمة شنغهاي، أي إلى جانب روسيا والصين. علما بأن الحكومة التركية عاشت

بعض الانتكاسات والتقلبات في بعض الصفقات مع الصين. اتفقوا مع الصين أولا في بعض المشاريع، ثم تراجعوا عنها واتفقوا مع أمريكا، وأغضبوا الصين. الشيء نفسه حصل مع اليابانيين، طبعا أعرف هذه القضايا لأن الإعلام هنا تناقلها وكتب عنها. فهم في حالة يرثى لها، لا حول لهم ولا حيلة، في حالة من الحيرة، يطرقون باب هذا ثم ذلك، ويضربون رأسهم هنا ثم هناك. هذه كلها تبرز مدى العجز الذي يتخبطون فيه. مع ذلك يستخدمون كل الوسائل التي قد تفيدهم في إخضاع أمريكا لمطالبهم. لكن أستسمحكم في أن أقول: أمريكا ليست ساذجة إلى هذا الحد.

س: هناك بعض التقارير الصحفية التي تشير إلى احتمال قيام الولايات المتحدة بترحيلكم إلى دولة ثالثة، فهل تفكرون في ذلك الخيار؟ وهل هناك دراسة للانتقال إلى دولة ثالثة بينها مصر؟

ج: لا أفكر بالمغادرة من هنا حاليا ما لم تكن هناك أسباب قاهرة. أنا مقيم في هذا المكان منذ ١٦ عاما، لم أتعرض لأي إساءة من الجيران أو ممن يعيشون هنا، بل كانوا طيبين ومرحبين بنا دائما. أمريكا دولة كبيرة، لا أفكر في المغادرة من هنا دون أسباب اضطرارية. ولكن كما قلت قبل قليل إذا صدر قرار قضائي في حقي للترحيل من هنا فإنني سأغادر إلى تركيا دون تردد. أنا أعيش آخر أيام حياتي. ولعلها تكون فرصة يمنحني الله إياها لأبصق على وجوه الظالمين قبل أن أتابع مسيري إلى الدار الآخرة بإذن الله. بلدان مختلفة من العالم وجهت لنا دعوات في أوقات مختلفة. وصلتني دعوة من روسيا في زمن سابق من قبل السيد جيرينوسكي للإقامة فيها. هناك

دعوات من كاليفورنيا هنا، ومن كندا كذلك حيث يؤكدون حرصهم على توفير الراحة والأمن لنا. ولكن شخصيا لم أفكر بهذا أبدا.

مصر، وبعض وجوه مصر من المثقفين والمسؤولين تصرفوا بما يعبر عن شهامتهم ونبلهم وفضيلتهم. ولا أحسب أن تداول مثل هذه الموضوعات في المنابر الإعلامية والسياسية يتم بمنأى عن القائمين على تدبير الشأن في البلاد. لذلك أنتهز الفرصة وأقدم شكري لكل من تعاطفوا مع العبد الضعيف من صميم قلبي. في الحقيقة مكانة مصر في نظري لا تقل عن تركيا. يصف بديع الزمان النورسي "المصريَّ" بأنه ابن الإسلام الذكي. ومن ثم تتميز مصر بنفس الأهمية التي تتميز بها تركيا. شخصيا لا أريد أن تسوء العلاقات بين مصر وتركيا وتنقطع. لا أريد أن أكون سببا يجرّ على مصر مشاكل لها من جانب تركيا. لذلك أفضل البقاء هنا حاليا، مع تقديم عظيم شكري وامتناني لأشقائنا المصريين على هذه اللفتة الإنسانية الطيبة التي لا يمكن أن أنساها ما حييت.

س: كيف ترون تدخل أردوغان في شئون مصر الداخلية وخاصة تأييده للإخوان المسلمين في تركيا بعد أن قامت بكثير من الاضطرابات في مصر؟

ج: تعرفت على الإخوان المسلمين غيابا. قرأت بعض مؤلفات حسن البنا في زمن سابق، لكن لم يكن هناك أي تواصل مباشر بيننا وبينهم. أنا أعتقد أن الإنسان قد يكون قوي الإيمان، قوي الارتباط بالله تعالى، لكن السعي إلى طلب الدنيا، وخوض ساحة السياسة والرغبة في الحصول على السلطة، هذه الأمور وأمثالها لم أستسغها

سواء لنا أو لآخرين. برأيي أن الذين نذروا حياتهم لخدمة الدين وابتغاء مرضاة الله تعالى ينبغي ألا يتشوّفوا إلى الإدارة أو الدنيا، هذه رؤيتي منذ البداية. لذلك أضع من يفكر على هذا النحو في موضع معين. لا يعني هذا أنني أرفضهم، أو أقف ضدهم، أو أعاديهم، ولكن أضعهم في مكان معين. باعتقادي ينبغي أن نتحلى بروح العفاف والاستغناء في هذا الموضوع بالذات. فلا أدري هل هؤلاء أخذوا بمذهب الاستغناء أو لم يأخذوا.

انطلاقا من رؤيتي هذه أختلف مع القائمين على السلطة في تركيا. أعتقد أن الإخوان يعتبرون مَن في تركيا منهم، وأنه قائد عظيم يتحكم في مصير العالم. أنصاره ينادونه بقائد العالم، وقيادات الحزب يزعمون أن مصر وسوريا والشرق الأوسط وآسيا الوسطى ليس لها سوى قائد واحد وهو الذي في تركيا. هناك في الإخوان من ينظرون إليه على أنه منهم، يثقون به ثقة عمياء، ويعتقدون أنه بعد أن يُحكم قبضته على زمام الأمور في تركيا سيبسط سلطانه على العالم الإسلامي كذلك. في الحقيقة هو تتسلّط عليه هذه الرغبة، يحب أن ينادَى بأمير المؤمنين. لديه ضعف نفسي، يرى نفسه في مقام السلطان سليمان القانوني، مصاب بلوثة العظمة. ومن الواضح أنه يتلذذ بأن يلقب بهذه الألقاب. نقل عنه أحد الصحفيين الذين كانوا برفقته في إحدى جولاته ببلاد المغرب العربي أنه بينما كان يخترق جموع الناس ناداه أحدهم قائلا "أهلا وسهلا بأمير المؤمنين"، فالتفت إلى من بجواره قائلا: "هل أنا طلبتُ منه أن ينعتني بأمير المؤمنين؟ لكن الناس تراني هكذا".

رجل بهذه النفسية يتظاهر بأنه يدعمهم، لكنني أعتقد أنه لم يقدم لهم شيئا إيجابيا، لم يقدم شيئا إيجابيا لغزة. كانت جمعية "كيمسه يوكمو؟" أسبق من الحكومة لنجدة أشقائنا المظلومين هناك وبادرت إلى مساعدتهم، ولكن للأسف القيادة الحالية صادرت ممتلكات جمعية "كيمسه يوكمو؟" كذلك، أخذوا كل ما لديها، وقطعوا الطريق أمام المساعدات التي كانت تُرسَل إلى هناك. ومؤخرا القيادة الحالية قامت ببعض المساعدات الشكلية فحسب.

حوارات وسائل الإعلام العالمية

SCF stockholm center for freedom

موقفي من الديمقراطية معروف للجميع. لقد أكدت في منتصف التسعينات على أنه لا تراجع أبدا عن المسار الديمقراطي بعد اليوم، وتحملت في سبيل قناعتي تلك ردود الأفعال التي صدرت من بعض الفئات التي تَعدُّ الديمقراطية نظيرة اللادينية آنذاك.

www.nesemat.com

لا نعرف بالتحديد ما إذا كان بين من شاركوا في مسرحية الانقلاب تلك أحد ممن يتعاطفون مع فلسفة الخدمة أم لا، ولكن أقول إن كان بين هؤلاء من يتعاطف مع فلسفة الخدمة فما فعلوه خيانة للقيم الأساسية لتلك الفلسفة.

حوار مركز "ستوكهولم للحرية" مع الأستاذ فتح الله كولن[1]

س:متى علمتم بمحاولة الانقلاب لأول مرة؟ وكيف كانت ردة فعلكم الأولى؟

ج: علمت بالانقلاب من وسائل الإعلام. الإخوة أطلعوني على ذلك. وكانت ردة فعلي الأولى -كواحد ممن شهدوا جميع الانقلابات العسكرية في تركيا ورأى الأضرار التي تؤدي إليها الانقلابات بأم عينه- أن دعوت الله تعالى أن يحفظ بلدي من شر هذه المصيبة. موقفي من الديمقراطية معروف للجميع. لقد أكدت في منتصف التسعينات على أنه لا تراجع أبدا عن المسار الديمقراطي بعد اليوم، وتحملت في سبيل قناعتي تلك ردود الأفعال التي صدرت من بعض الفئات التي تَعدُّ الديمقراطية نظيرة اللادينية آنذاك. بالتأكيد عندما علمت بالانقلاب ساورتني الهواجس واعتراني القلق من أجل بلدي، فأنا شخصيا أعرف ماذا تعني الانقلابات، فقد كنت أحد المتضررين منها مرارا بشكل مباشر، وأدرك الثمن الباهظ الذي تُكبِّده الانقلاباتُ للشعوب. لذلك سارعت إلى استنكاره وإدانته بأشد العبارات قبل أن يُعلَن عن فشله وأعربت عن رفضي له كليًّا.

[1] نشر هذا الحوار بتاريخ ٥ يوليو ٢٠١٧.

س: هل كنتم تتوقعون حدوث محاولة انقلابية في الأيام التي سبقت ١٥ يوليو؟

ج: كان يتردد في مواضع كثيرة حديث حول استعدادات في الجيش للقيام بانقلاب. حتى قيل إن الصحفيين في كواليس أنقرة كانوا يتهامسون فيما بينهم حول هذا الموضوع. وكان يتردد أيضًا أن رئيس الأركان "خلوصي أكار" يسعى لانقلاب منذ زمن بعيد، وأنه قام بتحضيرات جدية في هذا المضمار. لذلك قد تكون هذه الأقاويل التي ترددت هي ما دفعت بعض الضباط للمشاركة في هذه المحاولة الانقلابية ظنًّا منها أن قيادة الأركان العليا هي من تتولاه. بطبيعة الحال لا يعلم حقيقة الأمر إلا الله. لكن لم يخطر ببالي قَطُّ أن يحاك انقلاب دموي كهذا بهدف القضاء على حركة الخدمة بالأخصِّ.

س: في أحد الحوارات التي أجريت معكم عقب ١٥ يوليو شبهتم محاولة الانقلاب بفيلم هوليوديّ. ما المعطيات التي شكلت عندكم هذه القناعة؟ من كتب ذلك السيناريو برأيكم؟ من يوجد خلف ١٥ يوليو؟

ج: لقد شهدت شخصيًّا ثلاثة انقلابات عسكرية حتى اليوم. كما تحدثت وسائل الإعلام -أثناء قضايا أرجينكون والمطرقة[1]- عن محاولات انقلابية كانت بعض البؤر داخل الجيش تخطط لها. لكن الأخير لم يكن يشبه أي واحد من الانقلابات التي وقعت بالفعل أو

[1] هي قضايا حوكم فيها بعض جنرالات وقيادات الجيش التركي وآخرين بتهمة التخطيط للانقلاب، بدأت من عام ٢٠٠٧م حتى عام ٢٠١٣م.

المحاولات التي تم الترتيب لها من قبل، لقد كانت مسرحية أعدت لأغراض سوداء ونوايا خائنة يمكن أن يفهمها حتى الأطفال. لقد قيل الشيء الكثير عن تلك المسرحية وكُتب عنها الشيء الكثير. والحقيقة أنها تستحق أن يُعدّ حولها دراسات وبحوث معمقة. إذا أردنا أن نتحدث عن التفاصيل فلعل ذلك يستغرق منا وقتا طويلا، لأن الحدث كله مشوب بأمور غريبة شتى؛ على سبيل المثال الساعة التي انطلق فيها الانقلاب، أي أن يخرج عدد محدود من الجنود ويستولوا على طرف من الجسر المعلق في إسطنبول مساء في ساعة الذروة حيث جميع الناس في الخارج، إلى أشياء أخرى غريبة يمكن أن نذكرها. ذَكَر بعض الجنرالات فيما بعد أن ما تم هو انقلاب تم التخطيط له ليكون فاشلا. بل إن نائب الرئيس الأمريكي وقتها "جون بايدن" الذي زار تركيا في تلك الأثناء، شبَّه المحاولة بلعبة من ألعاب الكومبيوتر. ولكن عندما أصف ما وقع بالمسرحية أو السيناريو ليس غرضي أن أقلل من شأن ما حدث. لا شك أن آثار هذه الكارثة كانت أشد ضررًا وفداحة من جميع الانقلابات التي وقعت في تركيا من قبل، وما زلنا نعاني من آثارها حتى اللحظة. لقد استشهد ٢٤٩ مواطنا من أبناء شعبنا في هذا الحدث المشؤوم. وأُودع حوالي ٥٠ ألف مواطن بريء في السجون. ولا يمرّ يوم دون أن نسمع عن أبرياء جدد يتعرضون لمظالم جديدة وتجاوزات مؤلمة. لقد أُغلقت مئات المدارس وعشرات الجامعات، وصودرت آلاف من الشركات الخاصة، وانفصمت تركيا عن المسار الديمقراطي كليًّا، رغم أنها كانت تتقدم في ذلك المسار نحو الأفضل ولو ببطء. حصلت شروخ

بين شرائح المجتمع، ونثرت بذور للعداوة والنزاع بين الناس يصعب تلافيها. لقد اتضحت نيتهم، وهي تأسيس نظام ديكتاتوري فاشي تحت غطاء نظام رئاسي جديد.

كان أردوغان يريد أن يبيد حركة الخدمة منذ زمن طويل، لكنه فشل في أن يحقق هدفه هذا عبر الطرق القانونية رغم جميع ألوان اللف والدوران على القانون وكافة المراوغات، فلجأ إلى هذا السيناريو أخيرا. لعلكم تذكرون أنه سبق أن كشف عن نيته تلك عندما قال قبل هذه الأحداث بكثير: "إن لم تخضعوا لي، فيمكنني أن أعلن حركة الخدمة تنظيمًا إرهابيًّا في جميع أنحاء العالم من خلال مدعٍ عام وحفنة من رجال الأمن". كان من باب المستحيل أن يحقق ذلك عبر الطرق القانونية، لأن أبناء الخدمة مستنيرون ومثقفون، لم يؤذوا نملة في حياتهم، ولم يخرجوا إلى الشوارع في مظاهرات لإثارة الفوضى مطلقًا، لم يرموا أحدا بحجر ولم يؤذوا أحدا. لذلك لجأ إلى سيناريو خبيث كهذا ليقول للناس: "ها هم رجال الخدمة يحملون السلاح كذلك". وهكذا استطاع أن يفتح الطريق المؤدية إلى تأسيس نظام ديكتاتوري يخطط له من جهة، كما استطاع أن يدشن حملة واسعة ضد الخدمة أطلق عليها "مطاردة الساحرات"[1] لم يسبق أن تعرضت الخدمة لمثلها من قبل. طبعا فشل في إقناع الرأي العام العالمي بأن حركة الخدمة تنظيم إرهابي، لكنه نجح في زرع العداء والكراهية ضد الخدمة في المجتمع التركي بفضل

[1] مصطلح أطلقته حكومة العدالة والتنمية بقيادة أردوغان على الحملة المنظمة التي استهدفت تصفية من يُزعم انتماؤهم إلى الخدمة من كافة القطاعات.

عشرات الصحف والقنوات التلفزيونية الموالية التي تلفق يوميًّا عن حركة الخدمة مئات من الأخبار الكاذبة دون انقطاع. وليت الكارثة اقتصرت على معاداة الخدمة، إنما ذبحوا مستقبل وطن بأكمله. لعبوا في كيمياء الوطن وأفرغوه من مضمونه. هناك اليوم مئات الآلاف من المتضررين. عشرات الآلاف من العقول النوعية المثقفة الراقية التي تعشق وطنها، تقبع داخل المعتقلات، أو تعيش في المنافي الاضطرارية التي لجأت إليها بحثًا عن الأمان. خلاصة القول، إن فاجعة ١٥ يوليو لم تكن سوى سيناريو خائن تم ترتيبه من قبل أردوغان وبطانته.

س: دائما تكررت ادعاءات من قبيل أن حركة الخدمة تسللت إلى الدولة ومؤسسات الدولة وأنها كانت تسعى إلى السيطرة على الجيش وجهاز الأمن ومؤسسة القضاء. هل هذه الادعاءات صحيحة؟ هل للخدمة أهداف من هذا القبيل؟

ج: إنني أرفض رفضًا باتا جميع الادعاءات المتعلقة بأي نوع من أنواع "التسلل" أو "الاختراق" أو "السيطرة" على أجهزة الدولة، وأعتبرها مزاعم كريهة وغير لائقة. حركة الخدمة أَوْلَتِ التعليم عناية خاصة من البداية، وحفَّزت الناس على أن يتحلوا بالعلم والمعرفة والأخلاق والتنمية، وأن يستوعبوا واقع عصرهم ويواكبوا تطوراته مع الحرص على القيم الإنسانية السامية مثل الوفاء والعطاء والتجرد. حركة الخدمة تقوم على مبدأ التطوع. لقد تعرضت الخدمة لمثل تلك التهم والادعاءات مرات عديدة من قبل. وأنا عبّرت عن قناعتي المتواضعة في كل مرة وقلت: "عندما يُرسل مواطنٌ في هذا الوطن

أبناءه ليخدموا في أجهزة دولته، فإن ذلك لا يسمى تسللاً أو اختراقًا، بل إن ذلك حق من حقوقه الطبيعية". ولقد ذكرت ذلك بوضوح في دروسي ومحاضراتي المفتوحة للجميع، كما عبّرت عن ذلك مرارا في الحوارات التي أجريت مع العبد الضعيف. وما زلت على الرأي نفسه. إنْ أرسل الشعب أبناءه إلى مؤسسات دولته ليخدموا فيها، فإن ذلك ليس اختراقًا، إنما هو حق من حقوقه الطبيعية.

أما مسألة أن هناك متعاطفين معي ومع أفكاري في هذه المؤسسات، فليس غريبا أن يكون هناك متعاطفون مع أفكاري أو مع أفكار غيري، فقد يكون بين من يحترمون العبد الضعيف أناس أرسلوا أبناءهم إلى تخصصات وكليات وجامعات مختلفة، كما قد يكون بينهم من أرسلوا أبناءهم إلى بعض المؤسسات التي أشرتم إليها. يمكن أن يكون في تلك المؤسسات من ينظر إلى أنشطة الخدمة بعين التقدير، أو من يتعاطف مع فلسفتها القائمة على المحبة والسلام والحوار والتعايش والقيم العالمية. وهذا ليس غريبا كما قلت، ما داموا ملتزمين بالقوانين واللوائح المنظمة لهذه المؤسسات، ويعملون لصالح وطنهم ويتلقون تعليماتهم من قياداتهم المباشرة. أما الزعم بأنهم مرتبطون بالخدمة فما هي إلا ذريعة للتخلص ممن يريدون التخلص منه كما بات من الواضح أن وجود هذه النوعية من الناس في تلك المؤسسات قد سبَّب إزعاجا للبعض على الدوام. وليست عمليات التنكيل والإبادة التي تتعرض لها الخدمة في السنوات الأخيرة بصورة ممنهجة إلا تعبيرا عن ذلك الانزعاج.

إن طرد عددٍ من القضاة أو المدعين العموم أو رجال الأمن

أو ضباط الجيش من وظائفهم أو الزج بهم في المعتقلات بذريعة انتمائهم للخدمة أمر غير معقول، فأنا شخصيا لا أدري مثلا نسبة المعجبين منهم بفلسفة الخدمة، بل لا أعرف الأغلبية الكبرى من المواطنين الذين يتعاطفون مع رؤية الخدمة. وكيف لي أن أعرف ذلك؟ ليس هناك سجلات، ولا نظام عضوية، ولا دفاتر تقيد أسماءهم. الخدمة حركة تطوعية بكل ما تعنيه الكلمة من معنى. وأود أن أكرر ما سبق أن ذكرته مرارا في مناسبات شتى؛ لا نعرف بالتحديد ما إذا كان بين من شاركوا في مسرحية الانقلاب تلك أحد ممن يتعاطفون مع فلسفة الخدمة أم لا، ولكن أقول إن كان بين هؤلاء من يتعاطف مع فلسفة الخدمة فما فعلوه خيانة للقيم الأساسية لتلك الفلسفة.

س: سبق أن اقترحتم تشكيل لجنة دولية للتحقيق في محاولة الانقلاب. ما الذي كنتم تتوقعونه؟ فيما بعد نشرت بعض الدول تقارير استخباراتية حول الموضوع. فهل تعتبرون هذه التقارير نوعًا من الاستجابة لمقترحكم ذاك؟

ج: بالتأكيد لا. لقد قدمت ذلك المقترح عقب مسرحية الانقلاب مباشرة. وما زلت أُلحّ على طرحه. لتؤسِّس المنظمات الدولية، سواء كانت الأمم المتحدة أو الاتحاد الأوروبي أو حلف الناتو أو أي منظمة أخرى، لجنة مستقلة تحقق في الموضوع. وأنا على استعداد تام لأقدم إفادتي بين يدي هذه اللجنة. وسأحترم القرار الذي يتخذونه مهما كان وسألتزم به حرفيًا. لكن لم يستجب لا أردوغان ولا حزب العدالة والتنمية لهذا المقترح، بل عندما قُدّم طلب للبرلمان في تركيا للتحقيق في موضوع الانقلاب، تم رفض ذلك بناء على

تصويت أعضاء حزب العدالة والتنمية، فكيف سيقبلون بتشكيل لجنة دولية تحقق في الموضوع؟ إنكم تعرفون جيدا ما آلت إليه الأمور في اللجنة التي تشكلت "صوريا" في البرلمان وما كادت تتشكل لولا ضغوطات مكثفة، ولم تتشكل إلا بعد أن مضى على محاولة الانقلاب أشهر عديدة. وتعرفون أن جميع الشخصيات المفتاحية في هذه المسرحية لم توافق على القدوم إلى برلمان الشعب للإدلاء برأيه والإجابة على أسئلة اللجنة. لقد نشرت أمريكا وإنكلترا وألمانيا وأمثالها من الدول التي تمتلك أجهزة استخباراتية قوية، تقارير تؤكد أنه لا يوجد أي دليل ملموس يثبت تدبير الانقلاب من قبل حركة الخدمة، لا شك أن هذه التقارير بمثابة إعلان عن براءة الخدمة من هذه الجريمة، لكن ذلك لا يكفي. إذ لم يكن لهذه التقارير أي أثر إيجابي على الوضع الداخلي في تركيا. أنا ألح على ضرورة تناول القضية بصورة أكثر جدية ومن قبل لجنة دولية يُلزِم قرارُها الرأي العام العالمي والمجتمع الدولي برمته. إنني ألح على هذا الطلب لتبرئة ساحة مئات الآلاف من الناس في تركيا ممن يتعرضون لشتى أصناف الأذى والافتراء. وإذا استحضرتم المآسي التي يعيشها مئات الآلاف من الأبرياء في تركيا بسبب مسرحية الانقلاب تلك، فسوف تفهمون مدى أهمية إلحاحي على تشكيل لجنة دولية مستقلة تحقق في الموضوع.

س: كُشِف مؤخرا أن وزراء حزب العدالة والتنمية خططوا مع "مايكل فلين" مستشار الأمن الخاص السابق للرئيس الأمريكي ترامب لاختطافكم من أمريكا إلى تركيا. كيف تقيّمون ذلك؟

وهل سبق أن وصلتكم معلومات أخرى عن محاولات مماثلة تتعلق بكم؟

ج: عندما سمعت بذلك صدقوني تأسفت كثيرا من أجل بلدي. تأسفت كثيرا على تحول جمهورية تركيا -التي تمتلك تقاليد عريقة في تسيير الدولة وتحاول أن تمارس التجربة الديمقراطية بطريقة أو بأخرى- في يد هؤلاء إلى كيان مافيوي. للأسف الشديد يتعرض رجال الخدمة في بعض الدول التي لا نصيب لها -أو قلَّ نصيبُها- من الديمقراطية وحقوق الإنسان وحرياته وسيادة القانون لعمليات خطف بأساليب مافيوية لا تتناسب مع جدية الدولة ولا سيادة القانون ولا حقوق الإنسان وحرياته الأساسية. يبدو أنهم لجأوا هنا (أمريكا) أيضا إلى الأساليب نفسها. ولكن الأمر هنا مختلف، إن الديمقراطية تعمل هنا بشكل سليم بكل مؤسساتها، كما أن سيادة القانون هي الأساس هنا وفق المقاييس العالمية. لذلك لا يمكن أن ينجحوا في ذلك هنا. وسبق أن حذرتنا أجهزةُ الأمن هنا وزوَّدتنا ببعض المعلومات حول محاولة اغتيال تستهدف العبد الضعيف أو المكان الذي يقطن فيه.

POLITICO MAGAZINE

تم إغلاق جميع وسائل الإعلام المعارضة في تركيا. ثم إذا اعترض أحد القضاة يعتقلونه فورا، وإذا اعترض ضابط يزجّون به في السجن، بل لقد وصل الأمر إلى اعتقال أعضاء من المحكمة الدستورية العليا وألقوا بهم في السجن. في ظل ممارسات دكتاتورية كهذه، كيف يتسنى للمواطن العاديّ أن يطّلع على الحقائق أو يعرفها؟

إن السلطة الحاكمة في تركيا فصّلت جهاز القضاء على مقاسها، فشرّدت كثيراً من القضاة وعزلت كثيرين، بل إنهم أسسوا محاكم خاصة لهم يُملُون من خلالها على القضاة الذين عيّنوهم أحكاما معيّنة، يشيرون عليهم باعتقال هذا أو مصادرة ممتلكات ذاك أو إغلاق شركات مملوكة لأصحابها، فيفعلون فورا.

حوار مجلة بوليتيكو الأمريكية مع الأستاذ فتح الله كولن[1]

س: تؤكدون على أن حركتكم حركة مدنية سلمية وليست سياسية، لكن مصادر مختلفة تقول إن "الخدمة" لها جانب غامض، وذلك أن أفرادا منها يتم إعدادهم بعناية ليتسربوا إلى أجهزة الدولة ويتولوا مناصب معينة فيها بغرض الهيمنة الكاملة على الدولة. هل هذا صحيح؟ إن لم يكن صحيحا، فهل يمكن أن يقوم بعض الأفراد بمثل هذا العمل دون علمكم؟

ج: عملت في الوعظ والإرشاد حوالي ٣٠ عاما قبل أن آتي إلى الولايات المتحدة الأمريكية في سنة ١٩٩٩، وواصل إخواني وأصدقائي طباعة دروسي ومحاضراتي ومقالاتي بعد أن استقر بي المقام هنا. صدر لي أكثر من ٧٠ كتابا تتضمن مقالاتي ودروسي ومحاضراتي، وهي متوفرة في كل مكان. فمن الطبيعي أن يكون في الدولة التركية من يتقاسمون معي نفس الرؤى والأفكار، كما يمكن أن يكون فيها من يعارضها.

أكدت في توصياتي طوال حياتي -ولا زلت- على ضرورة العمل

---

[1] نشر هذا الحوار في مجلة بوليتيكو، ٩ سبتمبر ٢٠١٦، وقد أجرى الحوار مع الأستاذ كولن الصحفية نهل طوسي.

في إطار القانون والالتزام بالقيم السلوكية. فإذا اخترق واحد ممن يقرأ مؤلفاتي ويتعاطف مع أنشطتي القوانين السائدة أو المبادئ الأخلاقية، أو خرج على التعليمات القانونية التي تأتيه من مدرائه، فإنه قد ناقض القيم والمبادئ التي أدعو إليها، وبالتالي سأكون داعما لمقاضاته أمام القانون وعليه أن يتحمل نتائج اختراقاته تلك.

إن مؤسسات الدولة مرآة للمجتمع، تعبر عن جميع الألوان والأطياف والمكونات التي يحتوي عليها، طبعا في حال لم يكن هناك إقصاء أو تهميش أو تمييز فيما بينها. وجميعنا يعلم أن مؤسسات الدولة التركية تشتمل على فسيفساء من الموظفين ينتمون إلى تيارات سياسية شتى وديانات مختلفة وانتماءات ثقافية متنوعة من وطنيين وقوميين متطرفين وشيوعيين وكماليين وعلويين ويساريين وصوفيين إلخ. لم تستطع أي من هذه المجموعات أن تعبر عن وجودها بشفافية ما عدا التيار الكمالي بسبب سياسات التمييز والتهميش التي مورست، والانحياز المتطرف للأيدولوجية العلمانية الكمالية من قبل الدولة. أما اليوم فقد تم استبدال الولاء لأتاتورك بالولاء لأردوغان كمقياس للقبول والاعتراف على الصعيد الوطني.

من حق كل مواطن تركي دستوريا أن يخدم في مؤسسات دولته إن كان مؤهلا لذلك ومحققا لكافة المعايير المطلوبة منه لحيازة ذلك المنصب. وفي هذا الصدد، إن توجيه أي تهمة إلى أي فرد يعمل في جهاز الدولة على أنه يحمل نوايا إجرامية خفية من دون تقديم أدلة ملموسة على ذلك، لا يعدو أن يكون محض افتراء. وإذا كان الناس يتوجسون من إبراز انتماءاتهم خوفا من التصفية أو الطرد

من وظائفهم، فهذا ليس ذنبهم، إنما هو ذنب الحكومة.

وإذا ألقيتم نظرة شاملة إلى جميع مؤلفاتي ودروسي، فسوف تجدون أنني لم أناصر ولم أدعُ إلى أي تغيير في تركيا بوسائل غير ديمقراطية قط؛ بل قبل٢٢ عاما في سنة ١٩٩٤، أعلنت في لقاء جماهيري أن لا خيار آخر ولا رجعة لتركيا ولا لأي بلد في العالم عن الديمقراطية بعد اليوم. وسائل الإعلام الموالية للرئيس أردوغان اليوم وجهت لي انتقادات لاذعة آنذاك، بل كادت تصنفني في عداد الكفار. وعندما فرض الجيش سلطانه على السياسة الداخلية في أواخر التسعينيات وبدايات سنة ٢٠٠٠، رُفِعت قضايا ضدي في المحاكم التركية، لكنهم لم يستطيعوا أن يقدموا أدنى دليل يثبت مساندتي لنظام آخر عير الديمقراطية.

س: برأيكم ما الذي يخفيه المستقبل لكم ولحركتكم بعد محاولة الانقلاب في تركيا والمساعي الدؤوبة لشيطنة كافة أنشطتكم وأتباعكم داخل تركيا وخارجها؟

ج: يبدو أن أردوغان قد عقد العزم على أن يدمر جميع المؤسسات التي أقامها أبناء الخدمة، وأن يمنع أي محاولة لإقامة أي مؤسسة جديدة. وبالتأكيد هذا السلوك مناقض للدستور التركي من الأساس، كما أنه مناقض لكافة الاتفاقيات الدولية التي وقّعت تركيا عليها والتزمت بمقتضياتها وكانت جزءا منها. ومن ثم، ما لم يتحمل قادة العالم المسؤولية ويظهروا مواقف حازمة ويتخذوا تدابير حاسمة إزاء "مطاردة الساحرات"، فليس هناك أي عامل داخلي في تركيا يمكنه أن يوقف الرئيس عن تجاوزاته.

لقد دافع إخواننا وأصدقاؤنا عن حقوقهم حتى اليوم عبر الطرق السلمية وفي قاعات المحاكم. لكن العجيب اليوم أن المكاتب القانونية يتم مداهمتها ويتم اعتقال المحامين الذي يعملون فيها. ما يحصل اليوم هو أن الناس يحرمون من حقهم في الدفاع المشروع عن أنفسهم في قاعات المحاكم. حكومة أردوغان تبذل كل ما في وسعها لدفع هؤلاء الناس إلى العنف. لكنهم اعتصموا بالصبر الجميل حتى اليوم، وأنا واثق من أنهم لن يحيدوا عن هذا السلوك أبدا. من جانب آخر، اضطر بعض أبناء الخدمة إلى أن يغادروا بلدهم إلى بلدان أخرى بحثا عن فرص جديدة للعمل والاستثمار والمعيشة الآمنة بسبب الضغوطات التي يتعرضون لها في تركيا.

بالتأكيد إنها خسارة مأساوية لتركيا، لكنها الخيار الوحيد الذي بقي أمام هؤلاء المتضررين. كيف لا، وقد تم مصادرة ممتلكات شخصية تتجاوز ملايين الدولارات دون وجه حق. رجائي ودعائي ألا تستمر حالة الجنون هذه طويلا.

س: إن اتخذت الولايات المتحدة الأمريكية قرارا بترحيلكم إلى تركيا، فكيف سيكون موقفكم من هذا القرار؟

ج: الولايات المتحدة الأمريكية لها تاريخ طويل في الحفاظ على المبادئ القانونية واحترام الحريات وحقوق الإنسان، وهو ما مكّنها من أن تحظى بمكانة وسمعة طيبة على مستوى العالم. لا أظن أنهم سيتخلون عن هذا التقليد ويهدمون تلك السمعة الطيبة ببساطة لأن السيد أردوغان يضغط عليهم في هذا الموضوع بإلحاح. إنني أستبعد ذلك، ولكن إن تم اتخاذ قرار ترحيلي بدوافع سياسية بحتة، سبق أن

أعلنت مسبقا وقلت إنه لا حاجة –وقتها- للضغط عليّ للخروج من هنا، بل سأشتري تذكرتي بنفسي وأرحل إلى بلدي دون أي تردد.

أنا لست قلقا بشأني، إنما أنا خائف من أن تعرّض ضغوطات السيد أردوغان علاقات تركيا مع الولايات المتحدة وحلف الناتو إلى خطر. لأن كلا من الولايات المتحدة والنيتو لعبا دورا هاما في تحوّل تركيا من نظام حكم الحزب الواحد إلى نظام ديمقراطي غير مكتمل. فإذا انهارت علاقات تركيا مع الولايات المتحدة وحلف الناتو، فأعتقد أن ذلك لا ينفع الديمقراطية في تركيا بأي شكل من الأشكال.

س: هل صحيح أنك والرئيس أردوغان كنتما حليفين في يوم من الأيام؟ إن كان ذلك صحيحا، فما هي الأسباب التي أدت إلى توتر العلاقات بينكما حتى بلغت الأوضاع إلى ما نحن عليه اليوم؟

ج: كثير من المراقبين يسمون العلاقة التي كانت بيننا تحالفا، لكن الحقيقة أننا لم نكن قريبين إلى بعضنا إلى حد التحالف أبدا. لقد التقيت به مرتين أو ثلاث مرات، وكلها كانت قبل أن يخوض أي انتخاب برلماني. وعندما خاض حزبه الانتخابات كنت هنا (أمريكا) أصلا، ولم أتمكن من التصويت أبدا، ولكن الجماهير المتعاطفة مع "الخدمة" ساندوا حزبه عبر أصواتهم وعبر وسائلهم الإعلامية.

إنكم إذا تحريتم عن أسباب هذه المساندة فإنها ليست معقدة. فقد وعد حزب العدالة والتنمية في انتخابات ٢٠٠٢ الشعب التركي بنقل تركيا إلى الأمام في مساعيها للانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، ووعدوا الشعب بالقيام بإصلاحات ديمقراطية كبيرة، وبتوسيع نطاق الحريات وحقوق الإنسان في البلد، وبتعزيز الجهود لإدماج تركيا مع

دول العالم، وبالقضاء على الفساد داخل مؤسسات الدولة، والحد من تصنيف الدولة لمواطنيها بناء على معايير أيدولوجية تهمّش فئات اجتماعية وتميزها بسبب اختياراتها وانتماءاتها المختلفة. العبد الضعيف وأصدقائي ساندوهم بناء على تلك الوعود التي قطعوها على أنفسهم أمام الشعب.

وعندما خاضوا انتخابات ٢٠١١ وعدوا الناس بإطلاق دستور يُعِدّه مدنيون دون أي خوف من جنرالات الجيش. ولكن لم يكادوا يفوزون بالانتخابات حتى بدأوا يهدمون كل إصلاح ديمقراطي حققوه من قبل. في البداية اشترطوا أن يكون منصبُ رئاسة الجمهورية في الدستور الديمقراطي المرتقب إجرائيا، وليس رمزيا، ولم يلبثوا أن نحّوا فكرة الدستور جانبا حتى صارت في طي النسيان بالكامل.

الحقيقة أنني كنت في يوم من الأيام من الداعمين لفكرة النظام الرئاسي، ولكن بشرط أن يكون على غرار النموذج الرئاسي الذي تطبقه أمريكا وفرنسا وبلدان أخرى حيث يمكن مراقبة الرئيس ومحاسبته. لكن النظام الرئاسي الذي يريده السيد أردوغان أقرب ما يكون إلى نظام الرجل الواحد الذي يمتلك جميع الصلاحيات من دون أي مراقبة أو محاسبة. بطبيعة الحال لا يمكنني أن أدعم نظاما فاشيا كهذا بقلب بارد.

السيد أردوغان مارس عليّ شخصيا وعلى محبي "الخدمة" ضغوطا شديدة لكي يساندوا مقترحه الرئاسي بصورة جماعية ودون أي اعتراض أو نقد. وعندما لم يتم له ما أراد، رفع من حجم الضغوطات فأطلق مؤسسات بديلة لمؤسسات الخدمة مدعومة بأموال حكومية،

وعندما لم يحقق ذلك أهدافه، أخذ يهدد مؤسسات الخدمة بالعمل على إغلاقها. لو أننا رضخنا لضغوطاته وقدّمنا له بيعتنا، لكنا من أكبر المستفيدين من أعطيات وهبات الحكومة التركية اليوم. لكننا رفضنا كل ذلك، فأخذ يصب علينا جام غضبه منذ ثلاث سنوات.

يمكننا القول باختصار إننا ندفع ثمن الاستقلال والحرية. إنه ثمن باهظ في الحقيقة، لكنني لست نادما مطلقا، ولا أعتقد أن يكون أحد من أصدقائي وإخواني نادمين كذلك. ما يحزنني شيء وحيد، وهو أن وطني صار مسرحا للمآسي والآلام بسبب غياب رجال حقيقيين يكبحون جماح طموحات هؤلاء المستبدين.

س: لو أتيحت لك فرصة التحدث إلى الرئيس التركي أردوغان والرئيس الأمريكي باراك أوباما الآن، ما الذي تريد أن تقوله لهما؟

ج: لا أعتقد أن أردوغان سيعير اهتماما لما سأقول له. حاولت في السابق مرارا أن أوصل صوتي إليهم عبر خطابات أرسلتها لهم، حاولت من خلالها أن أشرح لهم إلى أي مدى وصل تصنيف الحكومة للناس وتمييزهم على أساس انتماءاتهم الثقافية والدينية والأيدولوجية، وخطابات أخرى قدمت فيها مقترحات عملية لحل أزمة المواطنين الأكراد[1]. لكن لم يأخذوا أيا من هذه التوصيات على محمل الجد. اليوم، أدعو الله فقط أن يهديهم إلى الرشد حتى لا يعرضوا مستقبل هذه الأمة العظيمة لمخاطر وخيمة لا يمكن تلافيها.

من جانب آخر، إنني أرى من هنا الجهود التي يبذلها الرئيس

---

[1] انظر: إلى دولة رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان مقترحات لحل المسألة الكردية، ص:٢٩٧ من هذا الكتاب.

أوباما للحفاظ على العلاقات مع تركيا رغم التحديات التي يواجهها في التعامل مع زعيم سلطوي. العلاقات التركية الأمريكية في غاية الأهمية بالنسبة للبلدين، لكنها حيوية بالنسبة لتركيا. وإنني حزين جدا أن أرى هذه العلاقة تتدهور. التجاوزات والانتهاكات التي يقوم بها أردوغان في الداخل التركي مناقضة لروح القيم الديمقراطية التي قامت عليها أمريكا وحلف الناتو.

ما يقلقني هو أن أرى طرفا يحاول أن يحافظ على هذه العلاقة، بينما الطرف الآخر يعمل على هدم الأرضية التي بنيت عليها تلك العلاقة. اطلعت مؤخرا على تقارير صحفية تؤكد على حصول بعض مجموعات العنف والإرهاب مثل تنظيم داعش على دعم مباشر في تركيا؛ كما أن معالجة مخاوف أمنية متعلقة بحزب العمال الكردستاني تؤدي إلى خسائر مدنية وإلى معاناة المواطنين الأكراد؛ بالإضافة إلى أن طموحات أردوغان في أن يكون بطلا وطنيا يهدد لمزيد من زعزعة الاستقرار في المنطقة. إن مشاعر الكراهية لأمريكا تزداد يوما بعد يوم، ووسائل الإعلام الخاضعة لتعليمات أردوغان تلعب دورا رئيسيا في تأجيج هذا الكراهية.

كيف يمكن أن نصون العلاقات بين البلدين من أن تنهار، في الوقت نفسه كيف يمكن أن نحفظ تركيا من أن تتحول إلى نظام دكتاتوري فاشي؟ أعتقد أن هذه مسؤولية غاية في الأهمية والخطورة، وكلي رجاء بأن فريق الرئيس (أوباما) الذي يتشكل من خبراء أكفاء سيوجهونه في اتجاه صحيح يمكّنه من تجاوز هذا التحدي.

كان عزوفنا -منذ البداية- عن العمل السياسي الحزبي اختيارًا فرضناه على أنفسنا، ولم نسمح لأنفسنا قط بتغيير هذا الموقف مهما كانت العروض والمغريات. لقد سنحت فرص كثيرة لممارسة الحكم، وعُرضت علينا مناصب حكومية كثيرة في فترات مختلفة، لكننا لم نستجب لأي من هذه العروض.

لقد ثبت بعد التجربة والمعايشة الطويلة لمدارس الخدمة في كل البلاد التي فتحت فيها أنه لا علاقة لها بالشأن السياسي الداخلي من قريب أو بعيد، بل تنأى بنفسها تمامًا عن أي أمر داخلي يتعلق بهذه البلاد، وكل تركيزها على إعداد الأجيال للمستقبل؛ لأننا نؤمن بأن مشاكل المستقبل لا يمكن حلها إلا من خلال أفراد تلقوا تعليما جيدا. وقد خَبَرَتنا المؤسساتُ الأمنية جيدًّا وخاصة المعنية منها بمراقبة المؤسسات الأجنبية، وتأكدوا من أننا نسير على هذا الخط ولا نفارقه أبدا.

حوار قناة ZDF الألمانية مع الأستاذ فتح الله كولن[1]

س: السيد كولن، بعد محاولة الانقلاب يتعرض أنصاركم في تركيا لعملية تصفية وتطهير واسعة حيث طُرِد على سبيل المثال أكثر من ١٠٠ ألف مدرس وقاض وموظف حكومي من أشغالهم، وتم اعتقال أكثر من ٢٠ ألف شخص، إلى أين تتجه تركيا؟

ج: في الحقيقة، كل ما يتم أمام أعيننا من اعتداءات قد تم التخطيط له مسبقا. كانوا يبحثون عن ذريعة تمكّنهم من تبرير ما سيرتكبونه أمام الرأي العام العالمي، وتقنع العالم بأن ما يفعلونه هو عين العقل والصواب. كانت قوائم للتصفية ترسل من قبلُ باستمرار، قوائم أسماء تتعلق بالجهاز القضائي ثم قوائم أخرى تتعلق بالجيش، ولكن المسؤولين في تلك المؤسسات كانوا يتعاملون معها بروية وفي إطار القانون. فتصفية شاملة على هذا النحو كانت تحتاج إلى مبرر مقنع. لذلك دبروا سيناريو الانقلاب، فكان مسوّغا لكل التجاوزات التي تمت بلا اعتراض. أعتقد أن مسارعتهم إلى التصفيات فجر اليوم التالي من المحاولة يكفي لفضح نواياهم.

أما فيما يتعلق بالوجهة التي تنجرف إليها تركيا اليوم، فأعتقد

---

[1] تم بث هذا الحوار بتاريخ ٢٣ سبتمبر ٢٠١٦.

أنهم أدرى بها مني، أوليسوا أفضل من يقرأ العالم؟ نظرة شاملة إلى المشهد تبرز بكل وضوح أن ما وقع كان مسرحية. في الليلة التي حدث فيها الانقلاب بدا الرئيس سعيدا حيث اعتبر محاولة الانقلاب فضلا من الله وفرصة ذهبية للقيام بما عجز عنه سابقا. هناك جهات غامضة زودت بعض الناس بالسلاح، وحرضتهم على إطلاق النار على المدنيين. هذه المشاهد الغريبة وأمثالها كأنها تجسيد لسيناريو أعد سلفا للعرض والمشاهدة. هل تركيا تسير في الاتجاه الصحيح؟ سبق لتركيا أن تخطت عقبات صعبة مماثلة، تجاوزت أزمة ٢٧ مايو، و١٢ مارس، وكنت في تلك الفواجع كلها واحدا ممن ذاقوا ويلاتها. ثم تخطت تركيا عقبة ١٢ سبتمبر، ثم ٢٨ فبراير. تجاوزنا تلك المعضلات جميعا حتى وصلنا إلى اليوم، وأنا على يقين بأننا سنتجاوز هذه المعضلة كذلك.

س: رئيس جمهورية تركيا يحمّلكم مسؤولية الانقلاب، والنيابة العامة في تركيا تطالب بالحكم عليكم بالسجن المؤبد لمدة ١٩٠٠ سنة لمرتين على التوالي. هل فعلا كان لكم دور في الانقلاب؟ وما حقيقة هذه الاتهامات؟

ج: أعيش هنا منذ ١٧ عاما. فلو كان هناك أيّ مكالمة شفوية أو هاتفية مع من قاموا بالانقلاب فليأتوا بها، ليأتوا بدليل يثبت ذلك، عندئذ سأتقبّل كل حكم ينزلونه في حقي بكل سرور. هذا من جانب. من جانب آخر سبق أن طرحتُ عليهم مقترحا بتشكيل لجنة تحقيق دولية تتحرى حيثيات ما وقع، فإذا أثبتت هذه اللجنة صحة ادعاءاتهم فسوف أرحب بكل ما يقولون. لكنهم لم يقدموا أي

وثيقة ملموسة تستحق النظر، ولم يستجيبوا لاقتراحي كذلك. لذلك ظَلّتْ أقوالهم في عداد المزاعم والادعاءات. الملفات والتقارير التي أرسلوها إلى هنا لم يكن فيها ما يمكن حمله على محمل الجد. وزارة الخارجية الأمريكية تسلّمتها وأحالتها إلى القضاء. المؤسسة القضائية تدرس هذه الملفات، وستصدر قرارها بناء على تحريّاتها. أعتقد أن أمريكا دولة قانون، كما هو الحال عندكم في ألمانيا. سبق أن أدليت بإفادتي بمناسبة أحداث ٢٨ فبراير ١٩٩٧ أمام النائب العام بنيو جيرسي هنا، كان الانقلابيون قد رفعوا دعوى ضدي في تركيا وقتها، فانتهت تلك القضية ببراءتي براءة تامة من كل التهم، وصادقت المحكمة العليا على القرار.

س: هل تقلقون من ضغط أردوغان هنا في أمريكا؟ هل تقلقون من أن يترصدوكم هنا كما هو الحال مع محبيكم في أماكن مختلفة؟ هل تخافون منهم أو من تهديدهم؟

ج: شخصيا عاصرتُ أربعة انقلابات عسكرية حتى اليوم، ذقت خلالها أشد المعاناة. لم يقدّر الله لي الموت فيها، بل هزمتُ الخوف في داخلي، وألقيت به تحت أقدامي بإذن الله. عمري ٧٧ سنة، وأتحرق شوقا إلى لقاء الله في كل لحظة، وأعتبر لحظة اللقاء به عرس وصال. الوضع الحالي يحرك في قلبي مشاعر شتى. سبق أن ألغوا الحكم بالإعدام في تركيا، فلو ألغوا ذلك الإلغاء وقرروا إعدامي، فسيفرحني أن أبصق في تلك الوجوه التي فقدت حس الحياء، ثم أرحل إلى الله.

س: إشارة إلى ما ذكرتم قبل قليل، هل يمكن أن تعودوا إلى

تركيا؟ وفي أي ظرف يمكن أن يتحقق ذلك؟

ج: أهل هذه الديار فتحوا لي صدرهم منذ ١٧ سنة. وسبق أن وجّه السيد جيرينوسكي في روسيا إليّ دعوة قبل سنين مؤكدا أن الإقامة هناك آمنة. وفي مصر تعاطف مع العبد الفقير بعض الفضلاء مرحبين بي. كما كان هناك دعوات من الأرجنتين وأماكن أخرى. لكن هنا رحبوا بنا منذ البداية، ولم يعترضوا على إقامتنا في هذا المكان، وثقوا بأننا مسالمون، لذا لا أرى من اللياقة إزاء هذا الجميل أن أترك هذا البلد وأغادره ما لم يكن هناك أسباب قاهرة.

س: تركيا الآن طالبت بإعادتكم لها رسميا، والسفير الأمريكي الأسبق لدى تركيا جيمس جيفري يدعم هذا الطلب، في حال تخلّت الولايات المتحدة عن دعمكم، ما الذي ستفعلونه؟

ج: إن استجابت أمريكا لطلب تركيا، أذهب، ولا أبالي بذلك. لم يتبق من عمري سوى بضعة أيام، سأقضيها تحت ظلم هؤلاء، وتكون تلك المظالم كفارة لذنوبي، فألقى الله نقيا خاليا من الذنوب. لكنني سأحزن لشيء واحد فقط إن حصل هذا، وهو أنهم سيكونون قد دمروا دنياهم وآخرتهم، أما أنا فسائر إلى الله.

س: كنتم حلفاء لأردوغان مدة طويلة، بل كان بينكم "توأمة" في الرؤية إن صح التعبير، تحالفتم فيما بينكم وكافحتم ضد الجيش العلماني جنبا إلى جنب. ما الذي أدى إلى هذه القطيعة؟ وما سبب هذه الكراهية؟ فأنتم تشبّهون حكم أردوغان الآن بحكم هيتلر؟ كيف آلت الأمور إلى هذا الوضع؟

ج: بداية لا يمكن القول بأنني كنت على صلة وثيقة به إلى الحد

الذي أشرتم إليه. أعتقد أنني التقيت به ذات مرة عندما كان رئيسا لبلدية إسطنبول، جاء لزيارتي، وأنا ذهبت لزيارته، فهل أكرمني بشاي أو لا، لا أتذكر الآن. لقاؤنا الثاني كان عندما أراد أن يؤسس الحزب. وقتها كنت أقيم في حجرة في الدور الأخير من مدارس "فيم" التي أغلقوها وصادروا ممتلكاتها مؤخرا. كنت أقيم في غرفة تشبه الغرفة التي رأيتموها هنا. قال لي أريد أن أؤسس حزبا وأنشق عن نجم الدين أربكان، وسألني عن رأيي. شخصيا إذا جاءني أحد أيّ أحد يطلب مني مشورة فلا يسعني أن أرفضه حتى لو كان ممن يعاديني أشد العداء. عبّرت له عن وجهة نظري، وقلت إن كنتم مصممين على الانشقاق، فمن اللياقة أن تفعلوا ذلك دون أن تسيئوا إلى السيد نجم الدين أربكان، ثم ها أنتم ترون الانقلابات العسكرية تتعاقب الواحد تلو الآخر في تركيا، فمن الأفضل أن تحسّنوا العلاقة مع المؤسسة العسكرية.

كذلك قلت قبل عشرين سنة "لا رجعة عن النظام الديمقراطي، ولا رجعة عن النظام الجمهوري". إعلامهم الذي يهاجمنا اليوم بشراسة ودون توقف نشر أخبارا ومقالات عديدة تنتقد تصريحاتي تلك. نعم هذا ما قلته، وقد عبرت عن أفكاري من صميم قلبي. ثم التقينا في مناسبة أخرى عندما نظمنا مباراة كرة قدم لمساندة ضحايا حرب البوسنة حضرها بعض نجوم كرة القدم في العالم، كان وقتها رئيسا للبلدية وكانت السيدة تانسو تشيللر رئيسة الوزراء، وحضرت هي كذلك، جلسنا في الصف نفسه، وجلس هو إلى جانبي، لا أذكر أننا تحدثنا عن شيء، لكننا التقينا في لقطة واحدة. هذا هو كل ما تم بيننا من لقاءات.

لكن اسمحوا لي أن أنقل لكم شيئا آخر، عندما جاءني ليستشيرني في موضوع تأسيس الحزب، قال للسيد المرافق له في المصعد وهو يغادر المكان "ينبغي القضاء على هؤلاء أولا"، ما يعبر عن عدم استساغته لأي فكر يخالف فكره أو أي رؤية بديلة تنحو منحى آخر في التفكير. إذن مسألة "التوأمة" التي ذكرتموها ليست دقيقة. وربما يستحسن أن أنبه إلى أمر آخر، وهو أنني في استفتاء ٢٠١٠ الذي كان ينص على تغيير نظام اختيار الأعضاء في المجلس الأعلى للقضاة والمدعين العموم، شجعت الناس على أن يصوتوا لصالح التغيير، لأن ذلك كان يعني مزيدا من الحريات والديمقراطية. بعد الاستفتاء قال في كلمته "أتوجه بالشكر إلى بنسيلفانيا" دون أن يصرح باسمي، فأصبح اسمي بعد ذلك بنسيلفانيا. لا أذكر أنه صرح باسمي قط. ومن ثم إن كنتم تريدون معرفة ما إذا كان هناك توأمة حقيقية بيننا أو لا، فينبغي النظر إلى ما ذكرته جملة وبصورة كلية. كان دعمنا أولا وأخيرا بناء على وعوده المتعلقة بمزيد من الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان والانضمام إلى الاتحاد الأوروبي.

وهي الأسباب التي دفعتنا سابقا إلى تشجيع الناس على دعم المرحوم سليمان دميريل، ومن بعده المرحوم توغوط أوزال، وبعض سياسات بولند أجاويد الديمقراطية. عصمت باشا الذي سبق كل هؤلاء لا أعرفه، كنت صغيرا وربما فتى يافعا في عهده. لكن ما زلت أحث الناس على دعم الاتجاهات الديمقراطية منذ أن وعيت نفسي. الحاصل أن الرجل ورفاقه وعدونا بتعزيز الحريات الديمقراطية، فأحسنّا الظن بهم، وصدّقناهم، فهُزمنا أمام حسن ظننا. لم أجد فرصة للتصويت في حياتي أبدا، لم أصوّت شخصيا لأحد قط، ولم أصوّت

لهم كذلك. لكن في استفتاء ٢٠١٠ عبّرتُ علنًا عن ضرورة التصويت لهم لصالح توسيع الحريات الديمقراطية في البلد. هذا كل ما في الأمر. فإن كنتم تسمون تصرفا كهذا تحالفا فليكن كما تقولون.

س: رئيس الجمهورية أغلق مدارسكم وجفف مواردكم المالية واعتقل أتباعكم، فما هو الوضع حاليا في حركة الخدمة؟ ما وضع الأتباع؟ هل يقل عددهم؟ هل الحركة معرَّضة للتّفتت؟

ج: نحن لم ننطلق في هذا الطريق إلا لإيماننا بأن ما نفعله صحيح ومفيد للإنسانية، وكذلك موافق لمرضاة الله تعالى. حظي في هذا العمل هو أني شجّعتُ الناس على مثل هذه المشاريع في دروسي بالمساجد ومحاضراتي في منابر ثقافية مختلفة. لقد شجعت الناس فحسب. أحسست بخطورة الأسلحة الفتاكة التي يخترعها الإنسان ليقضي على أخيه الإنسان، أفزعتني عواقب النزاعات المنتشرة بين أبناء الأسرة البشرية. النزاع والفرقة من الأمراض الشائعة اليوم، الجهل كذلك من الأمراض الفتاكة في عصرنا، والفقر مرض قاتل أيضا. رأيت - وأعتقد أنكم تشاطرونني الرأي - أن الدواء الوحيد لكافة هذه الأمراض المزمنة هو التربية والتعليم، أي أن تبدأ الحلّ من القاع، أي من النشء ثم الشباب ثم تصعد بهم إلى فوق. لذلك شجعت على بناء مشاريع تربوية جيدة وقوية.

صدقوني لا أعرف واحدا في المائة، بل واحدا في الألف من هؤلاء الناشطين الذين يُسهِمون في تلك المشاريع. هؤلاء، لأنهم فقط آمنوا بنافعية ومعقولية الفكرة التي طرحتها عليهم، انطلقوا في ١٧٠ بلدا يقيمون مؤسسات التآخي تلك من مدارس وجامعات

ومراكز ثقافية إلخ. تواصلوا مع المسؤولين في كل بلد نزلوا فيه، ونسقوا معهم، وعملوا معهم جنبا إلى جنب. تعانقوا مع ألوان شتى من البشر أسوده وأبيضه بصدق وحرارة. والنتيجة أن الناس في تلك البلدان وجدوا هذا العمل رائعا ومفيدا لهم فازدادوا تعلقا به ودعما له. نحن مصممون على أن نواصل في هذه الجهود إلى الحد الذي يأذن الله لنا به، وما سوى ذلك خارج عن حدود طاقتنا. نحن نحتسب عند الله مكافأة نوايانا الكبيرة، وليس لنا هم سوى نيل مرضاته سبحانه. نريد للناس أن يتعانقوا، ويتبادلوا الاحترام والمحبة فيما بينهم، ويقضوا على كارثة الجهل ومرض الفقر.

لقد عانت أوروبا من التقلبات الاجتماعية المريرة في فترة من الفترات، وكانت تلك سنوات مأساوية اقتتل فيها أنصار الرأسمالية مع أنصار الشيوعية، وكانت الفاتورة باهظة الثمن. ولا ننسى ما للجهل من خطورة على المجتمعات، فينبغي التصدي لمشكلة الجهل فورا. ثم حالة التمزق والتشرذم المتجذرة في كيان المجتمعات، للأسف القيادة الحالية في تركيا مزقت النسيج الاجتماعي، فبات التصدي لحالة الانقسامات تلك ضرورة ملحة. أجل، هذه هي المساحات التي نعمل فيها. وسنستمر في بذل الغالي والنفيس في هذا المضمار إلى المدى الذي يسمح الله لنا به. نحن نؤمن بأننا نقوم بمهمة، وعندما نقوم بهذه المهمة نشعر بأننا سنسأل عنها أمام الله. إننا نقوم بما نقوم به احتراما لمكانة الإنسان في هذه الأرض. لذلك سنظل أوفياء لتلك المهمة ما سمحت الظروف بذلك. من ناحية أخرى، أنا شخصيا لم أستسلم لليأس قط. تعرّضنا لانقلابات عسكرية متعددة، وتلقينا ضربات موجِعة في كل مرة، ضغطوا علينا، لاحقونا، مارسوا

أصنافا شتى من المضايقات على المدارس، لكن الله لم يمنحهم فرصة للإيذاء حينئذ. أما قيادات اليوم في تركيا، فقد أغلقوا أبواب القضاء والحقوق بالكامل، واعتقلوا المحامين وحرموهم من حق الدفاع عن المظلومين، وشرّدوا آلاف الناس شرقا وغربا، وأسكتوا وسائل الإعلام المعارضة كافة، فلم يبق في الساحة إلا صوت واحد هو صوتهم. يبدو وكأنهم قد أحكموا قبضتهم على كل شيء.

لكن لا يمكن للأوضاع أن تستمر على هذا النحو. ألمانيا أكثر من يدرك ذلك، لأنها عاشت ظروفا مماثلة في وقت مضى، وروسيا مرت بالأوضاع نفسها، وبعض دول الشرق الأوسط عاشت نفس المآسي من القمع والظلم. يستحيل أن يستمر هؤلاء في الحكم بهذه العقلية. المثل التركي يقول "من طلب السعادة ظلما، كانت نهايته شقاء". إن كان الظالم يمتلك سلطة يفتك بها، فالمظلوم له الله، قد يكون الفتك بالناس اليوم سهلا، لكن في الغد هناك الحساب في المحكمة الكبرى أمام الله.

س: هل تقصدون أن حالة حركة كولن لم تتضرر إلى هذا الحد؟ أي ليس هناك خطر من أن تتفتت، وليس هناك تراجع في عدد المنتمين إليها؟ ووضعها المالي ليس متدهورا؟

ج: اقتناع الناس بما ينجزونه ومحبتهم له عامل مهم للمثابرة. لا يمكن الوقوف أمام قدرة الله، لا يمكن انتزاع المحبة من القلوب، كما لا يمكن منع فضل الله وكرمه. لقد سعوا إلى التخريب في ١٧٠ دولة، لكنهم لم يؤثروا في أي مكان، ما عدا الصومال. هناك مدارس ومراكز ثقافية في ١٧٠ بلدا، بذلوا أموالا كثيرة لإغلاقها، لكنهم

باؤوا بالفشل، بل فُتحت مدارس جديدة، هذا العام سمحوا هنا لفتح ١٤ "مدرسة تشارتر" جديدة. هؤلاء الناس تابعوا السّمتَ العام لهذه الحركة منذ عشرين سنة، جسوا نبضها، أنصتوا إلى دقات قلبها، فوجدوا أن كل شيء سليم. لو أنهم رأوا خللا واحدا لما توانوا عن اتخاذ كافة التدابير اللازمة. لقد توزعوا في كل بلدان العالم ليشوّشوا الأذهان حول مؤسسات الخدمة، لكنهم فشلوا. ومن ثم لا أرى أي سبب يدعو إلى اليأس. يقول شاعرنا الوطني محمد عاكف:

حذار من مستنقع اليأس، وإلا ستغرق،
عليك بالعزيمة لترى كيف تتعملق،
بالأمل تَغذّى كلُّ من سار في درب الحياة..
وكبّل روحَه من في اليأس وقع...

س: بودّي أن أتحدث عن حركة الخدمة بعض الشيء. الحركة تَنعَت نفسها بأنها حركة تربوية مسالمة، وتبدو أنها تهدف إلى إنشاء مجموعة من النخب المسلمة. لكن الذين ينتقدونها يتهمونها بالتسرب في ثنايا المجتمع، والتسلل إلى منظومة القضاء، وكدليل يشيرون إلى تسجيل فيديو لكم يعود إلى عام ١٩٩٩. في ذلك التسجيل تحرّضون أتباعكم على اختراق المجتمع والسيطرة على الحكم في يوم من الأيام. هل أنتم ذئب في ثوب حَمَل فعلا؟

ج: في الحقيقة هذه ادعاءات ما فتئ المتطرفون من القوميين في الجيش يرددونها منذ القديم في حق المتدينين بتركيا. لكن تسعين بالمائة من الشعب التركي يعارضهم في توجههم هذا. هذه المشاريع الإنسانية العظيمة التي تمت في أرجاء العالم على

أيدي أبناء الخدمة، من الذي أنجزها يا ترى؟ أليس الشعب التركي؟ بالتأكيد أبناء الأناضول هم من ينجزون هذه الأعمال؟ ومن ثم فعدد محدود من المتطرفين القوميين العلمانيين هم من يفكرون على هذا النحو. لا أقول إزاء هذه الهزليات سوى شيء واحد؛ منذ متى أصبح التحاق أبناء الشعب في جهاز دولتهم اختراقا أو تسربا؟ إنه لا يسمى الفعل تسللا إلا إذا كان المتسلل أجنبيا للوطن أو للشعب. على سبيل المثال رجل من قوم "السلاف" تسلل إلى تركيا بأمر من القيصر خفية، وتسرب في مؤسسات الدولة العثمانية باسم آخر أو هوية أخرى، أو تسلل خفية إلى بنية الجمهورية التركية، هذا ما يمكن أن يطلق عليه "اختراق" بالفعل.

أما إذا التحق ابن الشعب في بلده بمؤسسات دولته، مثلا ألماني التحق في بلده بالمؤسسة العسكرية، أو أصبح ضابطا في جهاز الشرطة، أو قاضيا في المنظومة القضائية أو في المؤسسات الإدارية، فهذا لا يسمى تسللا، لأن هذه دولته، وهو ليس دخيلا عليها. من هذا المنظور ربما شجعت أبناء البلد على أن يلتحقوا بمؤسسات مختلفة في دولتهم، وقد ذكرت وجهة نظري هذه سابقا للقادة العسكريين كذلك. لكن هؤلاء السابقين، ومن في سدة الحكم اليوم، عندهم خطة أخرى وهمّ آخر، همّهم الوحيد أن يستولوا على كل شيء، أن يكون كلُّ شيء تحت وصايتهم وفي حوزتهم. وأعتقد أن أحد أسباب عداء القيادة الحالية لحركة الخدمة هو أن المدارس التي تعمل في ١٧٠ بلدا لم تنشط من أجل التمهيد له ليصبح أميرا للمؤمنين في العالم الإسلامي. لو أنها تحركت في ذلك الاتجاه لما مسها بأي سوء. كان هذا همه الأوحد، لم يستطع توظيفها من أجل

هذا الغرض، فقال عنها ما لم تخضع لوصايتي فلا قيمة لها، حتى لو كانت تقدم خدمات في ١٧٠ دولة، بل حتى في ٣٤٠ دولة.. ما لم تخدم هذه المؤسسات الأيدولوجية "الطيبيزم" "الأردوغانيزم" فلتذهب إلى الجحيم.. سحقا لها حتى لو كانت تهدي الناس إلى جنات الفردوس. هذه هي طريقة التفكير للأسف. ولأنه تم إسكات جميع الأصوات المعارضة، فلا تسمع الجماهيرُ في تركيا صوتا سوى صوته، فيؤدي هذا إلى انخداعها بما يقول. أعتقد أن الذين عاشوا في ألمانيا في الأربعينيات يفهمونني جيدا، لأنهم ذاقوا مرارة هذا النوع من الممارسات القمعية آنذاك.

س: هل يا ترى أصبحت الحركة قوية جدا، فلجأ أردوغان إلى هذا السبيل، ربما يتذرع بالانقلاب للقضاء عليكم، هل فعلا أصبحتم أقوياء جدا؟

ج: الحقيقة أننا أمام نوع من الهيستيريا التي يعرفها أطباء النفس جيدا. هذه التصرفات الهستيرية تُلاحَظ عادة عند الأفراد المصابين بنوع من جنون العظمة. هذا ما نشاهده بالضبط. لديهم توجس من كل تحرك ومن كل حس. تصور أنهم ينظمون قوافل من البرلمانيين، ويرسلونهم إلى كل بلدان العالم ليقنعوا المسؤولين هناك بمهزلة أن الخدمة منظمة إرهابية، ويبذلون في ذلك أموالا لا حد لها، يفعلون ما لا يخطر بالبال. سألتم قبل قليل ما إذا كنت أقلق أو أخاف من تهديداتهم، أبدا، لا أحمل ذرة من خوف، أنا لا أخاف إلا الله، لا أخاف إلا من أن أسيء الأدب مع أمتي ومع الإنسانية. ربما هو من ينبغي أن يخاف. لأنه كان يقيم في سكنات عشوائية في بداياته،

فأصبح فيما بعد يسكن الفلل والقصور ويمتلك سفنا وعبارات، يمتلك مليارات الدولارات التي نقلها إلى مواقع مختلفة من العالم. عندما تم الكشفُ عن هذه الأموال المشبوهة في ١٧ و ٢٥ ديسمبر، -وهو يُعِدّ نفسه لإمارة المؤمنين ويظهر نفسه على أنه مسلم مثالي – اتّهَمَنا بأننا نحن من أفسد خطته، فازداد حقده علينا، وتفاقم حنقه ضدنا. وفي الأخير اختلق سيناريو الانقلاب هذا لكي يزج الناس في السجون دون مساءلة. أجل، ما نراه اليوم إفرازات للحالة الهيستيرية التي يعيشها. أعتقد أنه يرتعد خوفا، وحسبما ينقل المقربون منه فإنه يركل الجدران، ويشبعها لكما، ويعاني من آلام شديدة، يقول تعالى "إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون"، صحيح أنه يذيقكم ألوانا من العذاب والمرارة، لكنه لا يقل عنكم معاناة وتألما.

س: أريد أن أعود مجددا إلى الانتقادات الموجهة إلى شخصكم. تبدون لمن ينظر إليكم من الخارج مدافعين عن الإسلام الروحي بصبغته الليبرالية، في حين أن منظمة "بادن وورتمبرغ" لحماية الدستور صنفت حركتكم بأنها حركة قومية تركية ذات أبعاد إسلامية. كما أن هناك ادعاءات بأنكم تقولون بقتل المرتد. وهذا بالتأكيد يتناقض مع الاتجاه الروحي الذي ذكرته آنفا. إلى أيّ فهم من فهوم الإسلامي تنتمي حركتكم وما هي أهدافها؟

ج: لا أذكر أنني قلت شيئا من هذا القبيل. ربما هي عبارة تم اجتزاؤها من سياق معين، قُصّت العبارات التي سبقتها أو لحقت بها، ففقدت مغزاها العام. أعتقد أنها –إن وجدت– فهي من هذا القبيل، لأنهم يلجؤون إلى هذا النوع من التلفيق كثيرا. اليوم الإعلام الموالي

لأردوغان يفعل الشيء نفسه. على سبيل المثال أقول في كلمة لي "ستعصف الرياح ببعضهم عصفا وتنثرهم كأوراق الشجر"، فيؤوّلون ذلك بأنه سأصنع سمادا، وأصنع منه قنبلة ذرية، وأقتل الناس. حتى العباءة التي ألبسها أخرجوا منها معاني عجيبة، يقولون انظروا لبس عباءة بلون الزي العسكري، إذن هي تعليمات للقيام بانقلاب عسكري، بينما لا أختار عباءة بعينها لدى خروجي إلى الدروس، بل ألبس العباءة التي أجدها في متناول اليد. انظروا إلى الحدّ الذي بلغ إليه التضليل. الحقيقة أن مؤلفات العبد الضعيف ترجمت إلى لغات عالمية عديدة، ويُدرَّس بعضها في بعض الجامعات والمراكز العلمية، مثل النور الخالد وطرق الإرشاد. زارني البارحة أستاذ من الهند، قال إنه كان ماركسيا ملحدا، فعثر على كتاب النور الخالد فقرأه فأسلم.

عشرات الآلاف من الناس يشاركون في مسابقات يتم ترتيبُها في مناطق مختلفة من العالم حول هذه المؤلفات. فلو كانت تحتوي على أفكار تشوش الأذهان، وتضلّ العقول لعثروا عليها ورددوها، ولبادروا بإعلامهم لفضحها دون تردد. صدر للعبد الضعيف حوالي ٧٠ كتابا طيلة ٥٠ عاما. فليأخذوا تلك المؤلفات جميعا وليطالعوها بنظرة كلية ثم ليقيّموها. أدعوهم إلى القراءة الشاملة وليس القراءة الانتقائية. وإلّا يصدق عليهم ما قاله نابليون "لو أردتُ أن أعدم شخصا فحسبكم أن تعطوني جملة مفيدة أنشأها، فلن تعوزني الحيلة في التقاط كلمة في جملته للحكم عليه بالإعدام".

س: في ألمانيا ما يزيد على ٣٠٠ مؤسسة لحركة كولن ما بين مدرسة وجمعية. يشبّهكم بعض المنشقين عن حركتكم بالكيانات

الطُّرُقية من أمثال "سايتولوجي" التي تمارس نوعا من غسيل الدماغ. يقولون إنكم تفرضون على أنفسكم نوعا من التزمت القاسي بناء على مبادئكم الإسلامية فيما يسمى ببيوت النور التي تعتبر خليطا ما بين المعهد القرآني وإقامات الطلبة. هل هذه الادعاءات صحيحة؟

ج: ليس هناك غسيل دماغ ولا شيء آخر. لا إكراه في الإسلام، كل إنسان حر في معتقده. سبق أن قلتُ في يوم من الأيام "الحجاب فرع من فروع الإسلام"، أي ليس من الأصول، فليس بكافر من لم يرتدِ الحجاب. هذا الرجل الذي يحتلّ قمة الدولة اليوم أخذ هذه العبارة وظل يلوكها في المظاهرات الانتخابية ضدي. أعتقد أن احترام أفكار الناس وقناعاتهم من أساسيات الأدب والأخلاق. ثم اسمحوا لي أن أبين أمرا في غاية الأهمية. عندما يثني البعض على مشاريع الخدمة يقولون "كولن" وينسبونها إلى العبد الضعيف، بينما لا دخل لكولن بهذه الإنجازات أبدا. لم أفعل شيئا أصلا، فقط شجّعتُ الناس في دروسي عبر كراسي الوعظ والمحاضرات التي ألقيتها، وكنت أتقاسم أفكاري من خلال المجلات التي كنت أكتب فيها. كنت أكتب ما أراه نافعا، أحث الناس على العلم، أحثهم على الأخوة والتوافق. كنت أقول لا سبيل إلى تحقيق التوافق بين أفراد المجتمع، ولا سبيل إلى القضاء على الفقر إلا بالعلم والمعرفة. العلم هو السبيل الوحيد لحل جميع مشاكلنا. فجاء البعض فتبنى هذه الأفكار، ثم نزّلها إلى أرض الواقع، وحوّلها إلى مشاريع عملية.

لذلك لا يوجد شيء اسمه "الكولنية" أو "فتح اللهوية". هذا ليس صحيحا. لا يصح نسبة مشاريع حققها آلاف من الناس إلى

شخص بعينه، بل أنا أعد نسبة هذه الإنجازات إلى شخص واحد شركا بالله. أنا لست معجبا بنفسي، ولست معجبا بالمعجبين بي، كما يقول بديع الزمان. لو جاءني أحد وقال لي أنت أنجزت كذا، ونجحت في كذا، فإن ذلك أشقُّ عليّ من الشتم. لا سهم لي في كل هذه الإنجازات والمشاريع الناجحة. إنما هي جهود مخلصة لأناس لمسوا في الأفكار التي طرحتُها جانبا من المعقولية والنافعية فانطلقوا إلى تنفيذها. فالفضل يعود إليهم أولا وآخرا، وهو فضل من الله ومنة. أما أنا فلم أفعل شيئا أصلا. فلا علاقة للمؤسسات الموجودة في ألمانيا بي، ولا للمؤسسات في إنكلترا ولا للمؤسسات في أمريكا. ثم إني لا أعرف واحدا في الألف من القائمين على تلك المؤسسات أو العاملين فيها.

س: **أطلعتمونا على الغرفة الخاصة التي تعيشون فيها، نشكركم على ذلك، نحن ممتنون لكم. تعيشون في ظروف متواضعة جدا، وفي الوقت نفسه معروف عنكم أنكم تديرون إمبراطورية تقدَّر بالمليارات من الأموال. عندكم مستشفيات ووسائل إعلام ومصارف بنكية، في حين لا يوجد أي عنوان لحركتكم، لا أثر لاسم كولن في أي مكان، لا يوجد حتى صندوق بريد، لا عضوية رسمية، لا نظام داخلي. لماذا لا تعلنون عن بياناتكم المالية؟**

ج: فيما يتعلق بالجانب المالي، فنحن في منتهى الشفافية، لو جاء أحد المسؤولين الأمريكيين، فبإمكانه أن يفتش في كل مكان وفي أي وقت شاء. يمكنكم أن تفتشوا المكان الذي أعيش فيه، غرفتي، سريري، بإمكانكم أن تنظروا في ثنايا كتبي ودفاتري ومقالاتي التي

كتبتها في بعض المجلات. وبالتأكيد ستخرجون من هنا راضين مطمئنين. لن تجدوا سوى شفافية مطلقة. لا شك أن كل بلد يمتلك جهازا للمراقبة المالية، كما أن هناك مسؤولين في المجال القضائي ومسؤولين في المجال الأمني، بإمكانهم أن يذهبوا إلى مؤسسات الخدمة حيثما كانت، ويفتشوا فيها حتى أدق التفاصيل، فإن عثروا فيها على أي خلل أو ثغرة فليغلقوها بدون تردد. لن أحزن أبدا ولن أحتجّ بكلمة واحدة. كانت نصيحتي لجميع من وثقت بهم، ووثقت بصدقهم وإخلاصهم ونزاهتهم "كونوا شفافين دوما، احرصوا على الاندماج مع البلد الذي تعيشون فيه أيا كان ذلك البلد، حذار أن تقصّروا في ذلك، اعتبروا أنفسكم منهم، فكروا بمصالح ذلك البلد دائما، واعملوا على خدمة أهله". هذه توصياتي التي أرددها دائما. ولا أظن أنني مخطئ في ذلك. رغم كل هذا، إن جاء أحدهم ينقّب عن هفوات أو فلتات، فاسمحوا لي أن أقول إنه فاسد العقل والقلب ويحمل نوايا مغرضة.

س: السيد كولن، لديكم ملايين الأنصار في العالم، هل لديكم رغبة في العودة إلى تركيا، وفي أي ظروف يمكن أن تعودوا إلى تركيا؟

ج: تركيا وطني. نسمّي الشوق إلى الوطن بـ"ألم الوصال" باللغة التركية. أعتقد أنكم تعرفون معنى عشق الوطن. عندما تخطر تركيا ببالي تختنق العبرات وأشعر بألم في جيوبي الأنفية. قدمتُ إلى هنا أصلا حتى لا أكون سببا في بعض المنغّصات في بلدي، ثم قررت البقاء هنا عندما لم أجد مانعا يحول دون ذلك. سأجيب بكلمة واحدة، سأعود عندما يزول الطغيان.

س: السيد كولن، عندما ننظر من زاوية مصير تركيا، من هو المهم؟ فتح الله كولن أم رجب طيب أردوغان؟

ج: شخصيا لا يمكنني أن أقول عن نفسي إنني مهم. أعتقد أنني لا أصلح لأي شيء. ربما أدليتُ ببعض الأفكار وقمتُ ببعض التوصيات، فتبنّاها البعض وحوّلها إلى مشاريع عملية، فجاء البعضُ فنسبها إليّ، وسجلها في خانتي وذكرني بين الكبار، فارتكب بذلك خطأ اجتهاديا، أسأل الله تعالى أن يعفو عمن ذهب هذا المذهب في التفكير، فهذا خطأ لا يمكن أن أقبله لنفسي. بالنسبة لطيب أردوغان، الحقيقة أن من سبقه من القادة قد عبروا بتركيا إلى مرحلة معينة في مجال احترام القيم الإنسانية العالمية والانضمام إلى الاتحاد الأوروبي والقيم الديمقراطية وقيم أخرى. لكن أردوغان مؤخرا قضى على كل تلك الإنجازات، وحوّل تركيا إلى دوامة من المشاكل، عزل تركيا عن الشرق الأوسط وآسيا الوسطى، وأقصاها عن الاتحاد الأوروبي وحلف الناتو والمجتمع الدولي. لذلك أعتقد أنه صار عبئا على تركيا الآن. ليس أمامنا سوى إحالة أمره إلى الله تعالى. وكما قال الدكتور محمد إقبال "لم أقل آمين على أي تلعين"، وأكتفي بإحالته إلى الله من أجل تركيا.

س: هل لديكم رسالة توجهونها إلى الرئيس أردوغان؟

ج: ليس لديّ أي رسالة. أسأل الله أن يهديه سواء السبيل وينجيه من الطريق الخطأ الذي يسير فيه.

نحن نتحدث عن حركة مدنية انطلقت وانتشرت وفتحت مدارس ومراكز ثقافية في بلدان العالم منذ ٢٤ سنة. لقد فعلوا هذا بالتعاون مع أبناء تلك البلدان، وقاموا بهذه الفعاليات بمشاركة أبناء تلك البلدان. أستسمحكم، إنّ أبناء هذه البلدان ليسوا بأغبياء. لقد تابعوا في البداية هذه الفعاليات بعين الشك، وجسّوا نبض القائمين عليها مرات عديدة. ولحدّ الآن لم يظهر أن أحدا من أبناء الخدمة شارك أو تورط في أي عمل إرهابي في العالم ولو بنسبة ١ في الألف. لذلك فأصحاب السلطة في تركيا سيخفضون رؤوسهم في المستقبل خجلا مما يدّعونه اليوم.

إن العاملين في حركة الخدمة لم يتورّط أحد منهم في أعمال عنفٍ طيلة تاريخها الممتد لنحو ٥٠ عاماً، ولم ينزلوا إلى الشوارع، ولم يتمردوا على قوات الأمن في السنوات الثلاث الأخيرة، رغم أنهم يتعرضون خلال هذه المدة لما وصفه أردوغان بصورة صريحة بـ"مطاردة الساحرات". بل إن هذه الحركة تئنّ ألماً منذ ثلاث سنوات تحت حملة خطاب الكراهية وظلمِ الدولة بشكل ممنهج، مع ذلك أصرّت على الدفاع عن نفسها والبحثِ عن حقوقها المهدرة في إطار القانون والحدود التي وضعتها القوانين فقط.

حوار قناة UDN الصينية مع الأستاذ فتح الله كولن[1]

س: الأستاذ كولن نشكركم على إتاحة الوقت لنا للتحدث معكم، والسبب الذي أريد أن أحاوركم من أجله هو قلق المجتمع الصيني حيال ما يحدث في تركيا، ومدى تأثير تلك الأحداث على مستقبل تركيا. أولا أود قبل كل شيء السؤال عن تلك الحملة الضخمة من الاعتقالات التي حدثت بعد محاولة الانقلاب والتي يرى البعض أنها تصفية حسابات. كيف ترون تأثير تلك الحملة على مستقبل تركيا عامةً، وحركة الخدمة خاصة؟

ج: الحقيقة أن الانتهاكات والاعتداءات لم تبدأ مع حادثة يوليو الأخيرة. الاعتقالات وإغلاق الصحف ومصادرة ممتلكاتها بدأت قبل ذلك. يمكن أن تَرجعوا بتلك الانتهاكات إلى فضائح الفساد في ١٧-٢٥ ديسمبر ٢٠١٣ التي اتخذوها ذريعة، بل يمكن العودة إلى ما قبل ذلك.

كانت رحلاتهم لا تنقطع إلى بلدان شتى من العالم في محاولات لإقناع المسئولين في هذه البلدان بإغلاق مدارس الخدمة، وكانوا يبذلون في سبيل ذلك جهودا كبيرة وينفقون أموالا ضحمة. وفي ١٧

---

[1] تم نشر هذا الحوار بتاريخ ١٧ أغسطس ٢٠١٦.

و ٢٥ ديسمبر وبعد انكشاف تلك الفضائح ازدادوا كراهية وحقدا. بل ربما عثروا على ذريعة يُغطّون بها سوآتهم، وانتهزوها فرصة لتضليل الرأي العام بذلك. وقد نجحوا في ذلك فعلا، على الأقل لدى أنصارهم على الصعيد الداخلي. أنصارهم أصبحوا يرددون عند كل انتهاك أو مظلمة "هذا جيد، هؤلاء يستحقون أشد من ذلك، حسنا فعلتم بهم".

كانت مظالمهم تلك تسير ببطء ووفق وتيرة معينة قبل الانقلاب المريب. يصادرون ممتلكات الناس، يعيّنون حراسة قضائية على الشركات، يستولون على أموال المواطنين، ويدفعون بعض رجال الأعمال إلى الإفلاس، وهكذا تسير الأمور وفق خطة ووتيرة محددة. فإذا بهم يلجؤون إلى سيناريو الانقلاب، نحن قلنا سيناريو، مسرحية، والعالم كذلك قرأ الحدث على أنه مسرحية. هنا بالتحديد أريد أن ألفت نظركم إلى نقطة هامة: وهو أن العالم يمتلك قراءة مختلفة عن القراءة الموجودة في تركيا. العالم يقرأ الحدث بحيادية. لكن في الداخل التركي تُقدَّم للمواطن صورة مختلفة تماما. لم يبق صوت معارض في تركيا، قُمِعت كافة الأصوات المعارضة. واليوم يتم اختلاق قراءات وهمية تُسوَّق للرأي العام التركي وسط صخب وضجيج إعلامي كبير، فتتشكل لديه صور وقناعات مغايرة تماما لما يبدو للمتابع من الخارج.

وربما بعض المسئولين الأجانب ممن يتابعون الأحداث من الداخل التركي ينظرون إلى المشهد بعيون الشعب التركي المضلل، فينخدعون كذلك. لأنه لا يوجد صوت معارض. لم يبق أحد يقيّم

الموضوع بحيادية. أغلقت جميع وسائل الإعلام المعارضة. إذا اعترض أحد القضاة يعتقلونه فورا، أو إذا اعترض ضابط يزجّونه إلى السجن، بل لقد وصل الأمر إلى اعتقال أعضاء من المحكمة الدستورية العليا وألقوا بهم في السجن. ففي ظل ممارسات دكتاتورية كهذه، كيف يتسنى للمواطن التركي أن يطّلع على الحقائق أو يعرفها؟ هم أنفسهم سمّوا انتهاكاتهم هذه بمطاردة الساحرات، ويبدو أنهم متمادون في ذلك دون رجعة.

نحن أناس نؤمن بالله تعالى، فإن لم تتداركنا عناية الله عز وجل فسوف يتمادون في مظالمهم تلك، بل وسيذهبون بها إلى أبعد مدى ممكن. من ناحية أخرى، هذه المظالم والانتهاكات التي تقع في تركيا هي جرائم في حق الإنسانية. فهم يعتدون على أناس أبرياء، يعرّضونهم لشتى أنواع التعذيب والانتهاكات الجسدية، يعتقلون أبرياء بلا دليل ويصادرون حريتهم، ينزعون من المحامين حقهم في الدفاع عن موكّليهم، هذه القائمة من الانتهاكات والمظالم تطول وتطول، وهي تؤكد أن القانون والحقوق والعدالة مصطلحات فقدت معانيها تماما في تركيا.

وإزاء هذه الانتهاكات والمظالم يجب أن يكون للأسرة الدولية وقفتها الحاسمة. فما لم يطالب النيتو والاتحاد الأوروبي وكذلك منظمة شنغهاي تركيا بالتوقف، فأحسب أن هذه الانتهاكات لن تتوقف أبدا. وأحسب أن التاريخ سوف يحمّل الإنسانية كلها مسؤولية كبرى إن لم تقم بدورها المطلوب. وسوف يسجّل التاريخ عنها أنها لم تقم بما ينبغي عليها فعله. أما بالنسبة لمن يحمل في قلبه إحساسا

دينيا، فإنهم سيحاسبون أمام الله في الآخرة إن لم يقوموا بدورهم إزاء هذه المظالم.

س: لقد ذكرتم منذ قليل أن العالم لا يصدق قصة أردوغان تلك، فهل تتوقع أن يقوم الغرب، أو الاتحاد الأوروبي، أو الولايات المتحدة بالضغط على أردوغان قريبا للكفّ عما يفعله حاليا؟

ج: أعتقد أنهم قد يفكرون بفعل شيء يحفظ اعتبارهم حتى لا يدانوا أمام التاريخ في المستقبل، ولكن -كما تعلمون- فإن للمصالح المشتركة أهمية بالغة في العلاقات بين الدول. فإذا ما رأوا أن تدخّلهم سيسيئ إلى مصالح بلادهم، عندئذ قد يتريّثون. هناك مشاريع مشتركة بين أمريكا وتركيا، بين حلف الناتو وتركيا. فإذا رأوا أن تحذيرهم لتركيا في موضوع ما سوف تؤول نتائجه بالسلب على مصالحهم، فقد يحجمون ويسكتون عن إدانة هذه الانتهاكات.

لذلك أعتقد أنهم يبحثون لأنفسهم عن موقع مناسب يجنّبهم المخاطر التي يتخوّفون منها. الأمر ينطبق على الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي والبرلمان الأوروبي والنيتو، بل حتى منظمة شانغهاي، التي بدت حتى اليوم كأنها معسكر آخر، فهل يكون لها تأثير حقيقي؟ لا أدري. فهي تتشكل من دول كبيرة مثل الصين في الشرق الأقصى وروسيا هنا. كيف سيتصرفون إزاء هذه الانتهاكات في تركيا، لست متأكدا.

ولكن عندما نفكر من زاوية المصالح المشتركة بين هذه الدول والتكتلات، يبدو الاحتمال ضعيفا. حلف الناتو عنده مصالح خاصة في المنطقة. علما أنه قد لا تشترك الصين أو كوريا في المصالح

عينها مع تركيا. مع ذلك عندما ننظر إلى الموضوع من زاوية حساب الاحتمالات، يبدو شبه مستبعد أن تتفق هذه الدول والمنظمات على نقطة واحدة في الشأن التركي، فتطالب القيادة التركية بالتراجع عن سياساتها الظالمة وانتهاكاتها لحقوق الأبرياء. لذلك أحلنا الأمر إلى الله سبحانه وتعالى، فهو نعم المولى ونعم النصير.

س: أود سؤالكم عما يجري داخل تركيا. يبدو أن هناك اتجاهين من الناس. الاتجاه الأول هم أولئك الذين خدعهم أردوغان، وصدقوا بأن الخدمة هي من خططت للانقلاب. والاتجاه الآخر هم أولئك الذين فهموا الانقلاب ولكنهم ما زالوا يرون الأمر معقدا بعضَ الشيء. هم يرون أن أردوغان في سعي دائم لتوسيع سُلطته وديكتاتوريته، لكن دون إبداء أي اعتراض حقيقي تجاه ما يفعله، ما زال الأمر أشبه بالمعضلة بالنسبة لهم. هل تتكرمون بالحديث قليلا عن هذا الأمر؟

ج: هناك إشكال في تركيا أشرت إليه من قبل مرارا، وهو غياب المعارضة السياسية الحقيقية. لا يوجد معارضة قوية وجادة. هنا في أمريكا يوجد الديمقراطيون والجمهوريون، فيتفوق الأول على الثاني أو الثاني على الأول ببعض النقاط الطفيفة، أي أن هناك منافسة ندّية، تُمكّن من تداول السلطة، وهناك نقد ذاتي ومحاسبة دقيقة للسياسات حتى لا يخسروا في الانتخابات، وهو ما يدفعهم للالتزام بمبادئ الديمقراطية أكثر.

في تركيا تم تدجين المعارضة بالكامل، وربما الظروف تطورت في ذلك الاتجاه. سابقا كان كل من حزب الطريق القويم وحزب الوطن

الأم يشكلان الأغلبية. ولكن بعد تداعي هذه الأحزاب من الداخل وفقدها لتأثيرها أقبلت جماهير الشعب على دعم الحزب الحاكم حاليا، ومن ثم بدأت شوكتهم تزداد يوما بعد يوم مع غياب حقيقي لأحزاب المعارضة، وهذه هي إحدى كبرى مشاكل تركيا حاليا.

أضف إلى ذلك أن بعض أحزاب المعارضة كان لها موقف سلبي إزاء حركة الخدمة من قديم. واحد من هذه الأحزاب الكبرى في المعارضة كان يمنع أعضاءه من الحضور في أولمبياد الثقافة واللغات التي كانت تقوم مدارس الخدمة بتنظيمها. لكن بعض الأوفياء منهم كانوا يقولون للإخوة، سنأتي إكراما لكم ووفاء، ولكن نرجو ألا تجلسونا في الصفوف الأمامية، دعونا نجلس في الوراء حتى لا نظهر. إذن هناك نوع من الانزعاج وعدم الاستساغة منذ ذلك الوقت. يمكنني أن أقول الشيء نفسه بالنسبة للحزب الآخر كذلك (حزب الشعب الجمهوري). بل يمكنني القول نفسه لمن كانوا سابقا يهانون ويطردون ويهمشون في جنوبي شرقي تركيا (حزب الشعوب الديمقراطية). لقد كانوا يحملون النوايا والأفكار ذاتها في قرارة أنفسهم. ومع الأزمة الراهنة استحسنوا ما وقع فقالوا ليأكل هؤلاء (قيادة أردوغان) الطرف الآخر (الخدمة)، لينكّلوا بهم ويقضوا عليهم. نعم، ذهبوا في هذا الاتجاه ولم يكونوا مخلصين لمبادئهم، تجاهلوا المستقبل، توقعوا أن الأمور ستجري على هذا الشكل إلى الأبد.

يمكن أن نقول إنهم وجدوا قاسما مشتركا فيما بينهم، موضوعا اتفقوا عليه جميعا، هو القضاء على حركة الخدمة. حركة الخدمة حركة إنسانية انطلقت تخدم الإنسانية في ١٧٠ بلدا في العالم.

تسعى إلى أن يعانق الإنسان أخاه الإنسان بمحبة... المساجد إلى جانب الكنائس والصوامع مع المعابد جنبا إلى جنب دون حرج، في ولاية هوستون رأينا نموذج المسجد وإلى جانبه كنيسة، في تركيا رأينا مشروع مسجد وإلى جانبه دار الجمع لإقامة روح التعايش بين العلويين والسنيين. هذه المشاريع تمت بإذن الله وعنايته، وفشلت جميع مخططاتهم التي تخدم روح التفرقة، لذا لم يستسيغوا الخدمة بل حقدوا عليها، يقولون اليوم: "لا تتفوهوا بكلمة اعتراض على المظالم التي تقع، اتسعت أنشطة هؤلاء كثيرا، دعوا القيادة الحالية تقضي عليهم، ولا شك أن السياسات المجحفة التي تنتهجها الحكومة ستضعفها كذلك ومن ثم نوقع عصفورين بحجر واحد". أعتقد أنهم يقولون أيضا: "غدا ستتدخل القوى العظمى في هذا الموضوع، وستقضي على القيادة الحالية، فيُفتَح لنا المجال ويكون لنا دور يومئذ". لا نستبعد هذا النوع من التفكير البراغماتي لدى هؤلاء. هذه توقعاتي من خلال قراءتي المتواضعة للمشهد من الزاوية الاجتماعية والسيكولوجية.

س: **الأستاذ كولن لقد كنتم أنتم وأردوغان حليفين سياسيين في الماضي حتى إنه أتى لهذا المكان خصيصا طلبًا لدعمكم. ما الذي يجعلكم تختلفون معه الآن؟ ومتى بدأ ذلك الخلاف؟ وما السبب الذي يجعلكم تظنون أن أردوغان يغدو أكثر ديكتاتورية يوما بعد يوم؟**

ج: أعتقد أن هناك لبسا في الموضوع. فأنْ تجمعك مع أحد لقطة واحدة شيء، وأن تكونا متلازمين شيء آخر، ويبدو أن ظهورنا معا

في صورة واحدة شكّل لدى الرأي العام قناعة بأننا متلازمان. لم يتعد لقاؤنا مرتين، تحديدا مرة عندما كان رئيسا لبلدية إسطنبول، وقد كان لقاء عابرًا لا يستأهل أن يعد لقاء. ثم جاءني مرة أخرى عندما أراد أن يؤسس حزبا ينفصل به عن السيد أربكان. وذات مرة كان يجلس إلى جواري أثناء مباراة لكرة القدم. ربما اعتبر البعضُ هذه اللقاءات نوعا من التوأمة. هذا من جانب. ومن جانب آخر أحب أن أنبه إلى نقطة أخرى مهمة. فعندما تولى سليمان ديميريل الحكم سنة ١٩٦٣ تعهد للجماهير بتعزيز الديمقراطية، وتحدث عن الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي كما تحدث عن حلف الناتو. فكرة حلف الناتو تشكلت في الخمسينيات أثناء الحروب الكورية. والأغلبية الساحقة من المفكرين المستقلين في تركيا دعمت سليمان ديميريل بناء على وعوده تلك التي قطعها على نفسه. وقد تكرر هذا في كل مرة جاء فيها سليمان ديميريل إلى مقام الرئاسة، فقد دعمه الشعب مرارا بناء على تلك التوجهات التي تُعزّز المسار الديمقراطي.

وبعد انقلاب عام ١٩٨٠ تولى تورغوط أوزال الحكومة عن حزب الوطن الأم، ولقد وثقت به الجماهير أيضا ودعمته دعما قويا. فقد كان يدعو إلى مزيد من الديمقراطية، وتعزيز حقوق الإنسان، ودعم القيم الإنسانية العالمية، كما كان ينادي بضرورة الاندماج مع العالم ومواكبة التطورات الحادثة فيه. لذلك قمنا نحن وأمثالنا من مؤيدي الديمقراطية والتنمية والحقوق والحريات بمنحه الدعم الكامل. بل يمكنني القول بأن أغلبية المجتمع التركي قد دعمت السيد بولند أجاويد في فترة من الفترات رغم انتماءاته اليسارية، نعم

دعمته في بعض المشاريع الصحيحة والمواقف القوية. وكان رحمه الله من المقدِّرين لإنجازات حركة الخدمة والمتعاطفين مع انفتاحها على العالم في أبعادها الإنسانية. ورغم أنه كان من بيئة ثقافية مغايرة، ونشأ في وسط مختلف، لكنه كان إنسانا متواضعا ونزيها. لذلك ما فتئ هذا العبد الفقير يذكره بخير سواء في حياته أو بعد وفاته. نعم دعمه الشعب التركي لما لمسه لديه من إخلاص في تعهداته الديمقراطية. وهؤلاء أيضا (حزب العدالة والتنمية) في بداية أمرهم تقدموا إلى الشعب بوعود، نادوا بتعزيز الديمقراطية، واحترام حقوق الإنسان، والاندماج مع العالم والتناغم والتعايش مع الجميع.

"نحن نحكم بالظاهر"، هذه قاعدة من قواعد مجلة الأحكام العدلية. فَحَكَمْنا عليهم بالظاهر، أحسنَّا بهم الظن، صدّقنا وعودهم. وأقبل محبونا يصوتون لهم. لكن هذا لم يكن يعني في وقت من الأوقات أننا كنا في تحالف معهم، أو نصطف إلى جانبهم، أو نشاطرهم في رؤاهم السياسية كلها. لقد عبّرنا عن حقنا في التصويت لمن رأيناه مناسبا، فالتصويت والاختيار حق وواجب ينبغي على كل مواطن أن يقوم به.

قلنا وقال الناس معنا: "يبدو أن الحماسة التي تظهر عليهم وهم يقطعون العهود الانتخابية على أنفسهم تشي بأنهم سيقومون بتنفيذها"، لذلك كان الدعم قويا. لكنهم خيّبوا آمالنا إذ تخلّوا عن وعودهم تلك، وانحرفوا مع الوقت إلى نوع من الديكتاتورية. اتهمونا بأشياء لا صلة لنا بها ولا نرتضيها. استغلوا الجهاز القضائي وجهاز الشرطة وقتذاك لزج بعض الجنرالات في السجون، هؤلاء

الجنرالات سبق وأن أصدروا مذكرة إنذار للحكومة، ولكن الغريب أنهم فيما بعد أطلقوا سراحهم وعقدوا تحالفا معهم، ثم بدأوا بطرد وتشريد واعتقال كل من شارك من رجالات الأمن والقضاء في عملية القبض على هؤلاء الجنرالات، وهم الذين كانوا عينوهم بأنفسهم بل كانوا يساندوهم سياسيا.

ثم جاءت فضائح الفساد في ١٧ و٢٥ ديسمبر، فانهارت ثقتنا بهم، بتنا لا نصدقهم إزاء ما رأيناه من فساد مالي وإداري. لم نعاد أحدا ولم نكن ضد أحد، بل كنا ضد الممارسات الخاطئة والأوصاف الخاطئة التي تلبّسوا بها. كنا ضد الظلم، ضد انتهاك حقوق الأبرياء. هذا فيما يتعلق بقضية "كنا ضدهم". لم نتورط في إثم الغيبة، لم نفتر عليهم أو نكذب عليهم. كانت هناك وسائل إعلام تنصحهم وتدعوهم إلى سبيل الرشاد، انزعجوا منها، وأسكتوها، بل أسكتوا جميع وسائل الإعلام التي تعارضهم في أدنى شيء. أسكتوا جريدة مليونية كجريدة زمان. وأوقفوا بث قنوات سامانيولو ذات الانتشار الواسع. صادروا ممتلكات السيد أكين إيبك الإعلامية والتجارية. هم من اعتدى، وهم من قادوا حملات الاعتداء هذه، وهم من يديرونها حتى اليوم وبشراسة منقطة النظير. ستتضح الحقيقة يوما ما، وستستيقظ الجماهير السادرة في غفلة عميقة بتأثير من هذه البروباغندا التخديرية، وستراجع مواقفها من جديد، وتتصدى لتلك المظالم هاتفة "كفى".

س: ما زال لدي سؤالان: الأول هو أن أردوغان يتهمكم بأنكم العقل المدبر لمحاولة الانقلاب تلك، بل طَلب من الولايات

المتحدة تسليمكم إلى تركيا للمحاكمة، سؤالي هو: هل تظنون أن الولايات المتحدة سوف تفكر في هذا الأمر؟ وما هو دليل أردوغان لإدانتكم؟ وهل تشعرون بالقلق أنكم ستُضطرون إلى مغادرة أمريكا يومًا ما؟

ج: ربما أحتاج إلى أن أنقب في أعماق قلبي بدقة حتى أحسم ما إذا كنت قلقا من ذلك أم لا. ولكن أقول لك بصدق: إنني أَلِفت خيبة الأمل من قبل المسؤولين على الدوام، سواء اليوم أو سابقا، ولا سيما في مثل هذه الظروف الصعبة التي كنت أتعرض فيها لأصناف شتى من الضغوط والملاحقات والمضايقات. شخصيا تعودت على هذا الوضع، وتكيفت مع هذه الحالة، لذلك لا أكترث بما سيحصل لي. أنا اليوم هنا أقضي البقية الباقية من أيامي، لا يهمني حتى لو قادوني إلى حبل المشنقة، فأنا إنسان يؤمن بالدار الآخرة، لذلك قلبي عامر بالاطمئنان والحمد لله. أما الذين لا يبالون بيوم الحساب، فعليهم هم أن يشعروا بالقلق مما سيلاقونه هناك.

شخصيا أستبعد أن تسارع أمريكا إلى تلبية مطالب هؤلاء. الدولة هنا دولة قانون. قبل ١٥ سنة سبق أن أدليت بإفادتي لدى نائب عام نيو جيرسي بناء على طلب النائب العام التركي آنذاك. الرجل عاملني معاملة إنسانية راقية، فبان لي أن منظومة القضاء هنا تراعي حقوق الإنسان كما ينبغي. لقد بعثوا بملفات في حقي لا ترابط بينها، وواصلوا الضغط عن طريق أعضاء برلمانيين أرسلوهم إلى هنا مرارا، وقاموا بالتنسيق مع أطراف أجنبية مشبوهة لإدانتنا. جربوا كل الوسائل، لكن باءت كلها بالفشل حتى اليوم. الحكومة الأمريكية

كانت تحيل الملفات إلى القضاء في كل مرة، وتصرح بأن القضاء سينظر في تلك الملفات ليدرسها ثم يقرر. ومؤخرا طالبت القيادة التركية من القيادة الأمريكية أن يتم اعتقالي لمدة شهرين، لكن القضاء هنا رفض، وقالوا لهم القضايا هنا لا تسيّر بالمنطق الذي تقترحونه. ينبغي أن ندرس الملفات أولا، ثم إن جُلَّ الملفات باللغة التركية، ولا نفهمها، أضف إلى أن هناك ما لا يمكننا فهمه في إطار المنطق الحقوقي، الملفات معقدة جدا.

لذلك اقترح الأمريكيون تشكيل لجنة تحقيق مشتركة تتحرى الموضوع وتدرسه ثم تقرر الحسم فيه، لا أدرى ما الغرض من هذا المقترح الأمريكي؟ هل هو فرصة لكسب الوقت والمماطلة لأهداف أخرى؟ أم أن الإجراءات القضائية تستدعي ذلك، لا يمكنني الحسم في هذا الموضوع. مع ذلك أومن بأن المنظومة القضائية تشتغل هنا في الولايات المتحدة بجدية صارمة، وأعتقد أنهم سيتعاملون مع الملف وفق المعايير القانونية، ولن يلجؤوا إلى تصرفات ترضي أهواء هؤلاء. أما فيما يتعلق بهذا العبد الضعيف فأؤكد لكم أنني لا أحمل أدنى قلق حول مصيري. فقد تعرضت مرارا عند كل انقلاب عسكري لنفس الأذى وللمضايقات ذاتها، والآن أتعرض للمعاملة السيئة نفسها عبر انقلاب قام به مدنيون. لا يختلف الأمر بالنسبة لي، لذلك لست مكترثا بالنتيجة أيا كانت. بل لو حدث وقررت الولايات المتحدة تسليمي بالفعل، فإن ذلك سيكون شرفا لي ووساما أعتز به، ولعلي ألقى بهذا الشرف الحبيب المصطفى (ص)، وحينها قد أكون سببا في خسرانهم. لا أرضى لهم ذلك ولا أرغب فيه، أسأل الله

تعالى أن ينجيهم من الخسران المبين يوم الحساب.

لا أعتقد أنهم يملكون أي دليل ملموس ضدي، ولكنهم يثيرون ضجيجا هنا وهناك هاتفين "عندنا أدلة قوية" لمجرد التشويش على الأذهان فقط. لو كان لديهم أدنى دليل لأطلعوا العالم عليه خمسين مرة، وما ترددوا في ذلك مطلقا. نعم، هل قلت كلمة لأحد حول الانقلاب؟ أو هاتفت أحدا أو أصدرت تعليمات لأحد؟ لو حدث هاتوا أدلتكم. قد تستغربون إذا ما قلت لكم إنني لا أجيد استخدام الهاتف الجوال هذا، وإخواني يشهدون على ذلك. في شبابي عندما عملت إداريا كنت أجيد استخدام الهواتف الأرضية، لكن هذه الإلكترونيات الجديدة لا أعرف استخدامها، عندما تأتيني مكالمة يناولونني الجوال فأتكلم، والإخوة هنا يشهدون على ذلك. وإذا أردت أن أكلم أحدا لأعزيه في قريب فقده أو لأهنئه على مناسبة سارة فالإخوة يتصلون بالهاتف ويأتون به لكي أتكلم.

ومن ثم إن كان لديهم مكالمة هاتفية تحتوي على كلمة أو كلمتين حول الانقلاب، أو تعليمات لأحد عن القيام بانقلاب، فليأتوا بها وأنا سأقبل كل شيء. فهل بإمكانهم أن يقدموا شيئا سوى اللغط والضجيج؟ بالتأكيد لا، لأنه لم يحصل هذا قط، فكيف يقدمون المعدوم أصلا؟

لا يوجد دليل أصلا، لأنهم هم أنفسهم من دبروا سيناريو الانقلاب، لكنه كان سيناريو مضحكا للغاية، والعالم كله يعلم ذلك، ويعلم أن الانقلابات لا تتم على هذا النحو. أيّ انقلاب هذا الذي يتم من خلال الاشتغال بالعبث، والتلهي بتوافه الأمور، وقتل الأبرياء،

والتغاضي عن المجرمين الحقيقيين إلخ؟ أعتقد أن البشرية لم تشهد مهزلة مثل هذه عبر تاريخها. من الواضح أنهم كانوا في حاجة إلى ذريعة يتكئون عليها لتنفيذ إجراءات تعسفية لا يمكنهم تنفيذها في أجواء ديمقراطية يسودها القانون والعدالة.

س: في النهاية أريد أن أسألكم عن الاتجاه المستقبلي لحركة الخدمة، كنتم تقولون منذ البداية إنها ليست حركة سياسية، إنها ليست إسلاما سياسيا ولكن في مثل هذه الظروف الراهنة التي تمر بها الخدمة من ضغوط سياسية، هل فكرتم مرة أخرى في توجه الخدمة من الناحية السياسية؟ ربما بأن يكون لها مشاركة سياسية أكثر قليلا من السابق أو ربما حزب سياسي في المستقبل. هل تعتقدون أنه لديكم إعادة تفكير في هذا الأمر؟

ج: مبدئيا لا نفكر في أن نغير من منهجنا ورؤانا. نحن آمنا بأن ما نفعله هو خدمة في صالح الإنسانية. ونؤمن أن ما نقوم به بالغ الأهمية سواء من أجل آخرتنا أو من أجل سعادة واستقرار العالم في المستقبل، من خلال العمل على التقاء الناس ببعضهم، والعيش معا في تناغم ووئام. وقد رأينا ذلك التناغم في أولمبياد الثقافة واللغات التي كانت تنظمها مدارس الخدمة، فالأجيال الصاعدة من قاع المجتمع الإنساني تسير في اتجاه تحقيق أخوة كهذه.

فبعد اطلاعنا على مثل هذه النتائج الناجحة لا ينبغي الارتياب فيها والتراجع عنها أو مساءلة جدواها. ولكن قد يصاب البعض بلوثة الحسد كما حصل ذلك في تركيا، فيدفعه ذلك للتصدي لهذه الخدمات، ومحاولة القضاء عليها؛ لذلك ربما يُستحسن مراجعة

الاستراتيجية مرة أخرى، ولكن مع المثابرة على النهج نفسه. بمعنى، هل هناك ما يمكن فعله حتى لا نثير الحسد والغيرة إزاء هذه الخدمة الإنسانية لدى البعض؟ هل من سبيل يجنّبنا تحريك مثل هذه المشاعر القاتلة لدى هؤلاء؟ يمكن التفكير في مثل هذه القضايا، وتضمين نتائجها وخلاصاتها في إستراتيجيات العمل، مع مواصلة السير قدما وعدم التراجع، بل برأيي ينبغي تسريع وتيرة العمل على هذا الدرب الإنساني النبيل. هذا أولا، ثانيا نحن أناس نؤمن بالله تعالى. لقد منّ الله علينا بإمكانات عظيمة وفتح لنا أبوابا واسعة، ربما نحن فشلنا في استثمارها مئة بالمئة، لذلك أراد الله أن ينبهنا بلطمة رحمة منه سبحانه، بمثابة شدّ أذن أو صفعة خفيفة على العنق، بمعنى "احذروا وأجيدوا، وزّعوا جميع النعم التي منّ الله بها عليكم على الإنسانية، ولا تبقوا شيئا منها في أيدكم، عانقوا الناس بمحبة غامرة كيونس أمره. لا ترفعوا يدا في وجه من ضربكم، أمسكوا لسانكم إزاء من شتمكم، ولا تحنقوا على أحد مهما أساء إليكم. افعلوا كما فعل المسيح عليه السلام. ليس البر أن تحسن إلى من أحسن إليك، إنما البر أن تحسن إلى من أساء إليك. كونوا كذلك".

ما تَعرّضنا له من مظالم قد تكون لطمات تنبيه من الحق تعالى إزاء مثل هذه الهفوات، لذلك بالتأكيد نحن سنراجع أنفسنا، سنراجع أفكارنا وتصرفاتنا مرة أخرى، ونحاول بإذن الله أن نعلي من أدائنا ونستكمل ما تركناه ناقصا. أما التراجع عن الرؤية الأصل فلا نعرف بديلا سواها. فهذا هو سبيلنا نسير عليه ولا نلتفت إلى شيء آخر، بل نقول كما قال الشاعر في مناجاته للحق تعالى: "جفاء جاء من جلالك

أو وفاء من جمالك، كلاهما صفاء للروح" ثم نواصل السير في طريقنا.

المهم أن تؤمن بسلامة الطريق. فإذا غيرت طريقك لأنك تتعرض لبعض الضغوط أو المضايقات من هنا أو هناك، فهذا يعني –بقناعتي المتواضعة– أنك في شك من صحة الطريق الذي تسير فيه. إذا لم يكن عندكم شك من طريقكم فينبغي أن تثبتوا عليه. انظروا إلى الأنبياء العظام، سيدنا موسى وعيسى والحبيب المصطفى (ص)، بل حتى رموز الديانات الأخرى مثل بوذا وبراهمان، تجدون أيضا أنهم تعرضوا لألوان شتى من الإساءة والإيذاء، قد يعتزلون الناس حينا من الوقت، لكنهم لا يحيدون عن منهجهم جراء تلك الممارسات والمضايقات.

نردد مع الشاعر الوطني محمد عاكف قوله: "بالله استعن، وبالسعي الجاد التزم. احرص على الحكمة، فهذا هو الدرب، ولا درب آخر للخلاص" ونواصل السير على طريق المحبة، طريق الاحتضان، طريق المعانقة، طريق فتح القلوب للجميع، هذه أفكارنا التي لن نتخلى عنها أبدا مهما كان. إن جاءكم أحد، وطرق باب قلبكم فلا ينبغي أن يساوره قلق من ألا يجد مكانا فيه، ينبغي أن تخصصوا مكانا في قلوبكم لكل أحد. هذه هي فلسفتنا، ولا تراجع عنها البتّة.

نحن نرى أن إنشاء مؤسسة تربوية في بلد مّا إنما هي قيمة إضافية لذلك البلد، ومُلكٌ له تخدم مجتمعه وتنمّي قدرات أبنائه. وليس لهذه المؤسسات من غاية أخرى سوى أن تكون مفيدة ونافعة لهذا البلد. نحن نؤمن بأن مشاكل الغد لا يمكن أن يحلها إلا أفراد يتحلون بروح العلم والمعرفة، ومن ثم فكل مؤسساتنا تدور في هذا الفلك. حرصنا على أن نقدم خدماتنا للناس، كل الناس بغض النظر عن أديانهم وأعراقهم وأجناسهم ومذاهبهم ومشاربهم. آمنا بأن هذا هو الطريق لتحصيل مرضاة الله تعالى بشكل كلي.

www.nesemat.com

إن التربية والتعليم هما المفتاح السحري لحل إشكال العنف والتطرف من جذوره. فتربية الأجيال على احترام إنسانية كل إنسان، وتنشئتها على قيم التسامح والمحبة ونبذ الفتن والخصومات، وتعزيز الأمل في نفوسها حول مستقبلها، كل هذا سيمنعها من أن تقع فريسة سهلة للأفكار الراديكالية.

حوار قناة NRT الكردية مع الأستاذ فتح الله كولن[1]

س: بداية أشكركم لإتاحتنا هذه الفرصة لإجراء هذه المقابلة، هناك من يتحدثون عن عودتكم إلى تركيا وأنها ستكون على شاكلة عودة الإمام الخميني إلى إيران في سبعينيات القرن الماضي فهل سيحدث ذلك؟ وإذا أردتم العودة إلى تركيا فهل ستعودون قريبًا؟

ج: أتيت إلى أمريكا (١٩٩٩م) في حينٍ كانت هناك ضغوطات سياسية كبيرة في تركيا، وكانت الأجواء السياسية مشحونة مستعرة، والدعايات الانتخابية في وضع سيء. جئت إلى هنا لإجراء عملية جراحية وتلقّي العلاج، وعندما وصلت إلى هنا وجدت المكان يتحلى بالسلام والأمان، فبدأت بالكتابة والتأليف وتدريس الطلبة وتعليم الأصدقاء والمقربين. لا شك أن الابتعاد عن الوطن بركان يغلي في قلبي إلا أنني وجدت المكان هنا يمتاز بالأمان والاستقرار كما تراه بعينك. وفيما يتعلق بالدعايات التي تتحدث عن عودتي إلى تركيا كما عاد الخميني إلى إيران فإنني لم أفكر بذلك أبدًا، لم يراودني هذا النوع من التفكير حتى في الأحلام.

---

[1] تم بث هذا الحوار بتاريخ ٤ أغسطس ٢٠١٦.

س: أنتم وأردوغان كنتما صديقين، وبشكل من الأشكال كنتما حليفين، وحركتكم أشبه ما تكون بحركة تربويّة، فما الذي دفعكم إلى السياسة؟ وما الذي حصل بينكم وبين أردوغان فعرقل استمراريّة صداقتكما كما كانت؟

ج: الحقيقة لم يكن هناك تحالف بيني وبين أردوغان في شكل تحالف سياسيّ. وعندما كان أردوغان يسعى إلى تأسيس حزبهم زارني مرة واحدة، وأنا تحدثت معه، والتقيت به مرة أخرى حينما كان رئيسا لبلدية إسطنبول، كنّا قد نظمنا آنذاك مباراة خيرية من أجل ضحايا حرب البوسنة والهرسك. التقيت أردوغان مرة أو مرتين آنذاك، لم يكن هناك أيّ تحالف بيننا، لكن الناس كانوا يعتقدون بأننا متحالفون. علاقتنا الحقيقية بهم علاقة مواطنة فقط، وهي علاقة مبنية على وعود قطعوها على أنفسهم للمواطنين أثناء تأسيس الحزب. فهم وعدوا الجميع بسيادة القانون وتطبيق العدالة، ووَعدوا باحترام الرأي الآخر ولو كان معارضا، ووعدوا باحترام الحريات الدينية، والانفتاح على العالم.

فبناء على تلك الوعود ساند محبونا وأغلبية الشعب التركي أردوغان كما ساندوا السياسيّين قبلهم مثل "سليمان دَمِيريل" رئيس الوزراء التركي الأسبق الذي ترأس مجلس الوزراء وأصبح رئيسًا لتركيا فيما بعد أو "طورغوت أُوزَالْ" والذي كان أيضًا رئيس وزراء ومن ثم أصبح رئيسًا لتركيا أو "بولنت أجاويد" الذي كان رئيس وزراء لدورة واحدة. فكل واحد من هؤلاء السياسيين تمكن من الحصول على دعم الشعب التركي في فترات مختلفة، بناء على وعود مماثلة قطعوها على أنفسهم للشعب التركي مثل تنمية الديمقراطية واحترام

سيادة القانون وتوسيع نطاق الحريات الفردية إلخ. ما نلاحظه اليوم أننا لم نر من أولئك المسؤولين السابقين تلك المعاملة السيئة التي نتعرض لها اليوم من قبل أردوغان. لم نر من "سليمان ديميرال" ولا من "بولند أجاويد" هذا النوع من الابتزاز والقمع الذي يتعرّض له المواطنون في تركيا على يد أردوغان. فهذه تجاوزات لم نعشها قط في السابق.

من جانب آخر، لقد كنا داعمين ومساندين لأيّ إصلاح في الدستور يتم على أساس ديمقراطي. فمثلًا ساندتُ التعديل الذي جرى على الدستور عام (٢٠١٠م)، وكان الهدفُ منه إدخال الديمقراطية على النظام القضائيّ، ولكننا لم نؤسّس أيّ حزبٍ سياسيّ، ولم نتصل بأيّ حزب، ولم نجعل من أنفسنا سياسيّين، ولكننا وببساطة كنا وما زلنا مدافعين عن المبادئ الفكريّة والقيم الأساسية التي نؤمن بها والتي تتمثّل في أربعة أسس رئيسية هي (القيم الإنسانية العالمية – والسلام العالمي – والتعايش – ومواجهة الفقر). هذه هي الأسس الرئيسة الأربعة التي تبنّيناها ولم نَحِد عنها. فلو كنا نرغب في مشاركة حزبية أو في مطالبة بمقاعد برلمانية أو مناصب حكومية لكنا فعلنا ذلك وتمكنا من ذلك، لكنّنا لم نرغب في ذلك أبدًا. هم من وضعوا خريطة البرلمان والتشكيلة الحكومية والدستور بالشكل الذي تمنّوه لأنفسهم، والعالم يشهد على كل هذا.

إذا أردت أن تناقش الانشقاقات الحاصلة والتفرقة الواقعة فإن سببها الأساس هو أن أردوغان وحزبه قد عدلوا عن كل الوعود التي قطعوها على أنفسهم للمواطنين في تركيا. إننا لم نغيّر مواقفنا ولم ننحرف عن القيم التي آمنا بها. هم من نكثوا عهودهم وخالفوا

وعودهم، وهذا هو السبب في سحب دعمنا لهم.

س: تتحدّثون عن العدالة والاختلاف في الرأي، إن تقارير حقوق الإنسان المتعلقة بتركيا تشير إلى أن الآلاف من الكرد راحوا ضحايا، وأن آلاف البلدات والقرى تم تسويتها مع الأرض لمجرد أنهم يحملون الهوية الكردية. وبإمكاني القول: ليس الكرد هم الضحية فقط، صحفية أمريكية تقول بأن تركيا أصبحت معتقلًا كبيرًا للصحفيين، فما هو موقفكم حيال هذا، وخصوصًا المواطنين الكرد المدنيين والأطفال والنساء ممن ليس لهم أيّ علاقة بالسياسة، ولكنهم يسقطون ضحايا العمليات العسكريّة التي تنفذها حكومة أردوغان؟

ج: لم يتغير رأيي طوال الأعوام الخمسين الماضية؛ فإن كاتب النشيد الوطني التركي حين كتب النشيد قد ذكر اسم صلاح الدين الأيوبي الكردي مع السلطان محمد الفاتح التركي. وإن لنا مع الكرد مواقف مشتركة، وشاركنا في جبهات القتال ضد قوى التحالف في معركة الدردنيل[1]، كما شاركنا في الحملات ضد الصليبيين وكنا معًا في خندق واحد، وإن اسم "نور الدين زنكي" واسم "شيريكوه" قد ورد ذكرهما معًا في قصيدة واحدة.

وإنني قبل عشرة أعوام أرسلت خطابا إلى رئيس الوزراء

---

(١) معركة الدردنيل هي حملة عسكرية شنتها قوات بريطانية وفرنسية مشتركة خلال الحرب العالمية الأولى بهدف احتلال إسطنبول، دارت المعارك في شبه الجزيرة جاليبولي على مضيق الدردنيل عام ١٩١٥، باءت جهود الحملة بالفشل وقتل ما قُدّر عدده بحوالي ٥٥ ألف جندي من قوات التحالف (بريطانيا، أستراليا، نيوزيلندا، فرنسا) وحوالي ٩٠ ألف جندي عثماني ومئات الآلاف من الجرحى من الطرفين.

التركي[1]، وكان عبارةً عن مشروع يتضمن عشرة مقترحات لتحسين ظروف الكرد في مناطق شرقي وجنوبي شرقي تركيا، فتحدثتُ عن مجموعة من الأفكار لتحسين ظروف الكرد الذين كانوا يعيشون في تلك المناطق، وتحدثتُ عن كيفية تحسين الظروف المعيشية للكرد في تركيا. اقترحت أن تتحسّن ظروفُهم المادية وترتقي إلى مستوى ظروف حياة الكرد في شمالي العراق. اقترحت أن تقوم الحكومة بتوفير احتياجاتهم الضرورية كي يطمئنوا إليها ويثقوا بها، وطلبتُ من الحكومة أن تتيح الفرصة لمن لديه مشاريع جديدة، وتحدثت عن ضرورة توفير فرص تربوية لتلك المناطق مع التأكيد على السماح باستعمال اللغة الكردية. كان المرحوم سعيد النورسي يتحدث عن إنشاء جامعة في المناطق الكردية بحيث تكون الدراسة والتحدث فيها باللغات العربية والتركية والكردية. تحدثتُ عن ضرورة إنشاء مراكز صحية هناك، اقترحت أن يكون لكل عائلة طبيب خاصّ بها، وتحدثت عن لزوم إنشاء وحدات صحية في المدارس الابتدائية ليلقي المتخصصون محاضراتهم فيها، واقترحت بأن يكون انتخاب الحكام والقضاة والمسؤولين من قبل الناس ومن خلال فلسفة التعددية والعدالة وليس عن طريق تعيينهم دون اللجوء إلى انتخابات، وأن تتكفل الدولة بتقديم الحماية والأمان والعون للمجتمع كله؛ إلا أن هذه المقترحات تم رفضها بذريعة أن الحكومة عينت مسؤولًا عن تلك المناطق، لكنه مع الأسف فشل في خدمة المواطنين هناك، وطلب إعفاءه من الوظيفة فورا. وتذرعو بأنهم لا يجدون

---

[1] انظر: إلى دولة رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان مقترحات لحل المسألة الكردية، ص:٢٩٧ من هذا الكتاب.

مسئولا يتطوع للذهاب إلى هناك، في حين أن أعدادًا كبيرة من الولاة والمحافظين والإداريين كانوا جاهزين ليخدموا هناك بكل رغبة.

صحيح أن تلك المقترحات تم إهمالها ووضعُها على الرفوف لكي تنسى تماما، إلا أنني ما زلت أكررها دون زيادة أو نقصان، أقولُها وأذكّر بها انطلاقًا من شعوري بالمسؤولية تجاه أمتي وابتغاء لمرضاة الله تعالى فحسب.

وإذا أردتم التأكُّد مما أقول وأنني نبّهتهم إلى حلول منذ مدة طويلة؛ فبإمكانكم أن تنظروا في كتاباتي ومقالاتي التي كتبتها في الأعوام الخمسين الماضية، لن تجدوا فيها شيئًا مناقضًا لما ذكرته لكم. واليوم، بدلًا من تفعيل تلك المقترحات، حولوا المناطق الكردية إلى بحار من دماء للأسف. لقد تعايشنا مع الأكراد طوال التاريخ، خضنا معارك جنبا إلى جنب، تقاسمنا الحلو والمر، دافعنا عن بيضة الإسلام معًا. ولكن للأسف تحولت تلك المناطق إلى برك من دماء. هذه هي خلاصة أفكاري في الموضوع.

س: لقد ذكرتم المرحوم بديع الزمان سعيد النُّورْسي (١٨٧٧-١٩٦٠م)، هل حضرتكم الآن على أيّ علاقة بأيّ عالم أو قياديّ دينيّ أو سياسيّ كرديّ؟ وما رأيكم بشأن مفاوضات السلام بين الأكراد والحكومة التركية؟ هل سيسود السلام في تركيا؟ وماذا لديكم من حلول وبدائل عن العمليات العسكرية التي تشنّها الحكومة التركية ضدّ الأكراد في تركيا، ألتمس منكم مقترحات ونصائح بشأن تلك القطعة من العالم كيف يمكن أن يسود السلامُ هناك من وجهة نظركم؟

ج: خلال فترة حياتي التي قضيتها في تركيا قابلتُ الكثيرين من

علماء الكرد والقادة الدينيّين، للأسف لا أتذكر أسماء جميعهم إلا أنني أتذكر اسم "الشيخ بدر الدين" و"الشيخ نور الدين"، وبعد مغادرتي لتركيا زارهم الإخوة نيابة عني مرارا، وحين فقد الشيخان الفاضلان أولادهما قام أصدقائي بزيارتهما وتقديم التعازي لهما. وإننا نأمل في أن يساهم أبناء وتلاميذ هؤلاء القادة والمفكّرين في نشاطات الخدمة. والحقيقة أن مجموعةً من هؤلاء بدؤوا العمل في عدة منظمات خيرية تم توجيههم من قبل مؤسسات الخدمة في العالم.

كذلك حينما كنت واعظًا في مناطق الشرق وجنوب شرق تركيا -ومنها مدينة "ديار بكر" ذات الغالبية الكردية- كنتُ ألقي خطبًا عامة، فكان معظم المستمعين من الأكراد. لقد كانوا يجلّون العبد الضعيف ويقدّرونه مع أني لست أهلا لذلك. لم أميّز بيننا وبين إخواننا الأكراد في حياتي أبدا، لم أقل أبدا هذه لغتنا وتلك لغتهم، وهؤلاء قومنا وأولئك قومهم.

نحن أمة واحدة، نحن أبناء الأناضول، تجري في عروقنا روح الإسلام، يجب أن تُبنَى علاقتنا مع المواطنين الآخرين على مبدأ الاحترام المتبادل، هذا ما دافعت عنه وبذلت من أجله جلَّ حياتي. لقد حاولت أن أحمل رموز لغة الأكراد فوق رأسي احتراما لهم، لكن مع الأسف فإن الأمور اليوم آلت إلى منعطف خطير، وبدأ الأكراد يتعرضون للظلم والإيذاء.

لطالما حذّرتُ من ذلك ووجهتُ رسائل إلى المسؤولين في الحكومة وقلت لهم بأن هذا المسلك غير صحيح، إلا أنهم لم يصغوا إلينا، ولجئوا إلى استخدام القوة القمعية، لم يصغوا إلى نصائحنا في هذا الأمر، كما لم يكترثوا بالمقترحات التي قدمناها

لهم بشأن المأساة الإنسانية التي تقع أمام العالم في "سورية".

حين زارني مسؤولون من الحكومة التركية وكان أحدهم أحمد داود أوغلو وزير الخارجية آنذاك قلت لهم لا يمكنكم حل الأزمة السورية بتوفير ملاذ آمن للاجئين فقط، عليكم أن تساعدوا سورية، عليكم أن تجدوا صيغة مع النظام الحاكم لإطلاق مرحلة انتقال ديمقراطيّ، وعليكم أن تقدموا مساعدات مادية لإنجاح هذه المرحلة إذا اقتضى الأمر. كل ذلك لمساعدة سورية على الانتقال إلى نظام ديمقراطي بشكل تدريجي. حينما يتم إرساء دعائم الديمقراطية بإحكام، فإن كافة المكونات من الكرد والعرب والتركمان والسنة والفئات الأخرى سيمتلكون مقاعد في البرلمان ويكون لهم تمثيل ضمن سورية موحدة تتمتّع بنظام ديمقراطي.

هذه هي توصياتي التي قدمتها للحكومة باستمرار. ولكن يبدو أنهم كانوا يفكرون بطريقة أخرى، يقولون هل سنصغي إلى نصائح داعية بسيط ونحن من نحن في التخطيط الإستراتيجي؟ كانوا يرون أنفسهم في مواقع عليا، ويعاملون الناس بكبرياء، ولا يسمعون نصيحة أحد، وكنتُ أُردّد موقفي الذي ما زلتُ مصرًّا عليه، وهو أن هذه المشاكل يستحيل حلّها بتوجيه فوّهات البنادق إلى بعضنا البعض، إنما الحلّ يمكن في الاحترام والثقة المتبادلة، علينا أن نفتح صدورنا لكافّة الناس حتى لمن يوجهون فوّهات بنادقهم إلينا. نحن بحاجة إلى نشءٍ جديد مثل المزهرية تفتح صدرها لشتى أنواع الورود والزهور بكل ثقة واطمئنان.

لقاء مع مجموعة من وسائل الإعلام العالمية[1]

س: يتهمكم الرئيس التركي رجب طيب أردوغان بأنكم وراء محاولة الانقلاب الفاشلة التي وقعت في تركيا، فما ردّكم على ذلك؟

ج: أوَّلًا: مع الأسف شاهدنا العديد من الناس يقول الشيء نفسه بغير دليل، إنني أقيم هنا في أمريكا منذ أكثر من خمسة عشر عامًا، من المحال أن أقوم بهذا الأمر، فأنا طوال عمري كنت ضدّ الانقلابات العسكرية، أندِد بها وأستنكرها على الدوام؛ لأنني كنتُ أكثر المتضرّرين في كل الانقلابات، سواء تلك التي وقعت في ٢٧ مايو/أيار (١٩٦٠م)، أو التي وقعت في ١٢ مارس/آذار (١٩٧١م) أو التي حدثت في ١٢ سبتمبر/أيلول عام (١٩٨٠م)، أو التي جرت في ٢٨ فبراير/شباط عام (١٩٩٧م). بعد انقلاب (١٩٩٧م) جئتُ إلى أمريكا من أجل العلاج[2]، ومن يومها وأنا أقيم هنا.

---

(١) تم هذا اللقاء مع الأستاذ فتح الله كولن بتاريخ ١٧ يوليو/تموز ٢٠١٦م.

(٢) وقد طُلب خلال شهر يناير/كانون الثاني (١٩٩٩م) حجز موعدٍ للكشف الطبيّ على فتح الله كُولَنْ في "مستشفى مايو (Mayo Clinic)" بالولايات المتحدة الأمريكية، فحدَّدت إدارة المستشفى الموعد في الثاني والعشرين من مارس/آذار (١٩٩٩م)، وبناءً عليه غادر فتح الله كُولَنْ تركيا في الحادي والعشرين من مارس/آذار (١٩٩٩م)، وخضعَ لِفَحْصٍ طِبِّيٍّ شاملٍ في هذه المستشفى في الفترة ما بين

قبل عشرين عامًا قلت بوضوح: "لا رجوع عن الجمهورية والديمقراطية"[1] ، وإن الذين ينادون بالجمهورية والديمقراطية الآن كانوا يكتبون مقالات ضدي في وسائل الإعلام نفسها بسبب هذه التصريحات.

إنني ما زلت منذ عشرين عامًا إلى الآن وأنا أكرر الشيء نفسه: "الديمقراطية وصندوق الاقتراع هما السبيل الوحيد إلى السلطة، فلا خير يُرجى من الانقلابات، وإن استخدام القوة الغاشمة لا يفيد شيئا للدولة".. ربما أكون قد كررت هذه الأفكار أكثر من خمسين مرة حتى الآن، ولذا فمن غير الممكن أن يُفكر إنسانٌ مثلي بلغ من العمر السابعة والسبعين عامًا في القيام بهذا الأمر المقيت.

ثانيًا: إنني لا أعرف مطلقًا هؤلاء الذين زعموا أنهم قاموا بالانقلاب، ولا صلة ولا علم لي بهم لا من قريب ولا من بعيد، وعلى ذلك أكرر عليكم ذات الفكرة والمقترح الذي عرضتُه على رجال الصحافة أمس:

"لتتولّ لجنةٌ دولية التحقيقَ في هذا الأمر والتدقيق فيه، فإن ظهرت ادعاءات السلطات التركية بحقي صحيحة أو حتى لو بَنَتْ هذه اللجنة أحكامها على أدلة مغلوطة فإنني سأنزل على حكمها

الثاني والعشرين والسادس والعشرين من مارس/آذار، وهو يقيم في أمريكا منذ ذلك اليوم وحتى الآن بناءً على توصيات أطبَّائِهِ. (المحرر)

[1] لمعرفة آراء الأستاذ عن الديمقراطية انظر: مايمول أحسن خان: فتح الله كولن: الرؤية والتأثير (تجربة فاعلة في المجتمع المدني)، الفصل السادس: رؤية كولن للديمقراطية الحديثة، دار النيل، القاهرة - (٢٠١٥م)، ص. ١٥٦-١٧٦.

أيًّا كان عن طيب نفس وخاطر.. ولكن من غير الممكن أن نسلّم بادعاءات واتهامات مبنية على الحقد والكراهية".

فيما بين السابع عشر إلى الخامس والعشرين من ديسمبر عام (٢٠١٣م) أطلّت علينا وتكشَّفت أحداث وفضائح الفساد والرشاوى في تركيا، وقد كشفت هذه الأحداثُ عن وجود أعمال فساد ولصوصية وتبادُلٍ للرشاوى داخل الدولة، وعن الإسراف والبذخ الذي يعيش فيه أصحاب القصور.

وتلك الأحداث لا صلة لنا بها، ولا أدري من كان وراءها، المخابرات الألمانية أم المخابرات الأمريكية أم الاستخبارات التركية.. لا أدري! ومع ذلك نُسبت كل هذه الأحداث إلى محبّينا والمتعاطفين معنا[1]، ومنذ ذلك اليوم بدأت حركة الخدمة توصَفُ بـ"الكيان الموازي"، ومما زاد الطين بلّةً أيضًا أنهم ادّعوا علينا زورًا وبهتانًا أننا نحن من دبّر هذا الانقلاب!.. هذا أمر لا يمكن قبوله مطلقًا!

والحق أن الكثيرين قد علّقوا على محاولة الانقلاب هذه قائلين: لقد قام أردوغان وأتباعه بهذه التمثيلية الانقلابية بهدف إحكام قبضتهم على المؤسسة العسكرية ووضعها تحت وصايتهم، وحتى يتسنّى لهم إقصاء المعارضين لهم في داخل السلك العسكري.. ربما أثار بعض القوميّين المتطرفين العسكر للقيام بهذه المحاولة وتورّط معهم بعض السذّج.. ويؤكد هذا الكلامَ قولُ رئيس الجمهورية

---

[1] أُجري مع الأستاذ فتح الله كولن في هذه الفترة بعض الحوارات، ونشرت هذه الحوارات تحت عنوان: كلمات شاهدة، دار النيل - (٢٠١٥م) القاهرة. (المحرر)

التركية "أردوغان": "إن هذه المحاولة قد عزَّزت من سلطتنا، لدرجة أننا أصبحنا نستطيع القيام ببعض التغييرات والتعديلات داخل المؤسسة العسكرية، وأن نهيمن عليها"، إضافة إلى قوله: "أنا القائد العامّ الآن"؛ بمعنى أن المؤسسة العسكرية وغيرها قد صارت تحت وصايتي المحضة.

وعند التدقيق في كل هذه الأمور، وإلقاء نظرة شاملة عليها، وإخضاعها لمبدإ السبب والنتيجة؛ سيتبين لنا بداهة أنهم أنفسهم قاموا بمثل هذه العملية حتى يتيسر لهم الأمر فيما بعد، وحتى يتمكّنوا من إطلاق يدهم كيفما يشاؤون داخل المؤسسات الحكومية دون مُسَاءَلة.

س: ذكرتْ وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة من قَبل كلامًا حول دعم حكومة أردوغان بشكل خفي لمنظمة "داعش" الإرهابية، فهل ترى أن هذه الحكومة تُناهض "داعش" وتكافحها حقيقة؟ وهل عقدت اتفاقًا بالفعل مع الدول التي تشنّ حربًا ضد هذه المنظمة؟ أم أنها كانت تتظاهر فقط بأنها تؤيد هذه الدول في حربها على الإرهاب إلا أنها تُبطن غيرَ ما تُظهِر؟

ج: أعتقد أن هذا الأمر بات معلومًا وواضحًا لدى الرأي العامّ العالميّ، فلقد انطلقت حكومة أردوغان تدعم هذه المنظمة الإرهابية بشكل سريّ منذ قيامها وبدايات تشكُّلِها، إلى جانب دعمِها لمنظمة "تحشية" التي تعد امتدادًا لمنظمة القاعدة في تركيا. وخير شاهد على ذلك تلك الشاحنات التي كانت مملوءة بالأسلحة وأوقفها العسكر وهي في طريقها إلى هذه المنظمة الإرهابية، ويؤكد هذا الكلام ما

ذكره أحد الوزراء في هذه الحكومة -وهو "طُغْرُلْ تُرکَشْ" مساعد رئيس الوزراء ونجل الرئيس السابق لحزب الحركة القومية "آلب أرسلان تُركش" في أحد البرامج التلفزيونية، وذلك قبل أن يُعيَّن وزيرًا-؛ حيث أقسم يمينًا مغلَّظًا أن هذه الشاحنات لم تكن متجهة لمساعدة التركمان، بل كانت في طريقها إلى منظمة داعش الإرهابية، وكرر هذا القول مرارًا وتكرارًا[١].

لطالما دعمَتْ هذه الحكومة جبهةَ النصرة ومنظمة داعش الإرهابية، ولا داعي للتكهّن بدافعهم إلى القيام بهذا الدعم، لكنني أعتقد أن أردوغان كان يأمل في إعلان نفسه أميرًا للمؤمنين في الشرق الأوسط والعالم الإسلامي بعد إسقاط النظام في سورية، والكلمات التي تفلّتت من لسانه تعبّر عن أشياء ذات مغزى من هذا القبيل، مثل قوله: "سأقرأ الفاتحة عند ضريح صلاح الدين الأيوبي، وأصلي في الجامع الأموي"؛ أي إنني سأجعل كل الشعب يقف ورائي، ولا جرم أن سورية ستتبعها الأردن ثم دول المغرب العربي، ثم مصر، إلا أن الوضع لمّا تغير في مصر وسارت السفينة ضد ما يشتهي وصفَ "السيسي" بـ"فرعون"، وقال: "لكل فرعون موسى"، معتبرًا نفسه موسى، والسيسي هو الفرعون.

كان يعقد آمالاً عريضة ليكون زعيم العالم الإسلامي، وحاول تحقيق هذه الآمال عن طريق داعش. ولقد أكدت المعلومات

---

[١] نُشر هذا البرنامج في قناة (CNNTURK) في ٣ يونيو/حزيران (٢٠١٥م)، انظر (بين الدقائق: من ٢٠:٢٤ إلى ٢٣:٣٠):
http://tv.cnnturk.com/tv-cnn-turk/programlar/tarafsiz-bolge/7-haziran-a-geri-sayim

الصادرة عن بعض المؤسسات الإعلامية وأجهزة المخابرات أنه ما زال يدعم هذه المنظمة الإرهابية؛ يمدهم بالأموال، وإن افتضح الأمر يحاولون التستّر على الجريمة ولفتَ الأنظار إلى جهة أخرى.

وثمة أمر آخر يعرفه الجميع وهو: أن أنصار داعش ما زالوا يُعالَجون في مستشفيات تركيا، ثم يُرسل بهم إلى أماكن مختلفة من العالم؛ إلى فرنسا وأمريكا وإنجلترا، وليست أجهزة المخابرات فقط هي من لديها علم بهذه الأمور، بل هي معلومات متداولة بين الأطباء والممرضين الذين يعملون في هذه المستشفيات التي تقوم على علاج هؤلاء الإرهابيين.

هناك كثير من الأشخاص انضموا إلى هذه المنظمة الإرهابية، بل إن أكثر أفراد هذه المنظمة من تركيا. لطالما بكى العديد من الآباء والأمهات وناحوا قائلين: "لقد أبلغنا الحكومة عن اعتزام أبنائنا الانضمام إلى منظمة داعش الإرهابية، ورجوناهم أن يُثْنوا أبناءنا عن قرارهم هذا، لكنهم لم يفعلوا، فاختفى أبناؤنا وانضموا إلى هؤلاء الإرهابيين".

إن أنصار داعش ما زالوا حتى الآن يتجولون في شوارع تركيا، تستخدمهم الحكومة للإغارة على بيوت معارضيها من المتدينين، وتعذيبهم وقتلهم.

إن داعش الآن هي أكثر المنظمات التي تستغلها الحكومة التركية وتعتمد عليها.

قيادة أردوغان تتظاهر أمام الرأي العام العالمي بأنها تحارب هذه المنظمة، والواقع أنها لم تحاربها قط، قد تكون للمؤسسة

العسكرية جهود خالصة في هذا الشأن، لا أستطيع أن أنكر ذلك، فقد كانوا يمطرون داعش أحيانًا بوابل قنابلهم، وكذلك كان يفعل الروس والأمريكان، غير أن الحكومة التركية كانت تتظاهر بحربها ضد داعش حتى لا تقف في موقف المعارض للرأي العام العالمي، ولكنها لم تتخلّ في أيّ وقت عن دعمها لهذه المنظمة.

قبل بضعة أيام كانوا يدافعون عن داعش في إحدى القنوات التلفزيونية التابعة لهم، فلما قوبلوا بردّ فعل عنيف على ذلك أجروا تحقيقًا صوريًّا في هذا الموضوع. والحال أن مَن زُجّ بهم في السجن من أنصار داعش قد أُفرج عنهم وأخلي سبيلهم، ومن امتثلوا أمام القضاء أُخلي سبيلهم أو رُحّلوا.

وإذ يتمتّع أفراد داعش بكل هذا الدعم والمؤازرة من قِبَلِ الحكومة التركية فإنّ المواطنين الأتراك الذين هم أبناء البلد لا يلاقون ولا يتحصّلون على نفس هذه المعاملة من حكومتهم، فالحكومة الآن تضطهد مواطنيها وتبالغ في أذيتهم وإيذائهم. إن أنصار الحكومة الآن يُغيرون على بيوت من يعارضهم، ويكسرون أبوابها ولا يراعون حرمتها، أما موقفهم بالنسبة لهذه المنظمة الإرهابية فلم يتغير.

إن أكثر المدافعين في العالم عن داعش وجبهة النصرة هم أصحاب السلطة عندنا في تركيا، وما رأيناهم أعلنوا الحرب على الإرهاب أبدًا، ربما أعلنوا مؤخرًا الحرب على حزب العمال الكردستاني، وهذا كان في الآونة الأخيرة فقط.

قبل عشر سنوات وجّهتُ خطابًا[1] من بضع مواد إلى السلطة التركية اقترحت فيه بعض الحلول لمشكلة الأكراد في جنوب شرق البلاد وما الموقف الذي يجب اتخاذه معهم.. وقد تكلمت في هذا الخطاب عن سبل حلِّ هذه المشكلة، منبِّهًا إلى ضرورة السماح لهؤلاء الناس باستخدام لغتهم بارتياح، فأمريكا يقطنها (٣٠٠) مليون نسمة، كلهم يتحدّثون لغتهم الخاصة بهم. كما تطرقتُ في الخطاب إلى الحديث عن مسألة تنظيم العمل الأمني وتطوير المنظومة القضائية هنالك، وإعمار المنطقة، كما لَفَتُّ أنظار المسؤولين في الحكومة أيضًا إلى تعديل أوضاع من يعيشون في جنوب شرقي تركيا حتى لا ينظروا بغبطة إلى إخوانهم الأكراد الذين يعيشون في شمال العراق، فيتمنوا أن يكونوا مثلهم.. وقد كنت أهدف من وراء كل هذا إلى عدم إفساح المجال أو إتاحة الفرصة أمام انفصال إخواننا الأكراد عن تركيا.

ولقد بدأت الحكومة منذ خمس سنوات مع حزب العمال الكردستاني "با كا كا (PKK)" بما عُرِف بوتيرة الحلّ، وخلال هذه الوتيرة انتهزت المنظمة الإرهابية "با كا كا" فرصة السلام والمفاوضات فحوّلت كل أنحاء تركيا إلى مستودعات للذخيرة، وتحولت منطقة جنوب شرق تركيا الآن إلى خرابات. وفي الواقع فإن التغاضي والتعامي عن إدخالهم السلاح وإقامة مستودعات الذخيرة خيانةٌ. أجل، إن التغاضي عن إقامة هذه المستودعات خيانة للأمة التركية؛

[1] انظر: إلى دولة رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان مقترحات لحل المسألة الكردية، ص:٢٩٧ من هذا الكتاب.

فقد تحولت هذه المنطقة إلى خرابات، وبات الجيش لا يستطيع الوقوف ضد هذه الفوضى والانفلات الذي حصل هناك.

وأعتقد أنهم أعدوا سيناريو هذا الانقلاب حتى يصرفوا الأنظار عن هذا المشهد المأساوي. ربما وجدوا في بعض القوميّين المتطرفين أو بعض المتديّنين البسطاء من يعينهم على ذلك، وربما صدّروا المشهد ببعض العسكر من أصحاب الرتب الدنيا، وقالوا لهم قوموا بما يشبه الانقلاب. هذا أمر لا أستطيع أن أعرف ماهيته أو صورته الحقيقية تمامًا، لأنني أعيش هنا في أمريكا، وأتابع الأحداث من خلال التليفزيون والإعلام فقط.

الغريب أن القائمين على الانقلاب بدوا كأن انقلابهم لم يكن شاملا، بل استهدف أشخاصا محدَّدين فقط، داهموهم واحتجزوهم كرهائن وانتهى كل شيء، لم يفعلوا شيئًا مع القائمين على أمر البلاد من رئيس الجمهورية إلى رئيس الوزراء إلى السياسيين الآخرين، ولم يتعرضوا لأيّ قناة من قنوات الدولة الرسمية أو مؤسسات الإعلام المختلفة، كان الأمر أشبه ما يكون بمسرحية.

لقد عاصرتُ كل الانقلابات التي وقعت في تركيا -٢٧ مايو، و١٢ مارس، و١٢ سبتمبر، و٢٨ فبراير- وكان الانقلابيون يستغلون كل هذه المنابر الإعلامية في إذاعة بيانات انقلابهم.

لم تكن الحكومة صادقة في التعامل مع "داعش" كما لم تكن صادقة في التعامل مع حزب العمال الكردستاني، ولقد ذكرتُ في رسالتي التي اشتملت على بعض النصائح والتوصيات أنه ينبغي

للحكومة أن تعالج مشكلة الأكراد في جنوب شرقي البلاد وتحلها تمامًا، وألا تسمح بانقسام المجتمع التركي، فلم يعوا ذلك، وضربوا بهذه النصائح عرضَ الحائط.

ساقوا الدولة إلى كارثة حقيقية، والآن تريد الحكومة أن تصرف الرأي العام عن هذا الفشل الذريع إلى ناحية أخرى، لا سيما أن هناك معارضين لها داخل الجيش وخارجه من المنتمين لـ"حزب الشعب الجمهوري (CHP)" أو "حزب الحركة القومية (MHP)" أو "حزب الوطن (Vatan Partisi)" وغيرها من الاتجاهات السياسية؛ لذا يخيل إليّ أنهم أعدوا سيناريو هذا الانقلاب حتى يتخلصوا من هؤلاء الخصوم جميعهم مرة واحدة، سواء داخل المؤسسة العسكرية أو خارجها؛ مما يتيح لهم إمكانية فرض الوصاية بارتياح على هذه المؤسسة، والقضاء على معارضيهم خارجها جملة واحدة.

أعتقد أن الذين يدرسون هذا الملف بشيء من العقلانية معتمدين على مبدإ السبب والنتيجة سيفسرون الأمر على هذا النحو؛ بمعنى أنهم لو نظروا نظرة شاملة إلى المسألة دون انسياق وراء كلام هذا أو ذاك أو حتى كلامي أنا، فسيصلون إلى نفس النتيجة التي ذكرتها.

س: أدلى رئيس الجمهورية التركية رجب طيب أردوغان بتصريح أشار فيه إلى أن الإدارة التركية بصدد إرسال طلب إلى أمريكا لإعادتكم إلى تركيا، وذكر المسؤولون في الإدارة الأمريكية أنهم لم يتلقوا طلبًا رسميًّا بهذا الشأن، غير أن حكومة أنقرة أكدت على أنها تُعِدّ لإرسال هذا الطلب خلال الأسبوع القادم، فهل

ستوافق الحكومة الأمريكية حقًّا على إعادتكم إلى تركيا؟ وإن لم تفعل فماذا يمكن أن يكون مبرّرها في ذلك؟

ج: لمّا أُجرِيتْ التحقيقات حول فضائح الفساد والرشاوى في الفترة من السابع عشر إلى الخامس والعشرين من ديسمبر (٢٠١٣م) روّجت الحكومة التركية لفكرة "الكيان الموازي"، واتهمتنا بأننا نحن من يشكل هذا الكيان الموازي للدولة، وبعثتْ بمثل هذا الطلب المذكور إلى أمريكا؛ إلى السيد "باراك أوباما"، وإلى وزير خارجيته آنذاك، كما عقدت اتصالات مكثفة بهذا الشأن مع السيدة "هيلاري كلينتون"، وعرضت بعض المقترحات الأخرى وهي أمور شائعة يعرفها الجميع.. حاولت أن تؤثر على بعض المسؤولين في أمريكا وتستخدمهم في تحقيق مآربها، ولكنها لم تتلقّ أيّ ردّ إيجابيّ حتى الآن من أيّ واحد من هؤلاء، وباءت محاولاتها كلها بالفشل.

فلو تأكد لدى القانون الدوليّ أننا ارتكبنا جريمة تستحق العقوبة، أو ثبت بالفعل تورُّطي أو المتعاطفين معي في هذه المحاولة الانقلابية، وظهرت أدلة ملموسة تؤكد هذا الأمر وصادقت القوانين الأمريكية على ذلك، فإنني سأقبل بالنتيجة مهما كانت.

وأريد أن أنبّه هنا على شيء آخر مهمّ وهو أنني -مثلا- قد أتعاطف مع بعض الأشخاص في أذربيجان، ولكن هذا لا يعني أنني أرضى بكل أفكارهم وتصرفاتهم.

ولقد بعثت تركيا مثل هذا الطلب من قبل بعد وقوع انقلاب الثامن والعشرين من فبراير (١٩٩٧م)، ورفع المدعي العام التركي "نوح مَته

يُوكْسَلْ (Nuh Mete Yüksel)" مذكرة ادعاء مكونة من (٣٠٠) صفحة إلى أمريكا، عندها أدليتُ بأقوالي أمام المدعي العام الأمريكيّ في "نيو جيرسي"، وبعدها تم إرسال الأقوال التي أدليت بها إلى تركيا، فبرأتني المحاكم في تركيا، وصدّق القضاء التركي على قرار البراءة.

والآن يروّجون الادعاءات السابقة نفسها من جديد، ويعيدون طرحها مرة أخرى، ولكنني لا أتصوّر أن أمريكا ستقع في هذا المزلق. ما رأيته من معاملة راقية للمدعي العام في "نيو جيرسي" وبعض المناطق الأخرى في أمريكا أكد لي مصداقية ونزاهة القضاء في أمريكا. يمكنكم أن تطلقوا ادعاءات مختلفة بحقّ شخصٍ ما، ولكن النظام القضائيّ والنظام الصحّيّ هنا في أمريكا يعملان وفقًا للقيم الإنسانية، ولقد تعاملت بنفسي مع كلا النظامين. ومن ثم لا أتصوّر أن قوة عملاقة مثل أمريكا ستقع في مثل هذا الخطإ الذي قد يؤدي إلى ضياع سمعتها على مستوى العالم، أستبعد ذلك تماما.

ولكن أؤكد مرة أخرى، إن قامت لجنة دولية بالتحقيق في هذا الأمر، وكانت نتيجة تحقيقاتها أنني ضالع في هذه المحاولة الانقلابية، وصادقت أمريكا على ذلك، فلن أنتظر لحظة واحدة، لن أنتظرهم لكي يرحّلونني إلى تركيا.. بل سأبادر بنفسي، سأركب الطائرة وأذهب إلى تركيا.

أنشدتُ في الصباح قصيدة للشاعر التركي "باقي" يقول فيها:

لن أنكّس رأسي من أجل دنيا دنيّة،
ولن أنحني أمام الظَّلَمة المتجبّرين،

الله حسبي وعليه توكلي إلى يوم الدين...

اقترح البعض عليّ سابقا أن أطلب الصفح من هؤلاء وأتقدم إليهم بالاعتذار. المجرمون هم من يعتذرون ويطلبون العفو والغفران، أي اللصوص، السارقون، الذين نشأوا في العشوائيات وخرجوا منها ونصّبوا أنفسهم سلاطين على الناس. إنني لا أملك من متاع الدنيا شيئًا، ولا أملك سوى هذه السترة التي تستر بدني، كنت أتعيّش على الدخل الذي يأتيني من مستحقات التأليف لكتبي، لكنهم عينوا أوصياء من أنصارهم على المؤسسات التي تنشر تلك الكتب، فصادروها قسرا، لذا أقول كما قال الشاعر العثماني "نفعي":

لم نذق شيئا من راحة الدنيا،
ولم نعقد آمالنا بأي واحد من أهلها،
ولم يكن لنا باب سوى باب الله،
هو ملاذنا وحصننا ومأوانا...

أجل، لو أثبتت لجنة تحقيق دولية أنني متورّط في هذا الأمر، فأنا على استعداد أن أركب طائرة على نفقتي الشخصية وأتوجه إلى تركيا فورا. وإن أصدروا قرارًا بإعدامي، فسأذهب إلى حبل المشنقة بنفسي دون أي تردد، لكنهم إن أعدموني في اليوم خمسين مرة ثم أحيوني فلن أعتذر إلى الظالم مطلقًا، سأقف غدًا بين يدي الله تعالى، ويسألني: لِم اعتذرتَ للظالمين؟ لذلك لا يمكنني أن أفعل ذلك. هذه قناعتي التي أومن بها بكل كياني ولا أتراجع عنها أبدا.

ثم إنني إن فعلت ذلك فسأكون قد انتهكت حقوق إخواني

وأصدقائي الذين نذروا أنفسهم لخدمة الإنسانية في كل أنحاء العالم، يريدون تأسيس عالم من المحبة والتعايش والسلام، فأنشؤوا مدارس في أكثر من ١٧٠ بلدًا، حتى أحبّهم الناس في كل هذه الدول، وخطوا خطوات حثيثة في سبيل تحقيق السلام في العالم.

إن الإدارة التركية تحاول منذ ثلاث أو خمس سنوات إغلاق هذه المؤسسات التعليمية، أغدقوا أموالا طائلة في سبيل ذلك يريدون شراء الناس بأموالهم. كما أنشؤوا مراكز "يونس أمره" (Yunus Emre)، فلم يستطيعوا تشغيلها كما ينبغي، فضلًا عن ذلك لم يأتوا ببدائل رغم أنهم أغدقوا أموالا كثيرة ووعدوا بإقامة مدارس بديلة في مقابل إغلاق مدارس الخدمة، ولما قيل لهم: "أنشئوا مدارسكم أوّلًا، وبعدها سنغلق ما عندنا"، لم ينبسوا ببنت شفة. "أذربيجان" مثال لذلك، فهل افتتحوا مدرسة أو جامعة هناك، وهل ساهموا في تطوير العلم والمعرفة، يمكنكم أن تروا الشيء نفسه في كل مكان.

إنهم يريدون إبادة هذه الحركة التعليمية الإنسانية في كل مكان عن طريق الخداع والتضليل، لماذا؟! لأنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا ما فعلته الخدمة. أحيانا يسوق الحسدُ والغيرةُ الإنسانَ إلى أن يرتكب جرائم تفوق الكفر وخيانة الوطن. وما الثروة والأبّهة والعظمة والسلطة والثراء إلا عوامل تسمِّم عقولَ الناس وتجعلهم يتصرّفون كالمجانين؛ ومن ثمّ فإنني أرى من الذل أن أحني رأسي أمام هؤلاء المجانين الظالمين الذين لا يرحمون أحدا. إن أحنيتُ رأسي لكان ذلك استخفافًا برجال الخدمة الذين ربطوا قلوبهم وآمالهم بها.

الخضوع لأمثال هؤلاء عار ومذلة يخجل المرء منها حينما يقف بين يدي الله تعالى يوم الحساب.

س: تعرض العديد من المنتسبين للخدمة في تركيا للهجوم والمضايقات، ويبدو أن هذا الأمر سيستمرّ بل وتزداد حدّته، فبمَ تنصحون هؤلاء؟ وكيف ينبغي أن يكون موقفهم من هذه الهجمات والمضايقات المتنوّعة؟

ج: أوَّلًا: إنني لا أعرف الكثيرين من هؤلاء الأصدقاء والمحبين فردا فردا، هؤلاء قد رأوا أن مشروعات الخدمة تصبّ في مصلحة الإنسانية فساهموا فيها. جاءني بعضهم، ربما واحد أو اثنين في المائة من هؤلاء وسألني: ما الذي يمكن أن أقوم به؟ هل أفتتح مركزًا لتعليم القرآن الكريم أم أبني مسجدا أم أفعل شيئا آخر مشابها؟ إن العالَم كله يعرف قناعتي في مثل هذه الحالات، كانت إجابتي دائما: "أنشئوا مؤسسات تعليمية، أسسوا مدارس، كل شيء مرتبط بالعلم والمعرفة، كما أن الجهل والفرقة والفقر يتصدَّرون قائمة المشاكل التي تهدد الإنسانية في كل أنحاء العالم، وإنَّ حلَّ هذه المشاكل كلها يكمن في التعليم، وإنَّ إزالة هذه المشاكل لن يكون إلا على أيدي أناس مستنيرين متعلمين. لذلك نعم، اهتمّوا بتأسيس مراكز لتعليم القرآن الكريم ومدارس الأئمة والخطباء، ولكن عليكم أن تعملوا في نفسِ الوقت على افتتاح مدارس علمية حديثة أخرى. إن فعلتم ذلك فأنا على يقين بأن مشكلة الجهل ستزولُ ولن يبقى لها وجود وستتصالح الإنسانية مع بعضها؛ لأن من يتعلمون تحت سقف واحد تتأسس روح الأخوة فيما بينهم وإن اختلفت ألوانهم وثقافاتهم ولغاتهم ودياناتهم".

كان هذا رأيي دائمًا، ومن ثم بدأ هؤلاء الأخيار الذين اقتنعوا بهذه الأفكار ينفتحون على كل العالم بداية من التسعينيات حتى يومنا هذا.

أما دوري في هذه الخدمات فكان منحصرا في الحثّ والتشجيع عليها من خلال كراسي الوعظ أو الندوات التي كنت أحاضر فيها أو المقالات التي كنت أكتبها في مجلات مختلفة. ومن ثمّ قام المتعاطفون مع فكرة الخدمة والمؤمنون بمشاريعها بإنجاز هذه الخدمات، حيث استوعبوا الأفق، وتأكدوا أن هذه الأعمال ستسهم في تحقيق السلام والمحبة الإنسانية واحتضان الناس بعضهم لبعض.

أنا لا أتصور أبدًا أن يتراجع هؤلاء الأخيار بأيّ حال من الأحوال عما شرعوا فيه من أعمال للإنسانية جمعاء.

ثانيًا: لقد شاهد الجميع على شاشات التلفاز تلك الهجمات الوحشية -سامحوني- التي قامت بها أجهزة الأمن والقضاء على بعض مؤسسات الخدمة ودور الحضانة ومنازل بعض أبناء الخدمة، ولكن هل لاحظتم أيَّ رد فعلٍ سلبيّ تجاه تلك التجاوزات من أيّ محبٍّ للخدمة أو متعاطفٍ معها أو ممن يعمل في مؤسساتها؟ أبدا، لم ينبس أحدٌ ببنت شفة، ولم يدخل مع رجال الأمن في مشاكسات أو مخالفات، فلو وقعت حادثة واحدة خلاف ذلك فأروني إياها!

ومن ثمّ لا يوجد ما أقوله لهؤلاء الأخيار، لأنهم يعرفون واجبهم جيّدًا. أعتقد أن هؤلاء الأخيار الذين آمنوا بالله حقا، وأنه سيحاسبهم يوم القيامة عما اقترفت أيديهم، واقتنعوا بأن هذه المشاريع صحيحة وتصبّ في خدمة الإنسانية.. محال أن يحيدوا عن طريقهم؛ كما أعتقدُ أنه من ضروب المستحيل أن يتورطوا في العنف أو أي حادث إرهابي.

س: سؤالي يتكون من جزئين. الجزء الأول: هل تقدمتم بطلب اللجوء إلى أمريكا؟ أو هل تفكرون في ذلك؟ الجزء الآخر: ما الجانب الذي يستفزّ أردوغان في شخصيتكم؟

ج: أوَّلًا: لم أتقدم بأيّ طلب للجوء إلى أمريكا، لكن بعد وصولي إلى هنا تقدمتُ بطلبٍ للحصول على "الكارت الأخضر" (Green Card)، ربما ترددتُ في القيام بهذا الأمر في البداية، لكنني استعنت فيما بعد بمحام ساعدني على استخراج هذا الكارت قبل (٧-٨) سنوات، والآن أنا أقيم في أمريكا بناء على هذا الكارت.

فضلًا عن ذلك فإنني أعتقد أنه لا حاجة لطلب اللجوء ما دمتُ أحمل هذا الكارت، ولم أفكر في التماس طرق أخرى تحول دون إعادتي إلى تركيا من قبل السلطات التركية، ولم يخطر هذا على بالي مطلقًا.

ثانيًا: أردوغان وأنصاره لم يتقبّلوا أو يستسيغوا أن ينجز أبناء الخدمة ما لم يستطيعوا هم إنجازه؛ لقد أنشؤوا بضعة مراكز في بعض الدول تحت اسم "مراكز يونس أمره"، لكنهم لم يفلحوا في إدارتها.

أما المحبون والمتعاطفون مع الخدمة فقد أنشؤوا مدارس فيما يزيد على مائة وسبعين دولة على مستوى العالم؛ في آسيا الوسطى، والشرق الأوسط، والشرق الأقصى، ونظموا العديد من المهرجانات الثقافية في العديد من دول العالم، وكانت تركيا بالطبع في المقدمة. فلما منعوا إقامة مثل هذه الاحتفاليات في تركيا منذ سنتين نُظمت فيما يزيد على عشرين دولة مختلفة من دول العالم. وفي هذه السنة اتسعت دائرة هذه المهرجانات لتشمل ثلاثين دولة.

لقد أقبلت الشعوب على هذه المهرجانات التي ذاع صيتُها بينهم،

وتعاطفوا معها. أما المسؤولون في الحكومة التركية فقد أحاطت بهم المشاكل من كل جهة حتى ضيقت عليهم عالمهم. وأعتقد أنهم ورّطوا أنفسهم في مأزق كبير من جرّاء ذلك، وما يعيشونه اليوم من تخبط إنما هو هذيان ناتج عن هذا المأزق.

س: قام رئيس الجمهورية رجب طيب أردوغان بممارسات شتى من شأنها زيادة قوته واتساع صلاحياته، وتعامَلَ في نفس الوقت مع حركة الخدمة من منطلق فكرة "مطاردة الساحرات"، فهل أنتم تؤمنون حقًّا بشرعية رئاسته للجمهورية التركية؟

ج: لستُ في وضع يخولني قولَ أيّ شيء في هذا الأمر على اعتبار أن مسألة الشرعية هي مسألة قانونية، غير أن السؤال الذي يفرض نفسه هنا: هل الممارسات التي قام بها تتوافق مع مقام رئاسة الجمهورية أم لا؟

يمكنني أن أقول بناءً على التجارب السابقة: لقد عاصرتُ عهد "عِصْمَتْ إِينُونُو بَاشَا"[١]، و"جَلَالْ بَايَارْ"[٢]، و"سليمان دَمِيريل"[٣]،

---

(١) "عصمت إينونو" (٢٤ سبتمبر ١٨٨٤ – ٢٥ ديسمبر ١٩٧٣م)، ثاني رؤساء الجمهورية التركية. تولى الرئاسة من ١١ نوفمبر (١٩٣٨م) إلى ٢٢ مارس (١٩٥٠م).

(٢) "جلال بايار": ١٦ مايو ١٨٨٣- ٢٢ أغسطس ١٩٨٦) سياسي تركي ورجل دولة كان الرئيس الثالث للجمهورية التركية ١٩٥٠ - ١٩٦٠. بدأ حياته السياسية نائبا في البرلمان العثماني عام ١٩١٩ ثم نائبا في البرلمان التركي عام ١٩٢٣، فوزيرا للاقتصاد ثم رئيسا للوزراء في عهد أتاتورك ثم في عهد عصمت إِينُونُو، وانتهت رئاسته للجمهورية بانقلاب عسكري عام (١٩٦٠م)، حاكمه الانقلابيون وحكموه بالاعدام ثم خفف الحكم الى السجن مدى الحياة، واطلق سراحه في عام (١٩٦٤) لظروفه الصحية.

(٣) سليمان دَمِيرَالْ (١٩٢٤ - ٢٠١٥م): هو سياسي تركي ورئيس تركيا التاسع من

وكان لي مع الأخير علاقة وصداقة، كما شهدت عهد "تورغوت أوزال"[(١)]، ورئيس الوزراء الأسبق "بولنت أجاويد"[(٢)]، وكانت لي مع الجميع علاقات إنسانية حميمة.

إلا أنني أرى في أردوغان إنسانًا له أطماع خفية، يريد أن يقيم عالَمًا خاصًّا به، يقوم بأعمال وتصرفات من شأنها أن تدعِّم بقاءه في رئاسة الجمهورية إلى الأبد.

لقد استغل أردوغان فضائح الفساد والرشاوى وسيناريو الانقلاب المزيّف للتضييق على رجال الخدمة والمحبين لها والمتعاطفين معها، وهذه أمور لا تتفق أبدًا مع مقام الرئاسة، ولا تسمح تربيتي وأخلاقي بأن أقول إن هذه الممارسات تؤكد أنه لا يليق مطلقًا برئاسة أمة كانت عنصرًا من عناصر التوازن الدولي وقتًا طويلًا.

س: في صبيحة هذا اليوم ١٧ يوليو/تموز (٢٠١٦م) تم القبض على ستة آلاف شخص واعتقالهم، فهل لديكم علم بذلك؟

(١٩٩٣م) إلى (٢٠٠٠م)، وقبل ذلك شغل منصب رئيس الوزراء لخمس مرات من سنة (١٩٦٥م) إلى (١٩٩٣م)، وكان زعيم "حزب العدالة" من سنة (١٩٦٤م) إلى (١٩٨٠م)، ورئيس "الحزب الديمقراطي" من (١٩٨٧م) إلى (١٩٩٣م).

(١) طُورْغُتْ أُوزَالْ (١٩٢٧ – ١٩٩٣م): سياسي تركي، هو الرئيس الثامن لتركيا حيث تولى رئاستها في التاسع من نوفمبر/تشرين الثاني (١٩٨٩م) حتى تاريخ وفاته في السابع عشر من أبريل/نيسان (١٩٩٣م)، وكان قبلها قد تولى رئاسة الوزراء بالفترة من الثالث عشر من ديسمبر/كانون الأول (١٩٨٣م) إلى الحادي والثلاثين من أكتوبر/تشرين الأول (١٩٨٩م).

(٢) "بُولَنْد أَجَوِيدْ (Bülent Ecevit)": (١٩٢٥ – ٢٠٠٦م) رئيس الوزراء التركي الراحل وهو توفي في الخامس من نوفمبر/تشرين الثاني (٢٠٠٦م).

ج: أخبرني الإخوة بذلك، لم يكن هذا مستغربًا، فقد أصدر أردوغان أمرًا بذلك من قبل، فقال: "اكسروا أبواب البيوت، واقبضوا على أصحابها، وائتوني بصور الأبواب المكسورة".

الواقع أنهم ابتدعوا منذ فترة شيئًا مخالفا لروح القانون للقبض على الناس ألا وهو "الاتهام الظنيّ"، أو الاعتقال بـ"التهمة الظنيّة"، وعلى هذا الأساس بدأوا بما يسمى بـ"مطاردة الساحرات" لملاحقة المشتبه بهم. اعترف بذلك أردوغان نفسه في بعض تصريحاته قبل سنتين. يُفهَم من ذلك أن لهذا الأمر توابع في المستقبل القريب.

إنني أرى أن هذه العملية ستطول وتؤذي يومًا ما كلَّ المقربين منه أيضًا، ولن يسلم منها إلا هؤلاء الذين بايعوه ووافقوه في كل شيء واعتبروا مجرد ملامسته عبادة(١).

هؤلاء الذين يصفقون له الآن إن لم يوافقوه في كل ما يفعل غدا، فلن يسلموا من هذه العاقبة أيضًا.

س: أريد أن أسئل سُؤالين. الأول: وقعت انقلاباتٌ شتّى في تركيا، منها انقلابات تقليدية ومنها انقلابات ناعمة مثل انقلاب "ما بعد الحداثة" في الثامن والعشرين من شباط/فبراير (١٩٩٧م)،

---

(١) يشير الأستاذ إلى هذا الحدث: صرّح عضو البرلمان التركيّ "حسين شاهين (Hüseyin Şahin)" النائب عن مدينة "بورصه (Bursa)"، التابع للحزب الحاكم "العدالة والتنمية" لبعض أعضاء حزبه في "أنقرة": "قد تقابل أصدقاؤنا مع السيد رئيس الوزراء (رجب طيب أردوغان) وجهًا لوجه، وناقشوه بعض المسائل وتصافحوا بالأيدي، وأنا أرى عن قناعة تامة أن ملامسة السيد رئيس الوزراء عبادة". انظر: (http://www.cnnturk.com/2011/turkiye/07/20/basbakana.dokunmak.bile.ibadettir/623516.0/index.html)

فماذا كان موقفكم وردُّ فعلِكم من هذه الانقلابات؟

والثاني: قُتل العديد من الأبرياء في محاولة الانقلاب الأخيرة، ورغم أنكم كنتم تعلنون عن موقفكم الرافض من العنف الذي تمارسه الجماعات الإرهابية مثل منظمة داعش، فإننا نراهم الآن يُقحمون اسمكم بين أسماء المتورطين في هذه المحاولة، فهل كان لهذا الأمر أثرٌ في زيادة مشاعر الاستياء والحزن لديكم؟

ج: عايشتُ كثيرًا من الانقلابات في تركيا، أما بداية عهد الجمهورية فلم أعاصره. بالتأكيد الدولة التركية في بداية تأسيس الجمهورية مارست ضغوطات كثيرة على الشعب بذريعة إحكام السيطرة على البلاد وترسيخ النظام وإكمال عملية الاستقلال.

وعندما وقع انقلاب السابع والعشرين من مايو عام (١٩٦٠م) كنت أبلغ من العمر ما بين عشرين إلى اثنين وعشرين عامًا، وعانيتُ حينها في مدينة "أَدِرْنَه" أصنافا من الضغوط والتضييق عليّ. منذ ذلك الوقت بدأت أتعوّد شيئًا فشيئًا على مثل هذا التضييق والضغوط، وفي انقلاب الثاني عشر من مارس (١٩٧١م) زجّوا بي في السجن، فلبثت في غياهب السجون العسكريّة ما بين ستة إلى سبعة أشهر، فشدّ هذا من عزيمتي، وعوّدني على ما هو أشدّ، ولما حدث انقلاب الثاني عشر من سبتمبر/أيلول (١٩٨٠م) فررت لمدة ست سنوات أتنقل من مكان إلى آخر داخل تركيا ولم يستقر بي مقام، حتى جاء عهد "تُورْغُوتْ أُوزَالْ" ورئاستِه للوزراء، فقبضوا عليّ، إلا أن "تورغوت أوزال" تدخّل في الأمر بكل قوته، وجمع مجلس الوزراء،

ثم تبيّن أن الملف فارغ من أي مضمون ومن أي أدلة ملموسة فأغلقت القضية، وتم إطلاق سراحي. لا داعي لأن أسرد عليكم أسباب اعتقالي ومقاضاتي، فقد كانت أسبابًا تافهة، مثل نشر القيم الإسلامية، والدعوة إلى الإسلام، ومحاولة جعل الشباب متديّنين، والحديث عن تجليات اسم الله القدوس، وما يحمله هذا الاسم من النزاهة والطهر والتقديس... إلخ.

أجل، لقد رفعتْ المعاناةُ في كل تلك الانقلابات من درجة مقاومتي، إلا أن الانقلاب الأخير (١٥ يوليو/تموز ٢٠١٦م) كان أشدَّها، وأكثرها تجاوزًا ووقاحة؛ حيث إنني لم أشهد عُشْرَ هذه الإساءة والوقاحة وقلة الحياء حتى عندما قبض عليّ العسكر قديمًا.. لم نتعرض أنا وأصدقائي من قبلُ لمثل هذه الصفاقة وقلة الحياء، إنما كانوا يُعاملوننا معاملة إنسانية، بل إن العسكر كانوا ينظرون إلى وجوهنا أحيانًا ويقولون: "لا يمكن لهذه الوجوه المشرقة أن تأتي بأي فعلٍ قبيح".

ولكن كما رأيتم منذ بضع سنوات عمومًا، وفي السنتين الأخيرتين خصوصًا، وبعد مسرحية الانقلاب هذه أخذوا يعاملونني معاملة السفاحين من أمثال "ماكسميليان روبسبيار (MaximilienRobespierre)"[1].

في الحقبة الأخيرة كانوا يتفنّنون في التضييق علينا وإثارة المتاعب حولنا وافتعال المشاكل معنا اعتمادًا على مبدإ "الاتهام الظنّي"، مثل قولهم: لِمَ تنظرون إلينا شزرًا هكذا؟ إن نبرة صوتكم تثير اشمئزازًا

---

[1] ماكسميليان روبسبير (١٧٥٨ – ١٧٩٤م): محام وزعيم سياسيّ فرنسيّ، أصبح أحد أهم الشخصيات المؤثرة في الثورة الفرنسية، والنصير الرئيسي لعهد الإرهاب، وهو من أشهر السفاحين على وجه الأرض، إذ قتل ستة آلاف شخص في ستة أسابيع فقط.

وحساسيةً لدينا... إلخ. ولكن كل هذه الانقلابات كانت -ولله الحمد- تأهيلًا من الله تعالى لنا، ولذا استطعنا أن نتحمل ونصبر.. هذا جانبٌ من المسألة.

أما الجانب الآخر فهو أننا إذا ما نظرنا إلى ما لحقَ بالرسل والأنبياء السابقين من أذًى وإيذاء من قِبَلِ قومهم سنجدُ أنهم وأتباعَهم قد تعرّضوا للإساءة نفسها من قبل المستبدّين في عصرهم.

إن إنجاز أيّ شيءٍ في شرق العالم وغربه من أجل خدمة الإنسانية وتوجيهها إلى السعادة الأبدية لَيُسبب إزعاجًا وقلقًا لدى هؤلاء المستبدين، لأنه لا يتفق مع أفكارهم ورُؤاهم.

إن جنون القوة والعظمة، وانعقادَ الآمال على الحياة المستقبلية، والحياة المرفهة، واختلال التوازن الناجم عن الانتقال من العشوائيات إلى القصور الفاخرة؛ كل هذا من شأنه أن يشكّل آثارًا سلبية لدى هؤلاء المستبدين.

من أجل ذلك ارتفعت حدّة التضييق اليوم وزادت جرعتها، ولكن نحمد لله الذي عوّدنا على تحمّل مثل هذا التضييق والأذى، والصبر على ما نحن فيه الآن. ليس من الصحيح أن أقول إنني لا أشعر بأيّ ألم، لكنني أقول بلسان أحد الشعراء:

كيف أملُّ من الجفاء؟ فهو نور عيني،

مع ذلك فالروح تحزن من الجفاء...

نحن بشر، خُلقنا من لحم وعظم، لدينا مشاعر وأحاسيس، وكرامة إنسانية وإسلامية، فلا يمكن لأحد أن يقول إنه لا يتأذّى إذا ما جُرحت كرامته. أصدقائي المقرّبون مني يعرفون مدى حزني وأسفي من مثل

هذه التجاوزات؛ إنهم يعرفون كيف أظلّ نصف ساعة أبكي أمام موت نحلة، وكم أكون سعيدا عندما أنقذ نملة وأعيدها إلى ميدان الحياة مرة أخرى، كم أكون سعيدا عندما أنقذ فراشة كانت تتخبط وتتلوى، وأراها ترفرف بحرية، أشعر كأنني أنقذت إنسانا من الموت.

هذا هو شعوري أمام أصغر المخلوقات، فكيف بقتل الناس، وتخريب الديار، وجرح الكرامة الإنسانية؟! لا يمكنكم أن تتصوروا مدى تأثُّري وحزني العميق أمام هذه المَشَاهد المؤلمة!

قبل بضعة سنين كنت أتابع الأخبار عبر التلفاز، فتعرفت من خلال التلفاز على أسماء بعض الجنرالات الذين اعتقلتهم هذه الإدارةُ المستبدّة في قضايا المطرقة وأرجينكون؛ الإدارة التركية الحالية ذاتها.. منهم "تَأُومَانْ باشا"، لم ألتق به شخصيا، ولكن عرفته من خلال أحد الأصدقاء، كان قائدًا عامًّا لشرطة الدرك، وكان يعمل من قبل مديرًا عامًّا للمدارس الحربية، لمّا شاهدته مقبوضًا عليه وهو في هذا السنّ والمقام لم أتمالك عبراتي.

والأصدقاء هنا يعرفون قدر تأثري وحزني لمّا ألقي القبض أيضًا على "إِلْكَر باشبوغ" -رئيس الأركان السابق- فهذا الرجل مهما كان فكره، سواء اتفقنا معه أو اختلفنا، لا تليق به مثل هذه المعاملة. هذه قناعتي، وهذا ما أشعر به إزاء الناس.

عندما شاهدت في التلفاز الأبرياء يُقتَلون، فقد كان ذلك فوق طاقتي. كيف أستطيع تحمُّل مشاهدة قتل هؤلاء الأبرياء، وتخريب بيوتهم، وتشريدهم!

لا تتجاوز مشاهدتي للتلفاز -في الفترات الأخيرة- أكثر من عشر دقائق، وبعدها أستسمح الأصدقاء في غلق التلفاز لعدم قدرتي على مشاهدة المزيد. من هنا يمكنكم أن تقيّموا إلى أيّ مدى بلغت حساسيتي جرّاء هذه الأحداث.

إنني لا أفكر في شخصِي وحالِي، ولو كنت أفكر هكذا لَمضيتُ إلى غرفتي مستغفرًا الله تعالى ومتوجهًا إليه قائلًا: ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير، إلا أن سحقَ وإبادةَ من أعرفهم أو من تربطهم بنا علاقة يُؤثّر في أعماق قلبي وكأنني أنا من يُفعل به ذلك.

إن الكلمات الجارحة التي يُخاطَب بها هؤلاء، والمعاملة السيئة التي يلاقونها تشبه الحربة التي انغرزت في أحشائي؛ ولكن كما قال الشاعر:

أستسلم لقضاء الله وقدره في السرّ والعلانيّة،

ولا أخضع للمنحطين من أجل دنيا دنيّة،

هذا ما أعلنتُه من قبل وأعلنه الآن مرة أخرى. لن نفزع ولن نتخلى عن قضيتنا، وأوصي جميع أصدقائنا بألا يفزعوا أو يتضجروا.. والله في عوننا جميعًا.

إنّ تحوُّلَ حكومة أردوغان إلى حكومة دكتاتورية، سيؤدي إلى استقطابٍ وشرخٍ مجتمعيّ وانقسامٍ بين المواطنين على امتداد الخطوط الطائفية والسياسية والدينية والعرقية، الشيءُ الذي سيوقد نارَ تعصُّب لا يخمد أوارها.

الحقيقة أنني كنت في يوم من الأيام من الداعمين لفكرة النظام الرئاسي، ولكن بشرط أن يكون على غرار النموذج الرئاسي الذي تطبقه أمريكا وفرنسا وبلدان أخرى حيث يمكن مراقبة الرئيس ومحاسبته. لكن النظام الرئاسي الذي يريده السيد أردوغان أقرب ما يكون إلى نظام الرجل الواحد الذي يمتلك جميع الصلاحيات من دون أي مراقبة أو محاسبة. بطبيعة الحال لا يمكنني أن أدعم نظاما فاشيا كهذا بقلب بارد.

حوار قناة CNN مع الأستاذ فتح الله كولن[١]

س: دعني أسألك عن الانقلاب، رئيس الوزراء التركي "بِنْ عَلي يِلْدِرِيمْ" يقول الآن بشكل رسميّ هناك صلات مباشرة بينك شخصيًّا وبين مخططي الانقلاب فما ردّك؟

ج: دعوت مرارًا وتكرارًا إلى إقامة لجنة دولية للتحقيق في هذه المسألة بشكل معمّق، وإذا ما اكتشفَت هذه اللجنة أنني قلت أيَّ شيءٍ لأحد شفهيًّا أو عبر اتصال هاتفيّ أو أنَّ عُشر التُّهم الموجهة بحقي صحيحة فسأحني عنقي وأقول: أنتم على حقّ، اقتصّوا مني واشنقوني إذا شئتم. ولكنني أقول بثقة: إنني لم أتحدث مع أحد حول الانقلاب ولم أتصل بأحدٍ ولم آمُر أحدًا بذلك.

ولكن في خلفية الأحداث، ربما يكون هناك بعض السُّذج الذين تعرضوا للخداع، قد يروّجون عنهم أنهم من المتعاطفين معي، أو يتظاهرون أنهم كذلك، أو أنهم وُعدوا بالحصول على مكافآت إن أدلوا ببيانات معينة.. هؤلاء لا أعرف عنهم شيئًا ولا يمكنني قولُ شيء عنهم، ولكن يمكنني القول: إن طرْدَ الآلاف من وظائفهم بعد يوم واحدٍ فقط على الأحداث لَيمثّل دليلًا واضحًا على القرارات

---

[١] تم بث هذه المقابلة في قناة سي إن إن العالمية يوم ٣١ يوليو ٢٠١٦، وقد أجرى المقابلة مع الأستاذ كولن المذيع الشهير فريد زكريا.

الاعتباطية التي اتخذتها السلطات، ويؤكد أنها كانت قد صنَّفَتْهم بشكل مسبَقٍ وحدَّدَت أسماءهم، وكانت تنتظرُ وقوعَ سيناريو مشابه لهذه العملية.. هذا ما يدلّنا عليه المنطقُ والتفكيرُ السليم.

س: ولكن رئيس الوزراء والمحيطين به وجّهوا تهمةً محدّدة لكم، وهي أن الانقلابيين قاموا عند اعتقال رئيس الأركان التركي بإعلامه بأنه سيكون على تواصلٍ مباشرٍ معكم، وأنكم ستقنعونه بدعم الانقلاب، فهل هذا صحيح؟ هل كان لديكم ما ستقولونه لرئيس الأركان وهل عرضتم فعلًا التحدث إليه؟

ج: أعوذُ بالله أن أكون قد تحدَّثْتُ إلى رئيس الأركان.. ربما من الأفضل توجيهُ السؤال إليه شخصيا: هل تحدَّثَ معي عبر الهاتف، هل أرسلتُ له رسالةً عبرَ أحد؟ هل حصل على أيِّ وثيقة مكتوبة أو موقّعة مني؟ أنا لا أعرفه عن كثب، ولكن بحسب ما أعرفه عنه فهو رجلٌ نزيهٌ ولا أظنُّ أنه سيقول غير الحقيقة.. لذلك أرى توجيه السؤال إليه، وأظن أنه بحالِ خَدَعَه أحدهم وقال له أشياء أخرى فيجب التحقيق في الأمر.

س: لكن برأيك مَن نظّم الانقلاب؟

ج: وفقًا لما ذهب إليه البعض، فإن القوى القومية المتطرّفة خططت للانقلاب ووضعت بعض المتديّنين في المقدمة من أجل تشويه صورتهم، على أمل أن يساعدهم ذلك في حشد التأييد الشعبي، هذا ما قاله البعض. وفي الواقع فلقد قال الرئيسُ بنفسِه: إن ما حصل كان أشبهَ بهبةٍ من الله ستسمح له بالقيام بما يريد وبكل سهولة.

س: هل تعتقد أن أردوغان نظّم بنفسه الانقلاب سرًّا؟

ج: أظن أن الأمر يحتاج إلى تحقيق.. لا أستطيع أن أحسم في ادعاء كهذا في حقه أو في حق أحد آخر جزافا من دون تحقيق، فأنا أعلم أنني سألقى الله وأن الله سيحاسبني على ما أقول. هذا موقفي حتى لو كنت أمام عدوّي الذي يريد أن يشرب من دمي.

س: ولكنك لا تنكر أن الكثير من الناس الذين تورطوا في الانقلاب متعاطفون معك ومع أفكارك؟

ج: كما قلت قبل قليل ربما يزعم بعضهم تعاطفهم معي أو يُروّجون عنهم هذا الزعم. إنني أؤكد أن هؤلاء خانوا الأمة، وأن أفكاري التي أحملها وأدعو إليها طوال حياتي مناقضة لما قاموا به. المبادئ التي سِرتُ عليها هي الأساس بالنسبة لي. أعلم يقينا أنه في أعقاب كل انقلاب يتأثّر الشعب سلبًا، ولذلك كنت دائمًا ضد الانقلابات، فقد أمضيتُ حياتي أعاني منها وأتعرض لضغوطات بسببها. ما من خير يتمخض عن الانقلابات، فهي تؤدي إلى تقسيم المجتمع وجعل الناس يعادون بعضهم. وإنّ مثل هذه الجرائم العدائية تترك آثارا سلبية على الأجيال المقبلة كذلك، كما يحدث في تركيا اليوم.

لذلك كنت دائمًا ضدّ الانقلابات، ألعنُها وألعنُ كل من يشارك في انقلاب ضدّ الديمقراطية والحرية والجمهورية.. هذا هو موقفي الصريح.

س: الحكومة التركية تتهمك بتأسيس دولة موازية وبناء شبكة من المدارس لغسل أدمغة الناس، وأن لديك أنصارًا داخل مؤسسات الدولة والقضاء والجيش، وأن ذلك يُشكل خطرًا على الدولة.. فما رأيك؟

ج: وصولُ المواطنين العاديين إلى وظائف في مؤسّسات وطنهم ودولتهم أمرٌ طبيعيّ، فهم جزءٌ من الأمة التركية ويرون أنفسهم جزءًا منها. هذا الوطن ينتمي إليه متعاطفون معي، كما ينتمي إليه مواطنون

متعاطفين مع آخرين كذلك، وهم كثيرون، كيف لي أن أعرف من يتعاطف معي؟ على العموم فأنا لا أعرف حتى كيف تعيَّنوا في مناصبهم، وكيف لي أن أعرف ذلك؟

س: لكن الاتهام الحكومي التركي لك بأن أنصارك بتوجيهات منك يحاولون زعزعة الحكومة التركية، هل ترفض هذه التهمة؟

ج: هذا الاتّهام غير منطقيّ، ولا يقوم على أي دليل. كما ذكرتُ لك فإن بعض المغرضين يزعمون أن بعض من يتظاهرون بالتعاطف معنا قاموا بقيادة آخرين في الجيش في هذه العملية. هذا الأمر يبدو أشبه بفيلم هوليوودي وليس بعمل انقلابيّ عسكريّ، يبدو الأمر وكأنه خطّة مدبّرة ويبدو مما رأيناه أنهم جهزوا الأرضية كي تستوعب ما سبق لهم التخطيطُ له. أنا أقول هذا الأمر بحذر شديد وأتجنّب القفز نحو الاستنتاجات أو الإدلاء بتصريحات جازمة، ولكن هذا ما يبدو الأمر عليه.

س: هل أنت مستعدّ للعودة إلى تركيا؟

ج: العودة إلى تركيا ستزيد من تعقيد الأمور وتجعلها مشكلة مستعصية على الحلّ. هم سيبذلون قصارى جهدهم في سبيل إعادتي، ولكن أؤكد مرة أخرى وأقول: إذا تمكنوا من إثبات عُشر التُّهم التي يوجّهونها ضدي فسوف أقبل كل ما يطلبونه تطوعا.

هل يستطيعون استعادتكم بالطرق القانونية؟!

ج: لا أظن ذلك. لكن كلّ ما يحصل سيكون بإرادة الله ومشيئته.

س: هل هناك رسالة تقولها للرئيس أردوغان؟

ج: أنا فقط أدعو له ألا يقابل الله بكل تلك الآثام التي اقترفها.

مقالات في سائل الإعلام العالمية

The New York Times

لا يمكن الحديث عن الديمقراطية دون الالتزام بحقوق الإنسان وضمان حرياته الأساسية، وفي مقدمتها سيادة القانون ومبدإ الفصل بين السلطات وحرية التعبير. ومن غير الممكن الحديث عن انتصارٍ للديمقرطية في تركيا من دون إحياء هذه القيم الأساسية مجدداً.

إننا ندفع ثمن الاستقلال والحرية. إنه ثمن باهظ في الحقيقة، لكنني لست نادما مطلقا، ولا أعتقد أن يكون أحد من أصدقائي وإخواني نادمين كذلك. ما يحزنني شيء وحيد، وهو أن وطني صار مسرحا للمآسي والآلام بسبب غياب رجال حقيقيين يكبحون جماح طموحات هؤلاء المستبدين.

أدين بشدة أيَّ تهديد للديمقراطية في تركيا[1]

لقد أدنت وبشدة محاولة الانقلاب الفاشلة التي حدثت في تركيا منتصف هذا الشهر، وأكدت أنه "يجب ألا يتم الوصول إلى الحكم والسلطة إلا عبر انتخابات حرة ونزيهة، وليس عبر القوة"، وإنني أدعو الله تعالى أن يحفظ تركيا، والمواطنين الأتراك، وكل من يتواجد حاليًّا في تركيا، وأرجوه سبحانه أن ينقضي ليلُ هذه الفترة العصيبة وينجلي بسرعة وبشكل سلمي.

وعلى الرغم من إدانتي الواضحة واحتجاجي الذي لا لبس فيه، والذي جاء على غرار التصريحات الصادرة عن أحزاب المعارضة الرئيسية الثلاثة، إلا أن الرئيس رجب طيب أردوغان، المتمادي في استبداده، اتهمني على الفور بتدبير الانقلاب، وطلب من الولايات المتحدة تسليمي إلى تركيا وطردي من منفاي الاختياري في بنسلفانيا، والذي أعيش فيه منذ (١٩٩٩م).

إن ما يزعمه السيد أردوغان يتعارض جليًّا مع المبادئ التي أومن بها، بل إنه يتخطى ذلك ويمكن وصفه بأنه زعم فادح وغير مسؤول.

إن فلسفتي لإسلام حاضن وتعدّدي يخدم الإنسانية جمعاء

---

[1] نشر هذا المقال للأستاذ فتح الله كولن في صحيفةنيورك تايمز الأمريكية بتاريخ ٢٦ يوليو/تموز يوليو ٢٠١٦م.

مع اختلاف عقائدها، تتناقض تمامًا والتمرُّدَ المسلح؛ فلأكثر من أربعين سنة، والمشاركون في الحركة التي "تُنسب لي"، والتي تسمى "الخدمة"[١] ، يُعرِبون ويُعبِّرون عن التزامهم وتشبثهم بمفهوم للحكم والسلطة يستمدّ شرعيته من إرادة الشعب، ويحترم حقوق جميع المواطنين بغض النظر عن وجهات نظرهم الدينية وانتماءاتهم السياسية أو أصولهم العرقية، وقد استثمر رجال الأعمال والمتطوعون الذين تُلهمهم قيم حركة "الخدمة"، في مجال التربية والتعليم الحديث، والعمل التطوعيّ وخدمة المجتمع في أكثر من ١٧٠ دولة حول العالَم.

وفي الوقت الذي تبحث فيه الديمقراطيات الغربية عن أصواتٍ إسلامية معتدلة؛ اتخذنا أنا وأصدقائي في حركة "الخدمة" موقفًا واضحًا ضدّ العنف المتطرّف، وذلك منذ هجمات "١١ سبتمبر" التي تبناها "تنظيم القاعدة"، إلى عمليات الإعدام الوحشية التي يقوم بها تنظيم داعش، وحتى عمليات الخطف التي تقوم بها جماعة "بوكو حرام".

ثم إنه، وبالإضافة إلى إدانتنا لجميع أنواع العنف المتطرف، بما في ذلك ما حصل خلال محاولة الانقلاب الفاشلة، فإننا نعيد تأكيد رفضنا واستنكارنا لاستقطاب وتجنيد الإرهابيين من ضمن المسلمين الشباب، وبالمقابل ندعم كل محاولة تسعى إلى رعاية وتطوير العقلية السلمية والتعددية لديهم.

لقد نددت طوال حياتي -سرًّا وعلانية- بالتدخّلات العسكرية

---

[١] الخدمة: اسم يُطلق على النهج الذي يتبناه فتح الله كولن ومحبوه في خدمة الإسلام والإنسانية. (المحرر)

في السياسة الداخلية.. والجميع يعلم أنني ومنذ عقود أدعو إلى الديمقراطية وأدافع عنها.. وبما أنني عانيت من ويلات أربعة انقلابات عسكرية خلال أربعة عقود في تركيا -إذ إنني تعرضْت للتعذيب والسجن غير المشروع من طرف الأنظمة العسكرية- فإنني لا أتمنى لإخواني المواطنين تحمُّل مثل هذه المحنة مرة أخرى.. ولو أن أيّ شخصٍ متعاطف مع "الخدمة" ثبتَ عليه أنه شاركَ في هذه المحاولة الانقلابية الفاشلة؛ فإنه سيكون قد خان مُثُلي التي أومن بها.

ومع ذلك، فاتهام السيد أردوغان لي ليس مستغربًا أو جديدًا، ليس بسبب ما يقوله عني، بل لما يكشف ذلك عن رغبته الممنهجة والخطيرة نحو تحقيق هدف حكم الرجل الواحد (الدكتاتورية).

وكما هو شأن العديد من المواطنين الأتراك، فقد أيّد المشاركون في حركة "الخدمة" جهود السيد أردوغان الأولى لجعلِ تركيا على المسار الديمقراطي، ودفعها إلى الاستجابة لمتطلبات العضوية في الاتحاد الأوروبي.. ولكننا لم نبق صامتين عندما حاد عن الديمقراطية إلى الاستبداد.. وحتى قبل عمليات التطهير الجديدة هذه، أمر السيد أردوغان في السنوات الأخيرة بشكل تعسفي بإغلاقِ الصحف، وطرد الآلاف من القضاة والمدعين العامين وضباط الشرطة والموظفين المدنيين من مناصبهم، واتخذ تدابير قاسية ضد الجماعات الكردية، وأعلن جليًّا أن أيًّا من منتقديه يُعتبر من أعداء الدولة.

لقد كانت حركة "الخدمة" على وجه الخصوص، هدفًا لغضبِ الرئيس.. ففي عام (٢٠١٣م)، اتّهم أردوغان المتعاطفين مع حركة "الخدمة" داخل البيروقراطية التركية بالمبادرة في إطلاق مسار للتحقيق

في عمليات الفساد التي تورط فيها أعضاء من حكومته ومقربين منه آخرين.. ونتيجة لذلك، تم طردُ عشرات من أعضاء السلطة القضائية وقوات الشرطة واعتقلوا لمجرد أدائهم لواجبهم الوظيفي.

وبعد أن تم انتخابه رئيسًا، عام (٢٠١٤م)، بعد أحد عشر سنة قضاها كرئيس للوزراء، والسيد أردوغان يسعى إلى تحويل تركيا من دولة ديمقراطية برلمانية إلى "رئاسة تنفيذية مطلقة" بشكل تامّ وبدون ضوابط أو مراقبات لسلطته.. ولذلك، فبيانُ السيد أردوغان وادعاؤه مؤخّرًا أن الانقلاب الفاشل كان "هدية من الله" شيء يُنذر بسوء.. وبما أنه يسعى لتطهير من يعتبرهم من المنشقّين داخل المؤسسات الحكومية -وقد طردوا زهاء سبعين ألف شخص حتى الآن- وبما أن حملته لا زالت مستمرة على مؤسسات حركة "الخدمة" التي تنشط في المجتمع المدني، فإنه يكون بذلك قد ضمن الخلاص من أيٍّ من العوائق المتبقية التي تحول بينه وبين وصوله إلى السلطة المطلقة.. وقد كشفت منظمة العفو الدولية تقارير موثوقة تثبت وجود عمليات التعذيب، بما في ذلك الاغتصاب، في مراكز الاحتجاز بتركيا.. ولذلك فلا غرابة في أن تعلّق حكومة السيد أردوغان العمل بالاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان، وتعلن حالة الطوارئ.

أما الآن فالرئيس التركي يبتز الولايات المتحدة بواسطة التهديد بوقف دعم بلاده للتحالف الدولي ضد "الداعش"، هدفه في ذلك: ضمان تسليمي إلى الحكومة التركية، على الرغم من عدم وجود أدلة ذات مصداقية، وغياب أيّ احتمال للمحاكمة العادلة.. إن هذا الابتزار الذي يمارسه أردوغان على الولايات المتحدة مقابل ما

يعرضه عليها من مغريات لهو شيءٌ مفهوم، لكن عليها أن تقاوم ذلك ولا تخضع له.

إن التطرف العنيف يتغذى على إحباطات أولئك الذين أجبروا على العيش في ظل حكام مستبدين، والذين لا يمكن مقاومتهم باحتجاجات سلمية وسياسيات ديمقراطية.. أما في تركيا، فتحوُّلُ حكومة أردوغان إلى حكومة دكتاتورية، سيؤدي إلى استقطابٍ وشرخٍ مجتمعيّ وانقسامٍ بين المواطنين على امتداد الخطوط الطائفيّة والسياسية والدينيةً والعرقية، الشيء الذي سيوقد نارَ تعصُّب لا يخمد أوارها.

لذلك فمن أجل الجهود العالمية الرامية لاستعادة السلام في الأوقات العصيبة، وكذلك للحفاظ على مستقبل الديمقراطية في الشرق الأوسط، يجب على الولايات المتحدة أن تتنبّه لألاعيب هذا الرئيس الأتوقراطي الذي يحاول استغلال محاولة الانقلاب الفاشلة كي يتخلص بشكل غير مباشر من "حكومة دستورية".

Le Monde

أدعو لأردوغان ألا يقابل الله بكل تلك الآثام التي اقترفها.

www.nesemat.com

مبدئيا لا نفكر في أن نغير من منهجنا ورؤانا. نحن آمنا بأن ما نفعله هو خدمة في صالح الإنسانية. ونؤمن أن ما نقوم به بالغ الأهمية سواء من أجل آخرتنا أو من أجل سعادة واستقرار العالم في المستقبل. ما تَعرّضنا له من مظالم قد تكون لطمات تنبيه من الحق تعالى إزاء هفواتنا. لذلك بالتأكيد سنراجع أنفسنا وأفكارنا وتصرفاتنا مرة أخرى، ونحاول بإذن الله أن نُعلِي من أدائنا ونستكمل ما تركناه ناقصا. أما التراجع عن الرؤية الأصل فلا نعرف بديلا سواها. هذا هو سبيلنا نسير عليه ولا نلتفت إلى شيء آخر.

مستعد للعودة إلى تركيا[1]

عاشت تركيا ليلة الخامس عشر من شهر تموز الفائت أفظع كارثة في تاريخها الحديث ونجت من الوقوع في هاوية مظلمة عقب محاولة الانقلاب. وإذا أردنا وصف ما شهدته تركيا في تلك الليلة، فمن الممكن أن نطلق عليه "الانقلاب الإرهابي" بكل ما تعنيه الكلمة من شدة وقسوة. وقد وقف الشعب التركي بكل أطيافه صفاً واحداً إلى جانب الديمقراطية ضد محاولة الانقلاب، إيماناً منه بأن زمن التدخلات العسكرية قد ولى دونما رجعة. وأنا بدوري أدنتُ الانقلاب بعبارات واضحة وبينة في وقتٍ كانت فيه الأحداث لا تزال ساخنة.

بعد عشرين دقيقة فقط من بدء محاولة الانقلاب الخائنة، وفي وقتٍ لم يتبين بعدُ حتى مَنْ يقفون وراءها، خرج السيد رجب طيب أردوغان ووجّه أصابع الاتهام إليّ. ولا شكّ في أن الإعلان بهذه السرعة عن المجرم قبل أن تظهر تفاصيلُ الحادثة، وقبل أن تتبلور هوية المنفذين لها ودوافعُهم، لهو أمر لافت وباعث على التفكير. ونظراً لأنني قد عانيتُ كثيراً من الانقلابات العسكرية خلال ٥٠ سنة

---

(١) تم نشر هذا المقال للأستاذ فتح الله كولن في صحيفة لوموند الفرنسية بتاريخ ١١ أغسطس ٢٠١٦.

الأخيرة، فإن المساعي الرامية إلى الربط بيني وبين هذه المحاولة تُعدّ إهانة وإساءة لي. لذلك أرفض هذه الاتهامات بصورة قطعية.

إنني أعيش بموجب إرادتي الذاتية حياة منزوية في قرية صغيرة بالولايات المتحدة الأمريكية منذ سبعة عشر عاماً. بناءً على ذلك، فإن الزعم بأنني قمت بإقناع ثامنِ أكبر جيشٍ في العالم، وعن بُعد ١٠,٠٠٠ كم بتنفيذ الانقلاب ضد حكومة بلدي ليس سوى افتراءٍ لا يمتّ إلى العقل بصلة. لذا لم يحظَ هذا الادعاء بالقبول لدى الرأي العام العالمي. مع ذلك، فإن كان بين أعضاء المجلس العسكري الانقلابي مَنْ يقدِّمون أنفسهم وكأنهم متعاطفون مع حركة الخدمة، فإنني أرى أن هؤلاء الجنود قد خانوا وحدة بلادهم وتضامن أبنائها، بانضمامهم إلى هذه المحاولة التي راح ضحيتها عشرات المواطنين، وداسوا على القيم التي دافعت عنها طوال حياتي، فضلاً عن تسبّبهم في تضرّر مئات الآلاف من الأبرياء.

على فرض المستحيل، إن كان هناك من تأثروا بالمزاج التدخّلي السائد لدى فئة عسكرية معينة داخل الجيش، وقدّموا الثقافة التدخلية على مبادئ الخدمة الديمقراطية، فإنه لا يمكن حمل أخطائهم على أبناء الحركة برمّتهم. وإنني أحيل أمر هؤلاء إلى الله سبحانه وتعالى.

ليس هناك أي إنسانٍ فوق القانون والحقوق، سواء كنتُ أنا أو شخصاً آخر. لذلك آمل أن ينال المسؤولون عن الانقلاب عقوبتهم التي يستحقونها، بعد خضوعهم لمحاكمة قانونية عادلة، بغضّ النظر عن الفئة أو الفريق الذي ينتمون إليه. غير أن احتمالية إجراء محاكمة عادلة ضعيفةٌ جداً، ذلك أن نظام القضاء في تركيا بات تحت الوصاية

السياسية منذ أوكتوبر / تشرين الأول ٢٠١٤. وبسبب هذه الحقيقة، طالبت مراراً وتكراراً بتشكيل لجنة دولية لتتولى التحقيق في هذا الأمر، وأعلنت أنني سأقبل عن طيب خاطر النتيجة التي ستتوصل إليها هذه اللجنة.

إن العاملين في حركة الخدمة لم يتورّط أحد منهم في أعمال عنفٍ طيلة تاريخها الممتد لنحو ٥٠ عاماً، ولم ينزلوا إلى الشوارع، ولم يتمردوا على قوات الأمن في السنوات الثلاث الأخيرة، رغم أنهم يتعرضون خلال هذه المدة لما وصفه أردوغان بصورة صريحة بـ"مطاردة الساحرات". بل إن هذه الحركة التي تئنّ ألماً منذ ثلاث سنوات تحت حملة خطاب الكراهية وظلمِ الدولة بشكل ممنهج، أصرّت على الدفاع عن نفسها والبحثِ عن حقوقها المهدرة في إطار القانون والحدود التي وضعتها القوانين فقط.

لقد استُنفرت جميعُ أجهزة الأمن والقضاء منذ ثلاث سنوات بصورة غير مسبوقة في تاريخ الجمهورية التركية من أجل كشف القناع عن "الدولة الموازية" التي يزعم المسؤولون بأنني من أقودها. ومع أن الحكومة وصفت تحقيقات الفساد في عام ٢٠١٣ بمحاولة انقلابية أيضاً دبرها المتعاطفون معي في السلك البيروقراطي، إلا أنها لم تعثر حتى اللحظة على دليل واحد يثبت تلك المزاعم، على الرغم من اعتقال أربعة آلاف شخص، وطردِ عشرات الآلاف من عمله ووظيفته، والاستيلاءِ على مئات الشركات والمؤسسات بشكل غير قانوني طيلة الفترة الماضية. غير أن رئيس الوزراء في تلك الفترة (أردوغان) كان يشبّه احتمالية لقائه معي بالنعمة الإلهية النازلة من

السماء في مايو / أيار ٢٠١٣، لكنه أخذ بعد بدء تحقيقات الفساد يستخدم ضد العاملين في هذه الحركة خطاب كراهيةٍ في ميادين اللقاءات الجماهيرية تَضَمّن عباراتٍ مهينةً، بدءاً من الحشاشين القتلة وانتهاءً بمصاصي دماء.

بعد المحاولة الانقلابية الغادرة في الخامس عشر من شهر تموز المنصرم، وصلت حملة الهجوم الشعواء هذه إلى حدٍّ لا يطاق. إذ تسعى الحكومة التركية إلى تصوير شخصي والمتعاطفين مع الخدمة كـ''فيروس وخلية سرطانية يجب التخلص منها'' بشكل ممنهج. ويقدَّم مئات الآلاف من الناس الذين دعموا بشكل أو آخر المؤسسات التربوية والجمعيات الخيرية التي شجّعت على تأسيسها هذه الحركةُ وكأنهم كياناتٌ غيرُ إنسانية. فيتمّ الاستيلاء على ممتلكاتهم، وتجميدُ حساباتهم في البنوك، ومنعُهم من المغادرة إلى خارج البلاد، عن طريق إلغاء جوازات سفرهم. أجل، يعيش مئات الآلاف من الأسر مأساة إنسانية مرعبة نتيجة حملة مطاردة الساحرات. لقد كتبت وسائل الإعلام أيضاً إبعادَ حوالي ٩٠ ألف إنسان من وظيفتهم، بينهم ٢١ ألف مدرس ألغيت تراخيص عملهم. حسناً، فهل تريد الحكومة أن يموت عوائل المُبْعَدين جوعاً بعد أن حرمتهم من مزاولة وظائفهم أو مغادرة بلدهم إلى بلد آخر. فما الفرق إذن بين هذه الممارسات وتلك المآسي الدرامية والمجازر الإنسانية التي شهدتها القارة الأوروبية في القرن الماضي.

لقد عشتُ كل الانقلابات العسكرية في تركيا وعانيت منها كثيراً، تماماً مثل جميع أفراد الشعب التركي. حيث دخلتُ السجن أثناء

الانقلاب الحادث في ١٢ مارس / آذار بقرار صادر عن المجلس العسكري. ثم عشتُ مطارَداً طيلة ستّ سنوات بعد صدور قرار باعتقالي أثناء انقلاب ١٢ أيلول / سبتمبر ١٩٨٠. وبعد الانقلاب الأبيض في ٢٨ شباط / فبراير ١٩٩٧، رُفعت ضدّي دعوى قضائية بتهمةِ "تشكيل منظمة إرهابية غير مسلّحة يتكون أعضاؤها من شخص واحد" مطالبةً بإنزال عقوبة الإعدام عليّ. كما أنه فُتحت في عهود القمع العسكري أيضاً ثلاث دعاوى ضدي بتهمة "الزعامة لمنظمة إرهابية". لكن المحكمة قضت بتبرئة ساحتي من كل هذه الاتهامات. نعم، كنت المستهدَف أمس من قبل الإدارات العسكرية القائمة على النهج السلطوي، أما اليوم فأتعرض للاتهامات ذاتها من طرف حكومة مدَنيّة استبدادية وبصورة أشدّ انتهاكاً للقانون من سابقاتها.

إنني أقمت في الماضي علاقات ودية مع قادة وزعماء يتبنون أفكاراً سياسية مختلفة من أمثال السيد طرغوت أوزال والسيد سليمان دميريل والسيد بولنت أجاويد، ودعمت مشاريعهم الصحيحة من صميم قلبي. ولقيتُ منهم احتراماً وتبجيلاً جراء مساهمات حركة الخدمة في التعليم والسلام المجتمعي. وعلى الرغم من أنني وضعت دوماً مسافة بيني وبين "الإسلام السياسي"، إلا أنني قدَّرت كذلك أردوغان وقادة حزب العدالة والتنمية بسبب الإصلاحات الديمقراطية التي نفّذوها في الفترة الأولى من حكمهم. لكني في جميع مراحل حياتي، كنت معارضاً للانقلابات العسكرية وتدخّل الجيش في الحياة السياسية. وحينما قلت قبل نحو ٢٢ عاماً "لا رجوع عن الديمقراطية" تعرضتُ وقتها لإساءات من قبل أنصار الإسلام

السياسي الذين يمثلون السلطة الحالية اليوم، وذلك لأنهم كانوا يعارضون حينئذٍ القيم الديمقراطية. إنني لا أزال اليوم، كما كنتُ أمس، أدافع عن القيم ذاتها وأقف إلى جانب تصريحاتي في هذا الصدد.

هناك حوالي ٧٠ كتاباً لي تتضمن مقالاتي التي كتبتها وما طرحته من آراء وأفكار في دروسي طيلة ٤٠ سنةً مضت، وهي اليوم متوفرة لمن أراد الاطلاع عليها. هذه الكتب لا تحتوي على أي عبارة، ولو قدر ذرة تسوّغ فكرة الانقلاب، بل على النقيض من ذلك، تركّز على القيم الإنسانية السامية التي تبني أرضيةً رصينة للديمقراطية.

لا مِراء في أن خلاص تركيا يكمن في ترسيخ الثقافة الديمقراطية وتبنّي رؤية في التدبير قائمةٍ على الكفاءة والجدارة، ولا يمكن لأي انقلاب عسكري أو إدارة مدنيّة استبدادية أن يكون حلاً لأي مشكل من مشاكلها.

لقد صدّق قسمٌ مهمّ من المواطنين في تركيا المزاعم التي تقدمني مسؤولاً عن انقلاب تموز بعد قصف عقولهم من قبل آلة الدعاية في ظلّ بلدٍ أُغلِقَت فيه كل الأجهزة الإعلامية المعارضة أو فُرضت عليها الوصاية. ولأن الرأي العام العالمي يتمكّن من النظر إلى الأحداث بنظرة محايدة، فهو يرى بوضوح أن أصحاب السلطة في تركيا يسعون لتقوية شوكتهم من خلال تنفيذ حملة مطاردة الساحرات. وبطبيعة الحال، فإن فكر الأغلبية في مثل هذه القضية ليس مهماً، بل المهمّ هو الحقائق التي ستتمخّض عن إجراء محاكمة عادلة. وبلا شكّ أنني وعشراتِ الآلاف من الأبرياء الذين يتعرضون لمثل هذا الاتهام الكبير نريد تبرئة ساحتنا وردَّ الاتهامات عن أنفسنا بعد

الخضوع لمحاكمة عادلة. إذ لا نريد إدامة حياتنا مع هذه التهمة التي ألصقت بنا.

إلا أنني والمتهمين من المتعاطفين مع حركة الخدمة حُرمنا وسُلبنا حقّ تبرئة ذمّتنا؛ نظراً لأن نظام القضاء بات للأسف تحت الرقابة السياسية منذ عام ٢٠١٤. لذلك أوجّه دعوة صريحة للحكومة التركية وأتعهّد بتعاون تامّ؛ أطالب بأن تتولى لجنة دولية التحقيق في قضية محاولة الانقلاب. وإنني في كامل الأهبة والاستعداد للعودة إلى تركيا وتقبُّلِ أشدِّ أنواع العقوبات إن ثبت لدى هذه اللجنة عُشر الاتهامات الموجهة إليّ.

إن المتطوعين في هذه الحركة يخضعون لمراقبة مئات الحكومات وأجهزةِ الاستخبارات والباحثين والناشطين التابعين لمنظمات المجتمع المدني المستقلة طيلة ٢٥ سنة، ولم يتّم العثور حتى اللحظة على أي نشاط غير قانوني. لذلك لم تأخذ كثيرٌ من بلدان العالم مزاعم الحكومة التركية حول الخدمة على محمل الجد.

إن أكبر خصلة تتميز بها حركة الخدمة هي أن المتطوعين فيها لا يسعون أبداً للاستيلاء على السلطة السياسية، بل يبحثون، بدلاً من ذلك، عن سبل الحلّ للمشاكل والمعضلات التي تهدِّد مستقبل المجتمعات، والتي تتطلب جهوداً دائبة طويلة النفس. إن الخدمة كرّست كل جهودها لتربيةِ وإخراج أجيالٍ متعلمة ومثقفة ومفتوحة للحوار تتمكّن من المساهمة الفعّالة في المجتمع الذي تعيش فيه، وذلك في وقتٍ تُذكَر فيه الجغرافيا الإسلامية جنباً إلى جنب مع الإرهاب والدم والتخلّف. ولأنني أرى الجهل والتفرقة والفقر أكبر

مشاكل هذه الجغرافيا، نصحت دوماً مَنْ يتابعني بـ"تأسيس مدارس بدلاً من المساجد ودور التحفيظ".

من المعلوم أن المشاركين في حركة الخدمة لا يقدمون خدمات تعليمية وصحية ومساعدات إنسانية في تركيا فقط، وإنما يقدمونها في ١٦٠ دولة، بدءاً من وسط أسيا وانتهاء بأفريقيا. وأكبر مزيةٍ لتلك الخدمات أنها لا تقتصر على المسلمين فحسب، بل تشمل الأسرة الإنسانية كافة، بغضّ النظر عن الفوارق الدينية والعرقية الإثنية والثقافية. فهي فتحت ثانويات خاصة بالفتيات في أصعب المناطق في باكستان، وواصلت رسالتها التعليمية في جمهورية أفريقيا الوسطى حتى في الفترة التي كانت تشهد حرباً أهلية. وفي الوقت الذي كان تنظيم "بوكو حرام" يحتجز فتيات بنيجريا، فتح المشاركون في الخدمة مدارس لتعليم البنات. ونصحتُ من يتقاسمون معي الرأي في فرنسا والعالم الذي ينطق باللغة الفرنسية بمكافحة المجموعات التي تتبنى الفهم الراديكالي للإسلام، وشجعتهم على دعم السلطات الرسمية في مكافحتها. ولقد أردت للمسلمين في هذه البلدان أن يقدموا قيمةً إضافية للمجتمعات التي يعيشون فيها، وأن يكونوا أفراداً أحراراً يُذكَرون بمساهماتهم الإيجابية، بدلاً من أن يُذكروا بالمشاكل. كما استنكرت مراراً تنظيماتٍ شوّهت صورة الإسلام الناصعة بعملياتها الإرهابية كالقاعدة وداعش.

للأسف انطلقت الحكومة التركية تشكو إلى حكومات العالم أناساً لم يكن لهم أي دور في الهجوم الإرهابي الدموي الحادث في شهر تموز المنصرم بل عارضوا كل أنواع العنف بشكل قاطع، كما

تشكو مدارسهم التي فتحوها في كل أنحاء العالم. وأنا بدوري أحثّ جميع حكومات العالم على أن لا تقيم أي وزن لهذه الادعاءات التي لا نصيب لها من الصحة بأي شكل من الأشكال، بل أدعوها لرفض هذه المطالب غير الواقعية.

إن المؤسسات التي أغلقتها الحكومة التركية بعد أن أعلنت حركة الخدمة تنظيماً إرهابياً بقرارٍ سياسي هي عبارة عن مدارس ومستشفيات وجمعياتٍ للإغاثة الإنسانية. كما أن عشرات الآلاف الذين أوقفتهم واعتقلتهم إنما هم معلمون أو رجال أعمال أو أطباء أو أكاديميون أو صحفيون. حسناً، فهل تم العثور على أي دليل يثبت دعم مئات الآلاف من هؤلاء الضحايا لمحاولة الانقلاب أو مشاركتهم في أي أعمال عنف؟

إن تخريب وإحراق مركز ثقافي في العاصمة الفرنسية باريس، واعتقال صحفيين دون مراعاة حالتهم الصحية المتدهورة، وإغلاق ٣٥ مستشفى وجمعية "كيمسا يوكمو" (هل من مغيث) للإغاثة الإنسانية، واحتجاز أفراد عائلات المطلوبين عند غيابهم، وممارسة الضغوطات على ١٥٠٠ أكاديمي.. لا يمكن تبرير هذه الإجراءات المجحفة وأمثالها من خلال الربط بينها وبين محاولة الانقلاب.

من الواضح أن السلطة الحاكمة تريد تصفية الدولة من جميع الناس الذين لم يبايعوها من جانبٍ، وترهيبَ سائر منظمات المجتمع المدني من جانب آخر، مع حرصها على تقديم هذه الحملات وكأنها تستهدف حركة الخدمة حصريًّا.

إن انتهاكات حقوق الإنسان، بما فيها التعذيب، والتي انعكست

في تقارير منظمة العفو الدولية أيضاً مرعبة تقشعر منها الأبدان. إنها مأساة إنسانية حقًّا.

لا شكّ أن فشل المحاولة الانقلابية في الخامس عشر من شهر تموز الفائت حدث تاريخي عظيم، حيث استطاع الشعب أن يحبط عملية غير ديمقراطية استهدفت الإطاحة بحكومة منتخبة. غير أن النجاح في إجهاض الانقلاب لا يكفي لإنجاح الديمقراطية. الديمقراطية الحقة ليست هيمنة أقليةٍ أو هيمنة أغلبيةٍ ترى من حقها سحْقَ الأقلية، ولا هي استبداد بيد منتخَبين. فلا يمكن الحديث عن الديمقراطية دون الالتزام بحقوق الإنسان وضمان حرياته الأساسية، وفي مقدمتها سيادة القانون ومبدإ الفصل بين السلطات وحرية التعبير. ومن غير الممكن الحديث عن انتصارٍ للديمقرطية في تركيا من دون إحياء هذه القيم الأساسية مجدداً.

The Washington Post

نحن لم ننطلق في هذا الطريق إلا لإيماننا بأن ما نفعله صحيح ومفيد للإنسانية، وكذلك موافق لمرضاة الله تعالى. حظي في هذا العمل هو أني شجّعتُ الناس على مثل هذه المشاريع في دروسي بالمساجد ومحاضراتي في منابر ثقافية مختلفة. أحسست بخطورة الأسلحة الفتاكة التي يخترعها الإنسان ليقضي على أخيه الإنسان، أفزعتني عواقب النزاعات المنتشرة بين أبناء الأسرة البشرية. رأيت أن الدواء الوحيد لكافة هذه الأمراض المزمنة هو التربية والتعليم، أي أن تبدأ الحلّ من النشء. لذلك شجعت على بناء مشاريع تربوية جيدة.

لا يوجد شيء اسمه "الكولنية". لا يصح نسبة مشاريع إنسانية حققها آلاف من الناس إلى شخص بعينه، بل أنا أعد نسبة هذه الإنجازات إلى شخص واحد شركا بالله. أنا لست معجبا بنفسي، ولست معجبا بالمعجبين بي. لو جاءني أحد وقال لي أنت أنجزت كذا، ونجحت في كذا، فإن ذلك أشقُّ عليّ من الشتم. لا سهم لي في كل هذه الإنجازات والمشاريع الناجحة. إنما هي جهود مخلصة لأناس لمسوا في الأفكار التي طرحتُها جانبا من المعقولية والنافعية فانطلقوا إلى تنفيذها. فالفضل يعود إليهم أولا وآخرا، وهو فضل من الله ومنة.

تركيا التي لم أعد أعرفها[1]

سيلتقي اليوم في البيت الأبيض رئيس الولايات المتحدة الأمريكية -البلد الذي أقيم فيه منذ ما يقرب من عشرين عاما- مع رئيس تركيا -موطني الأصلي الذي قدمت منه- ليناقشا معا عديدا من القضايا المشتركة بين البلدين، منها: سبل مكافحة تنظيم داعش الإرهابي، ومستقبل سوريا وأزمة اللاجئين.

إن تركيا التي كانت في يوم من الأيام بلدا واعدا بترسيخ ديمقراطية متكاملة وتقدير للتنوع الديني والثقافي، باتت غيرها اليوم تحت حكم رئيس يسعى بكل طاقته ليجمع كافة السلطات في يده، ويقمع جميع المعارضين الذين يحاولون إثناءه عن هذا السعي.

إن لقاء القمة الذي سيعقد بين الرئيسين في البيت الأبيض اليوم، وكذلك قمة الناتو التي ستعقد الأسبوع المقبل، ينبغي أن يكون على رأس أولوياتهما حثُّ تركيا على استعادة مسارها الديمقراطي، والكفُّ عن ممارساتها القمعية المنافية للقيم الديمقراطية ومواثيق حقوق الإنسان.

لقد ذهب ضحيةَ الحملة المنظمة التي قادها أردوغان عقب

---

[1] تم نشر هذا المقال للأستاذ فتح الله كولن في صحيفة واشنطن بوست، بتاريخ ١٥ مايو ٢٠١٧.

محاولة الانقلاب اللعينة في ١٥ يوليو من العام الماضي أكثرُ من ٣٠٠ ألف مواطن تركي، ينتمون إلى فئات مجتمعية مختلفة، أكراد وعلويين ويساريين وعلمانيين وصحفيين وأكاديميين وآخرين متعاطفين مع تيار الخدمة الإنساني السلمي الذي أرتبط به. لقد دُمرت حياةُ كل هؤلاء من خلال اعتقالات واحتجازات وإبعاد من العمل وممارسات مجحفة أخرى.

لقد أدنتُ محاولة الانقلاب بشدة منذ اللحظة الأولى، ورفضت كافة الاتهامات التي سعت إلى ربطها بي بلغة واضحة. كما بينت أن المتورطين في هذه المحاولة –أيا كان انتماؤهم- خائنون مناقضون للمبادئ والمثل والأهداف التي أحملها. ومع ذلك كله سارع أردوغان إلى اتهامي بترتيب هذا الانقلاب من على بعد ٥٠٠٠ ميل، دون أي دليل ملموس.

وفي اليوم التالي من محاولة الانقلاب أظهرت الحكومةُ قوائم مطولة، تضمنت آلافا من الناس الذين نسبوهم إلى حركة الخدمة بطريقة أو بأخرى، إما لأنهم فتحوا حسابات في بنك معين، أو عملوا معلمين في مدرسة ما، أو نشروا خبرا صحفيا في الجريدة الفلانية إلخ، وجعلوا من هذه الممارسات العادية التي يمارسها الناس في حياتهم كل يوم جريمةً يُعاقَب عليها، ومن ثم شنوا حملة واسعة لتدمير حياة هؤلاء. لقد تضمنت هذه القوائم التي أعدت سلفا أسماء لأناس توفوا قبل أشهر من المحاولة، وآخرين يعملون في مقر الناتو بأوروبا في تلك الأثناء. كما رصدت المنظمات الدولية عديدا من عمليات الاختطاف والتعذيب أثناء الاعتقال وحالات موت تحت

التعذيب. ثم سعى النظام التركي بكل جهده لتعقب الأبرياء المقيمين خارج تركيا ممارسا في ذلك كافة الضغوط، ومن ذلك تعرّضُ ثلاثة مواطنين أتراك مقيمين في ماليزيا للاعتقال، من بينهم مدير لمدرسة كان يعمل فيها منذ ١٥ عاما، ثم قامت السلطات الماليزية بتسليمهم إلى السلطات التركية. وليس من باب التنبؤ إذا قلنا إن هؤلاء سيتعرضون إلى السجن وأصناف شتى من التعذيب من قبل السلطات التركية بعد عملية التسليم هذه.

لقد صارت هيمنة رئيس الجمهورية كاملة على السلطات الثلاث للدولة، وذلك بعد إقرار التعديلات الدستورية المتعلقة بالنظام الرئاسي في استفتاء أبريل الماضي بفارق طفيف، وسط ادعاءات جدية حول انتهاكات للأصول المتعارف عليها. ورغم الهيمنة الفعلية على هذه السلطات الثلاث قبل إجراء التعديلات الرئاسية في الواقع عبر التصفيات التي تمت وأعمال الفساد التي مورست فإن شرعنة هذه الهيمنة دستوريا يثير القلق مستقبلا على مسار التحول الديمقراطي في البلاد ويقلقني شخصيا على مصير الشعب التركي في ظل هكذا عقلية.

لم تكن بداياتهم كذلك؛ لقد تسلم حزب العدالة والتنمية الحكومة عام ٢٠٠٢ بوعودٍ إصلاحية ديمقراطية تُمكّن تركيا من تحقيق هدف الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي. لكن مع مرور الوقت، نفد صبر أردوغان إزاء أي فكر معارض؛ فسهَّل استيلاء أنصاره على عديد من وسائل الإعلام مستغلا سلطات مؤسسات الدولة الرقابية، وفي صيف ٢٠١٣ قمع مظاهرات "كيزي بارك" بعنف، وفي شهر ديسمبر

من نفس العام، وبعد تورط بعض أعضاء حكومته في عملية كبرى للفساد والرشوة، تصدى لها بإخضاع القضاء والإعلام تماما لهيمنته. كما أن حالة الطوارئ التي أُعلن عنها لفترة "مؤقتة" بعد أحداث ١٥ يوليو من العام الماضي ما زالت قائمة حتى الآن.

إن الممارسات التسلطية التي يمارسها أردوغان ضد قطاع كبير من شعبه لم تعد أمرا محليا أو شأنا داخليا، فقد ظهر في تقارير منظمة العفو الدولية أن ثلث إجمالي الصحفيين المعتقلين في العالم موجودون في المعتقلات التركية. كما باتت الممارسات القمعية ضد المجتمع المدني والصحفيين والأكاديميين والمواطنين الأكراد تشكل تهديدا للاستقرار في البلاد على المدى البعيد، وبلغ الاستقطاب المجتمعي حدا يهدد وحدة البلاد ويمزق نسيجها الاجتماعي.

إن غياب الديمقراطية عن تركيا وتحولها إلى نظام ديكتاتوري سلطوي فاشي في الشرق الأوسط يحتضن المجموعات الإرهابية المتطرفة التي تعد العنف مشروعا، ويقوم في الوقت نفسه بممارسات قمعية غاشمة تبعث اليأس في قلوب مواطنيه الأكراد.. كل هذا يشكل بدوره كابوسا مرعبا على أمن الشرق الأوسط برمته.

إن الشعب التركي في حاجة إلى دعم حلفائه الأوروبيين والولايات المتحدة الأمريكية لاستعادة مساره الديمقراطي من جديد. لقد أطلقت تركيا انتخابات حقيقية ذات تعددية حزبية في عام ١٩٥٠ لكي تثبت استحقاقها للانضمام إلى حلف الناتو، وبالتالي يمكن لحلف الناتو أن يطالب تركيا أن تبقى مخلصة للمبادئ الديمقراطية التي تعتبر من مقتضيات اتفاقية العضوية، بل ينبغي أن يطالب بذلك.

وفي هذا الصدد تبدو الحاجة ملحة إلى المبادرة في موضوعين هامين لتحويل التراجع الديمقراطي الذي تعاني منه تركيا إلى مساره الصحيح:

أولا: ينبغي إعداد دستور مدني وسط أجواء ديمقراطية بمشاركة كافة طبقات المجتمع، يراعي جميع المبادئ الحقوقية والقيم الإنسانية، مستفيدا من كافة الدروس المستخلصة من النماذج الديمقراطية الناجحة في الغرب.

ثانيا: ينبغي تطوير مقررات تربوية ترسخ قيم التعدد والديمقراطية، وتشجع على التفكير التحليلي، وتربي الأجيال على أهمية الموازنة بين صلاحيات الدولة من جهة والحقوق الفردية من جهة أخرى، وأهمية فصل السلطات، والحرص على استقلالية القضاء وحرية الصحافة، والتنبيه إلى خطورة العنصرية المتطرفة وتسييس الدين وتقديس الدولة أو القائد الفرد.

ولكن قبل ذلك كله، ينبغي على الحكومة التركية أن تكفّ عن ممارساتها القمعية الحالية، وتتراجع عن انتهاكات حقوق مواطنيها، وتعوّض المتضررين منهم الذين تعرضوا لشتى أنواع الظلم.

أعتقد أن أيامي الباقية لن تكون كافية حتى أرى تركيا بلدا ديمقراطيا يشار إليه بالبنان على مستوى العالم، لكن أدعو الله تعالى أن ينقذ تركيا من دوامة الفاشية السلطوية التي باتت تتخبط فيها قبل أن يفوت الأوان.

POLITICO MAGAZINE

لقد راودتني أفكار العودة إلى الوطن مرات عديدة، وكادت هذه العواطف تغلبني نوعا ما، لكن الأوضاع في تركيا وازدياد حدة التوتر والانقسام المجتمعي، وبثّ روح الكراهية بين أفراد الشعب الواحد، كلها كانت عوامل تدمر حالة التوازن والانتظام التي ينبغي أن يكون عليها البلد. كما كنت أخشى أن تستغل عودتي في ظل هذا الوضع في إحداث نوع من العمليات الاستفزازية.

أعتقد أن أيامي الباقية لن تكون كافية حتى أرى تركيا بلدا ديمقراطيا يشار إليه بالبنان على مستوى العالم، لكن أدعو الله تعالى أن ينقذ تركيا من دوامة الفاشية السلطوية التي باتت تتخبط فيها قبل أن يفوت الأوان.

لكيلا يكون شبابنا فريسة للتنظيمات الإرهابية[1]

تبنّى تنظيم داعش الذي يطلق على نفسه (الدولة الإسلامية) الهجمات الإرهابية الدامية الأخيرة التي استهدفت مدينتي لندن ومانشستر، ومهما يكن المسمى الذي يطلقه هذا التنظيم على نفسه فالاسم الوحيد الذي يليق به هو "شبكة الإجرام التي تجاوزت حدود الإنسانية"، خاصة مع قيامه بعديد من عمليات إرهابية سابقة راح ضحيتها مدنيون أبرياء في مناطق مختلفة من العالم.

إن قطع شرايين الحياة لهذه الكارثة الإجرامية المسماة "داعش" يستوجب وقفة جادة من مسلمي العالم إلى جانب التدابير الأمنية والاستخباراتية ليَحُولوا دون حدوث مثل تلك العمليات في المستقبل. فهذا التنظيم الذي تَشكَّل في العراق من بقايا تنظيم القاعدة سوَّق لأكاذيبه التي يروّجها إلى جانب المجازر الدامية التي يرتكبها؛ فقد شوه وجه الإسلام الناصع المشرق بالتمسّح في اسمه، واستخدم الدين أداة لتحقيق أغراضه السياسية، زاعما أنه يرفع من قدره، وحاول أن يموّه على الضلال والانحراف الذي سقط فيه بملابس دعائية وشعارات يرددها وأعلام يرفعها، ولكن كل ذلك

---

[1] نشر هذا المقال للأستاذ فتح الله كولن في مجلة بوليتيكو الأمريكية بتاريخ ٨ يونيو ٢٠١٧.

لم يكن كافيا لإخفاء الخيانات التي يرتكبونها ضد الإسلام وروحه.

إن أهم عامل يستخدمه هذا التنظيم في الترويج لأفكاره هو خداع عقول الشباب وجرّهم إلى شباكه من خلال زعم إنشاء دولة إسلامية. وإن حرمان التنظيم من هذه الأرضية غاية ينبغي أن يساندها ويتحلق حولها جميعُ المسلمين في العالم. غير أن الإشكال معقد ومتعدد الأبعاد بحيث لا يمكن حله بالتدخل العسكري فحسب، فداعش وأمثالها من التنظيمات الإرهابية يلعبون على عواطف الشباب الذين يشعرون بالتهميش والإقصاء في مجتمعاتهم؛ يضعون أمامهم غايات ذات مظهر نبيل، ويشعرونهم بالانتماء فيحوّلونهم إلى انتحاريين لأيديولوجية شمولية سلطوية. ومن ثم بات من الضروري أن يتضمن الحل المعالِج لهذا الإشكال ذي الأبعاد الدينية والسياسية والسيكولوجية والاجتماعية والاقتصادية أوجهًا متعددة.

وأهم تلك الأوجه القضاء على أشكال التميز والتهميش والإقصاء الاجتماعي على مستوى الدول والمجتمعات، وذلك من خلال المنظمات الدولية التي ينبغي أن تقوم بتدخلات فعالة ضد الأنظمة التي تمارس انتهاكات وترتكب مظالم في حق شعوبها كما هو الحاصل في سوريا اليوم. وكذلك على الأنظمة الغربية أن تنهج في سياستها الخارجية نهجا أكثر أخلاقية ومصداقية وتماسكا. وبإمكان المسلمين أن يكونوا جزءا من هذه الجهود ذات النطاق الواسع، بل ينبغي أن يكونوا، إذ يقع عليهم مسؤوليات خاصة في هذا الموضوع بالتحديد.

نعم، علينا -نحن المسلمين- واجب مهم إزاء فيروس العنف والإرهاب، علينا أن نقوّي نظام المناعة لدى مجتمعاتنا وخصوصا شبابَنا. علينا أن نسأل أنفسنا كيف تحولت مجتمعاتنا إلى أرضية

خصبة للإرهابيين في استقطاب عناصر لهم؟ -بالتأكيد هناك عوامل خارجية ينبغي معالجتها لحل هذا الإشكال- لكن ينبغي أن نبدأ من مراجعة أنفسنا -نحن المسلمين- أولا، فمحاسبة النفس واجب ديني. كما أن هناك أدوارا ينبغي أن يقوم بها الآباء والأمهات والمدرسون والدعاة والعلماء وقادة الرأي كذلك.

إن إحدى الخطوات المهمة التي ينبغي القيام بها في هذا المجال هو هزيمة المتطرفين -الذين يرون العنف مشروعًا- في ساحة الفكر. فالتكتيك المشترك أو الخطيئة المشتركة التي تمارسها تنظيمات أنصار العنف هي اجتزاء نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من سياقها، وتأويلها بما يخدم أغراضهم الدموية التي حددوها مسبقا. إن المنظّرين لتلك التنظيمات يجتزئون مقطعا من سيرة النبي الأعظم (ص) أو الصحب الكرام (رض) فيستخدمونه وسيلة لتبرير وشرعنة جريمة قد خططوا لها من قبل.

ولكي يتم التصدي لمثل هذا العمل الخطير، ينبغي العمل على وضع منهاج تربوي يدرّب الأجيال على قراءة التراث الديني بنظرة كلية شاملة، ويعلمهم كيف يفهمون الروايات والنصوص الدينية وفق سياقها. ينبغي أن نعلِّم شبابنا كيف استطاع الرسول الكريم (ص) أن يحوِّل قومه من مجتمع بدائي همجي إلى مجتمع متشبّع بالقيم الأخلاقية التي يتشارك فيها جميع الأديان الإبراهيمية. ينبغي أن يستوعبوا روح القرآن الكريم وفلسفة السيرة النبوية حتى يتمكنوا من مجابهة تأويلات المتطرفين المضلِّلة الخادعة. وفي السياق نفسه يمكن للدول التي يعيش فيها مسلمون أن تُسهِم في حل هذا الإشكال من خلال توسيع الحريات الدينية وضمانها.

ومن المسائل الهامة التي ينبغي أن يتضمنها هذا المنهاج التربوي المتكامل، الإعلاءُ من قيمة الإنسان على أساس أنه آية من آيات الله تعالى. فقد خاطب الله عز وجل البشرية كافة دون تمييز بين معتقداتهم في آيات عديدة من القرآن الكريم، وشرّف الإنسانية جميعها حينما قال: (ولقد كرّمنا بني آدم) (الإسراء:٧٠)، كما أكد القرآن الكريم على أن قتل إنسان بريء جريمة تساوي قتل البشرية كلها (... من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا) (المائدة:٣٢). وحرم الرسول (ص) بشدة ممارسة العنف ضد الأفراد العزّل لا سيما النساء والأطفال ورجال الدين في حالات الحروب المشروعة ذات الأهداف الدفاعية. هذا فضلا عن أن جميع الحروب التي خاضها النبي (ص) كانت حروبا دفاعية حسبما أكد مؤرخون كبار من أمثال عبد الرحمن عزام وأنا أشاركهم في رأيهم هذا، ومن ثم فإن الاعتقاد بأن المرء يمكنه أن يدخل الجنة من خلال قتل الآخرين ضلال ليس بعده ضلال.

ومن الأخطاء الأخرى الفادحة التي يرتكبها هؤلاء المتطرفون الذي يلجئون إلى العنف، هو محاولة النقل الحرفي للأحكام الدينية التي تم تطبيقها في القرون الوسطى -حيث كان الاختلاف الديني يُستخدم أداة للصراعات السياسية- إلى القرن الواحد والعشرين. بينما الفرصة اليوم متاحة للمسلمين لكي يمارسوا أنشطتهم الدينية في البلدان الديمقراطية بكل حرية. إن العدالة الاجتماعية وسيادة القانون والمساواة واتخاذ القرارات بصورة جماعية وأمثالها من المبادئ الأساسية في الإسلام أكثر انسجاما مع نمط الحكومة التشاركية اليوم. وبالتالي يمكن للمسلمين أن يعيشوا في البلدان الديمقراطية كمواطنين يقدمون

إضافات إيجابية للبلد الذي يعيشون فيه، وهذا هو الحاصل اليوم.

ومن باب اتخاذ تدابير تفيد في المستقبل، ينبغي أن نلبي احتياجات شبابنا الاجتماعية من خلال حلول إيجابية، نوفر لهم فيها فضاءات مناسبة تستوعب طاقاتهم بصورة إيجابية بناءة. من الممكن أن نحفز الشباب لكي يتطوعوا على شكل مجموعات ويشاركوا في مشاريع إنسانية هامة، يساعدون فيها ضحايا الحروب والكوارث الإنسانية والطبيعية المختلفة. إن مشاريع إنسانية كهذه تساعد على تخفيف آلام المتضررين من ناحية، وتشعر المتطوعين الشباب بالأهمية والسعادة كونهم أصبحوا جزءا من مشروع إنساني حيوي. فالعمل المشترك في مشاريع إنسانية كهذه مع أفراد ينتمون إلى أديان أخرى سيتيح الفرصة للحوار المشترك ويعزز من إمكانية التفاهم ويبعث في القلوب مشاعر الاحترام المتبادل. بفضل هذا النوع من التواصل والعمل المشترك سيتمكن شبابنا من استيعاب حقيقة أنهم جزء من الأسرة الإنسانية الكبرى كذلك، وليسوا أعضاء في الفئة العقدية التي ينتمون إليها فحسب. وهكذا فإن جميع الفعاليات الإيجابية التي تقوم بها مجموعات مشتركة على هذا النحو، سوف تساعد الشباب على أن يؤسسوا لأنفسهم شخصيات سليمة وانتماءات إيجابية.

إن رجال مجموعة "الخدمة" الذين أفخر بأني واحد منهم، قد أسسوا انطلاقا من سبعينيات القرن الماضي أكثر من ألف مدرسة حديثة، وآلافًا من مراكز الدعم المدرسي والمراكز الشبابية، وعشرات الجامعات والمستشفيات والمنظمات الإغاثية، وهذه المؤسسات والحلقات التطوعية التي تشكلت حولها، استفادت من الشباب الموهوبين والشباب المتخصصين معلمين ومرشدين

تربويين ومدربين ومساعدين، فمكّنتهم من أن يحققوا لأنفسهم شخصيات سليمة متوازنة، وينمّوا لديهم شعورا بالانتماء الإيجابي، ويعيشوا من أجل أهداف إنسانية نبيلة.

وجدير بالذكر أن مجموعات التطرف لم تتمكن من أن تؤثر على الشباب الذين شاركوا في مشاريع "الخدمة"، ولم تستطع أن تورطهم في أي عمل من أعمال العنف والإرهاب قط. فهذه المؤسسات استطاعت أن تعلم شبابها عدة لغات أجنبية، ورتبت لهم رحلات ثقافية إلى بلدان مختلفة، الأمر الذي نمّى عندهم قابلية معرفة العالم وفهم الآخرين والتفكير المرن والقراءة التحليلية النقدية. إن أفضل طريق إلى تعزيز نظام المناعة لدى شبابنا إزاء الأفكار المنحرفة التي يحاول المتطرفون غرسها في عقولهم، أن نطلعهم -عبر برامج تربوية من جهة ومشاريع عملية من جهة أخرى- على طريق إيجابي بديل للسير فيه.

إن المسلمين يرددون كل يوم في صلواتهم ودعواتهم هذا الطلب مرارا: ﴿اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(الفاتحة:٦). وإن من أهم الشروط للثبات على الصراط المستقيم اليوم، أن نحاسب أنفسنا ونتساءل هل فهمنا المبادئ الأساسية لديننا حق الفهم يا ترى؟ كما ينبغي أن نراجع واقعنا للنظر إلى أي مدى استطعنا أن نطبق تلك المبادئ في حياتنا، وأن نعزز نظام المناعة لدى شبابنا إزاء الأفكار المناقضة لتلك المبادئ السامية.

على جميع أفراد الأسرة الإنسانية أن يتكاتفوا وينخرطوا ليكونوا جزءا من الجهود التي تبذل على مستوى العالم للكفاح ضد هذه التنظيمات الدموية التي ترتكب جرائمها تحت مسميات دينية، وذلك منعا للهجمات الوحشية التي حدثت في مدينتي لندن ومانشستر من أن تتكرر في مكان آخر مرة أخرى.

إلى دولة رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان
مقترحات لحل المسألة الكردية[1]

دولة الرئيس،

يؤكد كثيرون على أننا من الدول القلائل في الأمم المتحدة وحلف الناتو التي تمتلك قوات لها وزنُها، ولديها فرق عسكرية ذات قدرات واسعة وكفاءة قتالية عالية. وإذا أردنا أن نعبر عن حجم تلك القوة بأسلوب ساخر يمكننا أن نقول: من أراد أن يعرف سطوة تلك القوات والفرق العسكرية وما يمكن أن تفعله فلينظر إلى انقلاب ٢٧ مايو ١٩٦٠م. في ذلك التاريخ فرضت تلك القوات هيمنتها على الشعب التركي واحتجزت ما يقارب من ٣٠ مليون مواطن. لكن هذه القوات نفسها لم تستطع أن تحقق أي نتائج إيجابية مرجوة بالرغم من استخدامها كافة قدراتها في شرقي تركيا وجنوبي شرقي تركيا، وسيطرتها على الشوارع كافة. إن الإشكال أعمق بكثير من أن يُحَلَّ بمجرد استخدام القوة العسكرية. لقد تم إغفال اتخاذ خطوات حقيقية وتدابير ضرورية لحل هذه المشكلة منذ أمد بعيد، وذلك أمر مُشين ينبغي التخلص منه في أقرب وقت ممكن.

---

(١) نصّ الخطاب الذي أرسله الأستاذ فتح الله كولن إلى رئيس الوزراء (آنذاك) رجب طيب أردوغان في عام ٢٠٠٨.

إن اللجوء إلى حل المشاكل بطرق غير قانونية، يدفع الآخرين -في المقابل- إلى تشكيل تنظيمات غير قانونية كذلك، ومن ثم فلجوء الدولة أو أفراد يمثلون الدولة أو يُظهِرون أنفسهم كذلك أمام الرأي العام إلى طرح حلول للمشكلات خارج إطار القانون يتسبب في إحداث مشكلات أخرى أشدّ خطورة، ينتج عنها مضاعفات جسيمة يتعذر علاجها على المدى المنظور. للأسف الشديد، لقد سمعنا من يصرّح بأنه كُلِّف بقتل بعض الأفراد من أجل الحفاظ على مصلحة الدولة وتحقيق الأمن والاستقرار فيها.

إن الحل الأمثل لعلاج أي مشكلة والتصدي لحلها لا يكون بإزهاق الأرواح وهدم المنازل على أصحابها وإحراقهم فيها وإثارة الفوضى وإشعال الفتن وتأجيج الصراعات، إنما ينبغي التصدي لها بنور العقل والحكمة وتغليب جانب الرحمة على جانب الانتقام والتنكيل.

وإذا جاز لي أن أتقدم إلى دولتكم ببعض المقترحات التي تسهم في حل المسألة الكردية فاسمحوا لي أن أعرض بين أيديكم ما يأتي:

أولاً: "الإعمار"

يجب أن تتركز أولوية الحل على مسألة "إعمار المنطقة" بحيث تصبح مركز جذب -بكل ما تعنيه الكلمة- من خلال العمل على تنمية المنطقة وبذل جهود مخلصة في هذا السبيل؛ ينبغي بناؤها وإحياؤها بصورة متكاملة حتى تعود مركزًا هامًّا للحضارة والازدهار، وترتقي إلى مستوى من العمران يغبطها عليه الجميع، ويشعر سكان هذه المناطق بالرضى عن أوضاعهم والسعادة بتواجدهم فيها كما كان عليه الحال في التاريخ. (في فترة من الفترات مَنحت الدولة

لتلك المناطق بعض الامتيازات تحت مسمَّى "أماكن ذات أولوية في التنمية". ولكن كان ينبغي أن تكون خطوات الدولة في هذا الصدد أكثرَ جدية، بحيث لا تسمح بأنْ توزَّع الحوافز المالية والمناقصات الحكومية بين أنصار الحكومة، وألا تُستخدَم تلك المناطق وسيلة لإثراء البعض. ينبغي بذل كافة الجهود بجدية تامة وإخلاص كامل لتحقيق التنمية المستدامة وتحويل المدن الشرقية إلى حواضر زاهرة تهفو إليها القلوب ويشار إليها بالبنان).

ثانيًا: "التعليم"

ينبغي أن يُنظر إلى مسألة التعليم في المنطقة بشكل جدي. فإذا حُلّت مشكلة التعليم في هذه المناطق فسوف تحل تلقائيا مشاكل أخرى عديدة. كما يجب التركيز على نوعية المعلمين الذين يعيَّنون للتدريس في تلك المنطقة، عليهم أن يتلقوا تدريبًا خاصًّا يؤهلهم للتضحية حتى بأنفسهم من أجل تعليم إخوانهم هناك، ينبغي أن يذهبوا إليها دون أن يفكروا بالعودة إلى مدنهم، بل ينبغي أن يفكروا بأنهم ذهبوا ليموتوا هناك ويدفنوا هناك، تماما مثلما فعل نظراؤهم من المعلمين المتطوعين الذين انتشروا في كل أنحاء العالم اليوم ضاربين أروع الأمثلة في التضحية والعطاء[1]. معلمون أكفاء من هذا الطراز، يمتازون بروح الإيثار والبذل، ويحملون أهدافا سامية وغايات نبيلة، سوف ينشئون جيلا متوازنا سليما إذا توفرت لديهم المؤسسة التربوية المتكاملة. إن إرسال مدرسين مشحونين بهذه

---

(١) يشير الأستاذ إلى المعلّمين من أبناء الخدمة.

الروح -روح الإيثار والتضحية- إلى تلك المناطق سوف يبعث الحيوية والنشاط في المؤسسات التربوية هناك.

وسوف تكون شهادات طلاب هذه المدارس وخاصة صغار السن منهم عن معلميهم هؤلاء شديدة التأثير في نفوس ذويهم، وسيكون لها وقعها الإيجابي في تليين مشاعر الأهالي وبعث الثقة في نفوس أهل الشرق كافة إزاء أهل الغرب من البلاد. أجل، إذا ما عالجتم الموضوع من الأساس، فسوف تبعثون الحياة في المنطقة، إن لم يكن اليوم فغدا. أناشدكم وأتوسل إليكم، وأقبّل أيديكم، أن تسارعوا في هذا. فمن ضمن الآفات التي تتصدر قائمة المشاكل في هذه المناطق -بالإضافة إلى تردي مستوى التعليم- روحُ اليأس التي تشيع بين أهالي المنطقة ونظرتهم إلى المستقبل نظرة تشاؤمية بسبب فقدهم الإيمان بالعدالة وإقامة الحق على أراضيهم، واستبعادهم لحلول الأمن والسلام يوما ما في مناطقهم، ولا شك أن نشر التعليم من خلال زمرة مؤهلة سيسهم في تغيير هذا المناخ.

ثالثًا: "السماح باللغة الأم، الكردية"

لقد اقترح بديع الزمان سعيد النورسي مشروعًا بتأسيس جامعة باسم "مدرسة الزهراء" في مدينة وان شرقي تركيا من أيام المشروطية "الدستور" (١٩٠٨م). كما اقترح أن تُدَرَّس اللغات الثلاث، العربية والتركية والكردية جنبا إلى جنب في تلك الجامعة، على أساس أن يكون تدريس العربية فرضا والتركية واجبا والكردية جائزا. ما المانع –يا دولة الرئيس- من أن تتاح الفرصة لتعليم اللغة الكردية في المدارس؟ أود أن ألفت نظر دولتكم إلى أننا ندرِّس اللغة التركية

في مدارسنا التي فُتِحت خارج تركيا –حتى في أمريكا– كلغة اختيارية، ولا يعترض أحد على ذلك. أقترح أن تكون اللغة الكردية لغة اختيارية في مدارس تلك المنطقة. ليكن عندهم إذاعات وقنوات تلفزيونية كردية. ينبغي ألا ننسى أن التعليم باللغة الأم حق إنساني لا يصحّ أن يكون موضوعا لأي مساومة سياسية.

رابعًا: "الرعاية الصحية"

ينبغي الاهتمام بالرعاية الصحية وتوفير مؤسسات ومراكز صحية في هذه المناطق. لا يخفى على واسع علم دولتكم، أن تركيا لديها أعداد كبيرة من الأطباء العمومين، ومن ثم فلا حرج في إرسال معظم هؤلاء الأطباء إلى تلك المناطق. كما أن طبيعة مهنة الطب تقوي من عملية التواصل بين الأطباء والمرضى من خلال زيارة الأهالي في منازلهم، والاهتمام بهم ورعايتهم رعاية خاصة. فلو أمكن تخصيص طبيب ممارس عام أو مأمور صحي لثلاث أو أربع قرى إن لم يكن هناك إمكانية لتخصيص طبيب واحد لكل قرية. وحبذا لو قدم هؤلاء الأطباء خدمات طبية في المصحات الحكومية، وألقوا دروسا ومحاضرات –كذلك– في المدارس حول الطب الوقائي للرفع من مستوى الوعي الصحي والحيلولة دون حدوث بيئات قابلة لأمراض شتى. ولا شك أن اختلاط الأطباء بالعائلات من خلال الممارسة المهنية من جهة، وعن طريق الأطفال الذين يدرّسونهم من جهة أخرى، سيسهم في غرس أفكار وآمال ورؤى إيجابية في نفوس أهالي تلك المناطق.

خامسًا: "تغيير الصورة النمطية للجيش"

إن تعيين جنود وضباط من القوات المسلحة يحسنون التواصل مع أهالي المنطقة والاندماج معهم يعمل على إزالة الصورة النمطية الخاطئة التي تشكلت في أذهان الشعب عن الجيش التركي عبر عقود؛ فالجيش في الذهنية الشعبية هو مدبر الانقلابات على الديمقراطية دائما، وهو الذي يمارس أصنافا من الاضطهاد والقمع، ومن ثم، فإرسال نوعية مدربة من الضباط إلى هذه المناطق يمكنها محو آثار صدمة انقلابات كل من ٢٧ مايو ١٩٦٠م، و١٢ مارس ١٩٧١م، و١٢ سبتمبر ١٩٨٠م، و٢٨ فبراير ١٩٩٧م من ذاكرة ذلك المجتمع أمر في غاية الأهمية.

سادسًا: "الاستقرار الأمني بلا عنف"

لا أشكُّ في أن هناك ضباطًا شرطيين شرفاء مستعدين للذهاب إلى تلك المناطق بكل شوق. أناشدكم أن تنتقوا ضباطًا من هذه النوعية يتسمون بشخصية قوية، ويقدسون واجبهم الوظيفي، ويتحلّون بمشاعر البذل والعطاء، ولديهم الحماسة لبث الأمن والطمأنينة في قلوب الناس. ليذهبوا وليكونوا نماذج حقيقية للأمن الحقيقي، ليلعبوا كرة القدم مع الأطفال إن أمكن، ليقدموا لهم هدايا، ليقيموا علاقات وطيدة مع الشباب. بالتأكيد سيكون لدى بعض هؤلاء الأطفال والشباب "فوبيا" من عناصر الشرطة نتيجة التجارب السابقة المؤلمة التي تعرضوا لها. وبالتالي يمكن أن يتعافى هؤلاء من هذه الفوبيا من خلال هذه النوعية المؤهلة من عناصر الأمن، فتَلقّي أحد هؤلاء الأطفال هدية أو ملابس جديدة من أخيه الشرطي أو شقيقه العسكري ستجعله لا ينظر إلى دولته بعين سيئة

من ناحية، وتقيه شر الانخداع بعصابات المافيا والإرهاب المحرّضة على الجيش والشرطة من ناحية أخرى. أناشدكم –دولة الرئيس– أن تولوا هذا الموضوع عناية خاصة وتهتموا باختيار نوعية كهذه من الضباط والجنود يحسنون التواصل مع الأهالي، يزورونهم في منازلهم واحدا واحدا، ويستمعون إلى مشاكلهم، وينفذون إلى قلوبهم ليسدّوا جميع الثغرات الأمنية، ويحولوا دون أسباب الفساد والفتنة التي تزعزع سكينتهم.

سابعًا: "تحسين السلك الإداري"

إن عملية انتقاء واختيار كوادر السلك الإداري من محافظين وولاة، ومساعدي ولاة وآخرين لا تقل أهمية عن العناصر سالفة الذكر، ولذلك ينبغي أن يتم انتقاء النخبة الإدارية بعناية خاصة من بين الكفاءات التي تحمل أهدافا نبيلة، وتسيطر على أنانيّتها، وتقدم حياة الآخرين على حياتها وسعادتهم على سعادتها؛ همُّهم الأول تقديم خدمة المواطنين على مصالحهم الشخصية ويتسمون بالصبر والتواضع وحسن المعاملة. على الدولة أن تحضّهم على الاختلاط بالشعب في أسواقهم ومنازلهم ودور عباداتهم ومستشفياتهم ومراكزهم الصحية ومقراتهم الأمنية وثكناتهم العسكرية وهيئاتهم الإدارية.

ثامنًا: "انتقاء كوادر دينية محلية مدربة"

ينبغي أن يوظَّف رجال دين يتقنون لغة أهل المنطقة، ويعرفون طبيعة الشعب الكردي بكل تفاصيلها، يجيدون تحليل سكان المنطقة وقراءتهم قراءة صحيحة بتفاعل عاطفي جاد، ويتعاملون معهم عن معرفة ودراية.

تاسعًا: "توفير الدعم المعنوي والتثقيفي والأمني للوجهاء الدينيين في المنطقة"

في شرقي تركيا للقيادات الدينية من مشايخ وعلماء ووجهاء دينيين مكانة كبيرة –كما لا يخفى على دولتكم–، وشرق تركيا زاخر بهذه القيادات. فلو أقيمت دورات تثقيفية لهؤلاء الأفاضل تشتمل على رؤية الحكومة هذه، وتم توفير كافة التدابير الأمنية اللازمة لهم وحثُّهم على رفع معنويات الأهالي لأسهَم ذلك في رفع الوعي في هذه المناطق، ولو أضيف إلى ذلك توظيف الدعاة الشباب الذين تَربّوا على أيدي هؤلاء العلماء أئمة وخطباء في مساجد مختلفة من شرقي تركيا لعمَّت الطمأنينة كافة الأرجاء، كما يمكن أن يُوَفَّر لهم خبراء متخصصون يعرفون اللغة الكردية يدرّبونهم على تنمية بعض المهارات، ويقدمون لهم المشورة فيما يقومون به من أعمال.

عاشرًا: "عدم الاقتصار على الحلول الأمنية وإفساح المجال لمؤسسات وهيئات المجتمع المدني إلى جانب الحكومة"

وأخيرا، ينبغي ألا يُعالَج الإشكال من خلال تدابير سياسية وعسكرية وإدارية فحسب، وألا تُترَكَ المهمةُ للمسؤولين الحكوميين فقط، بل ينبغي إفساح المجال لمؤسسات المجتمع المدني، وأن تَبذُلَ كافةُ شرائح المجتمع أقصى ما في وسعها من أجل تعزيز وحدتنا الوطنية. علينا أن نؤسِّس جسور محبة فيما بيننا على الدوام، وأن نعلن الحربَ على صفة العداوة نفسها، وأن نبتعد عن كافة أسباب الفُرقة والنزاع والشقاق.

وتفضلوا دولتكم بقبول فائق تقديري واحترامي.

فتح الله كولن

بعض البيانات الصحفية

ملحوظة للسادة القراء:

لقد أعلن الأستاذ فتح الله كولن عن مواقفه إزاء أحداث كثيرة في الفترة ما بين شهر يوليو ٢٠١٦ عقب محاولة الانقلاب في تركيا إلى يوليو ٢٠١٧، بدءا من انتهاكات حقوق الإنسان خلال هذه الفترة في تركيا، ومرورا بالمآسي التي تعاني منها البلدان الإسلامية في سوريا والعراق واليمن وليبيا ومصر وفلسطين من عنف وحرب ودمار وتشريد وإرهاب، ووصولا إلى أعمال إرهابية حدثت في مناطق مختلفة من العالم مثل أمريكا وروسيا وبريطانيا وألمانيا وبلجيكا ومصر وتركيا وبلدان أخرى. ولم تفته مأساة إنسانية إلا عبر عن تعاطفه معها أينما وقعت في العالم. وقد أعرب الأستاذ كولن عن مواقفه تلك من خلال مقالات كتبها في بعض الصحف والمجلات العالمية، أو بيانات إعلامية نشرها، أو حوارات أجراها مع قنوات تلفزيونية ومجلات وجرائد مختلفة، أو من خلال دروسه ومحاضراته التي تبثها بعض مواقع الإنترنت أو صفحاته الخاصة على شبكات التواصل الاجتماعية. وقد اخترنا في هذا الفصل بعض البيانات الصحفية التي نشرت في هذه الفترة على سبيل المثال لا الحصر. (المحرر)

بيان حول إشاعات محاولة انقلاب جديدة في تركيا[1]

نشر الأستاذ فتح الله كولن بيانا للرأي العام نفى فيه كل المزاعم التي تُروّج لها السلطة الحاكمة في تركيا عبر وسائل الإعلام الموالية لها حول التحضير لمحاولة انقلاب جديدة بإيعاز من حركة الخدمة، كما جدد نفيه أي علاقة له بمحاولة الانقلاب الفاشلة التي جرت أحداثها منتصف شهر يوليو ٢٠١٦.

وفيما يلي ترجمة البيان الذي نشره الأستاذ كولن حول إشاعات التحضير لانقلاب جديد في تركيا بإيعاز من حركة الخدمة:

إنني بصفتي أحد ضحايا الانقلابات التي وقعت في فترات مختلفة من تاريخ الجمهورية التركية، أعتقد جازما بأن الديمقراطية لا تتحقق بالانقلابات ولا تتم حمايتها بوسيلتها أبداً. وكما ذكرتُ مسبقا، فإنني والمتعاطفين معي من حركة الخدمة نؤكد على مشروعية من وصل إلى السلطة عبر انتخابات نزيهة، ومن ثم نرفض رفضا باتا كل طريق أو وسيلة غير ديمقراطية تطيح بهؤلاء المنتخَبين من مناصبهم. وهذه القناعة لا يمكن أن يزحزحها عن مكانها ما نتعرض له الآن من ممارسات عنيفة وانتهاكات قاسية لا تتفق مع المعايير الدولية للحقوق الإنسانية العالمية.

---

[1] بتاريخ ٥ أكتوبر ٢٠١٦.

إنني أستنكر بكل شدةٍ الانقلابات وأي محاولات انقلابية، بل أستنكر فكرة الانقلاب جملةً وتفصيلاً، ولقد عبّرت في مناسبات عديدة عن رفضي لكل من يحمل أو يتبنى آراء وأقوالا أو ممارسات تدعم ذلك حتى ولو كان من أفراد الخدمة.

إنه لمن المستهجن ذلك الإصرارُ العجيب من قبل النظام التركي الحالي على تقديم شخصي باعتباره العقل المدبر للمحاولة الانقلابية الدنيئة التي تمت منتصف يوليو/تموز الماضي (٢٠١٦)، وتصويري على أنني المهندس المخطط لها، رغم تصريحي العلني المتكرر بإدانتها، وإدانة من قاموا بها، ونفي أي علاقة أو دور لي فيها، أو بمن قاموا بها في أي مرحلة من مراحلها.

لا يمكن لأحد ممن تَشرَّب فكر الخدمة وآمن برؤيتها في نشر المحبة والسلام وروح التعايش في شتى بقاع الأرض أن يكون متورطا في مثل هذه الأعمال الخائنة. إن هؤلاء الذين يزعمونهم أنهم مقرَّبون لي وينسبون إليهم الاضطلاع بدور في هذه المحاولة لا يمكن أن يكونوا من أبناء الخدمة، فأبناء الخدمة لا يقومون بأي عمل يخدم البؤر والدوائر التي تسعى جاهدة لاختلاق أدنى صلة للخدمة بالإرهاب تارة والمحاولات الانقلابية تارة أخرى.

لقد دعوتُ بعد كل هذه الاتهامات المختلَقة التي لا يسندها دليل ولا واقع عقب هذه المحاولة الانقلابية الخائنة مباشرة إلى تشكيل لجنة تحقيق دولية تنزع القناع عن المتورطين الحقيقيين في هذه المحاولة، وأعلنت قبولي ورضائي بكل ما يتم التوصل إليه. لكن هذه الدعوة لم تجد لها آذانا مصغية حتى الآن، ولم تتخذ السلطات

التركية حيالها أي إجراءات، واستمرت في تجاهلها، وواصلت حملاتها القمعية الغاشمة ضد متطوعي الخدمة بذريعة الانقلاب ودون أي دليل يثبت دعاويهم تلك.

ولا شك أن إصرار القيادة التركية على هذه الممارسات، وتجنّبها إجراء تحقيقات نزيهة في هذا الموضوع، والتصريح بأنه لا داعي للتحقيق اعتمادا على الاعترافات المنتزعة من أصحابها تحت وطأة التعذيب أمر يعزز من الشكوك والشبهات التي تدور حول رغبة الحكومة في التغطية على الفاعلين الحقيقيين. وإن مسارعتهم إلى اتهام حركة الخدمة منذ الساعات الأولى لهذه الأحداث -وهم الذين نفوا أي علم مسبق لهم بها إلى وقت نزول الدبابات إلى الشوارع- ليعدّ خير دليل على تأكيد رغبتهم تلك.

لقد بات واضحا أن هذه موجة عاتية أخرى من الموجات التي بدأت حلقاتها من قِبَل النظام في تركيا منذ سنوات لاغتيال الشخصية المعنوية للخدمة، من خلال عقد صلة بينها وبين العنف والإرهاب قديما، ثم الزعم بأنها وراء هذه المحاولة الانقلابية الغادرة حديثا.

لقد باءتْ كل هذه المحاولات بالفشل، فلقد نجح أبناء الخدمة بصمودهم وثباتهم، والتزامهم الطرق القانونية في الدفاع عن حقوقهم، وعدم الحياد عن نهجهم السلمي الإيجابي في إفشال هذا المخطط، وإجهاض كل المحاولات الرامية إلى تشويه الخدمة، ووصمها بالإرهاب والتآمر.

وانطلاقا من ذلك كله، وفي إطار حملة جديدة لتصفية مجموعة كبيرة وعدد هائل من المعتقلين وخاصة من أبناء الخدمة، يتم الترويج

هذه الأيام عبر وسائل مختلفة لاحتمال حدوث محاولة انقلابية ثانية، ويطالبون في حملات منظمة بعزل المعتقلين في سجون منفصلة، وخاصة المنتمين منهم لحركة الخدمة تمهيدا لقتلهم جميعا عبر دعوة مروعة تقشعر منها الأبدان.

لذلك أعرب عن قلقي -إزاء تردد هذه الإشاعات- من تدبير مكيدة جديدة تستهدف شعبنا والمتطوعين من أبناء حركة الخدمة على وجه الخصوص، تحت ذريعة هذه المكيدة.

إني أغتنم فرصة هذا البيان لأعلن مجددا للعالم بأسره أن أبناء حركة الخدمة لن يتخلوا أبداً عن ولائهم للديمقراطية وسيادةِ القانون واحترام مبادئه، مهما بلغ حجم التنكيل بهم والتعدي على حرياتهم وممتلكاتهم، ومهما بلغ حجم الانتهاكات والتمييز الفئوي ضدهم.

إن أولوية هؤلاء الذين لم يؤذوا حتى النملة هي محاربة الجهل والفقر، ودعوة الناس إلى تبني قيم العيش المشترك والتسامح، لترسيخ أسس المحبة والسلام في شتى بقاع العالم. وسيظل العمل الإيجابي البنّاء هو الراية التي ترفرف فوق رؤوسهم وهم يواصلون السعي نحو هذه الغاية، ولن يتركوها أبدا من أيديهم مهما قابلوا من عقبات.

هذا البيان أقدمه للناس جميعا مع بالغ احترامي وتقديري للجميع.

وعلى الله قصد السبيل وهو وحده المستعان.

بيان عقب العملية الإرهابية في ملهى "رينا" بإسطنبول[1]

أُدين بشدة العملية الإرهابية الخسيسة الغادرة التي استهدفت في مطلع العام الجاري أبرياء من المواطنين أثناء الاحتفال برأس السنة في مدينة إسطنبول بمنطقة أورطا قوي. وأؤكد على ما سبق وكررته مرارا من أن الإرهاب لا دين له، ولا يمكن أن يكون حلا لأي مشكلة.

وأدعو الدولة بكافة قطاعاتها إلى تحمل مسئولياتها بكل جدية وأمانة، وأن تعمل الجهات المعنية فيها على تكثيف جهودها للكشف عن الجُناة ومَن وراءهم أمام الرأي العام المحلي والعالمي. وعلى المسئولين السياسيين أن يحترموا دماء شعبهم المنوط بهم حمايتهم، وألا يعلّقوا فشلهم وإخفاقهم على شمّاعات جاهزة دون الكشف عن الحقائق بكل شفافية ونزاهة.

إن سلسلة الأخطاء المتعاقبة في الداخل والخارج التي ترتكبها القيادة الحالية في تركيا ولغةَ العنف والتحريض والكراهية التي يتبنّاها عديد من المسئولين في البلاد، من شأنها أن تزيد دوامة العنف والإرهاب، وتقود البلاد إلى منحدر خطير.

لقد فُرّغتْ الدولة من أهم الكفاءات والخبراء في كافة القطاعات،

---

[1] بتاريخ ١ يناير ٢٠١٧.

ولا سيما في القطاعات الأمنية والاستخباراتية منها بتهم وأوهام فارغة، وعُيّن بدلا من هؤلاء أهلُ الثقة والولاء، مما أسهم في تدهور الحالة الأمنية ووصولها إلى هذا المستوى المزري من الاضطراب والاختراق الأمنيين، حتى صار المسؤولون عن الأمن فيها هم الذين يقومون بالعمليات الإرهابية.

إننا نُهِيب بالمواطنين من شعبنا التركي العظيم أن يتحلى بروح الوعي والتسامح والتعايش، وألا ينجرّ إلى هذه المحاولات الحثيثة التي تدعوه إلى الاستقطاب البغيض، والاصطفاف الطائفي الممقوت الذي يضع البلاد أمنَها وأمانَها واستقرارها على حافة الهاوية.

كما نُهِيب بالمسئولين وصناع القرار أن ينحازوا إلى جانب القيم الإنسانية العالمية العادلة من احترام حقوق الإنسان، والحرية والمساواة والعدالة، وأن يعززوا الديمقراطية في البلاد بدلا من العمل على تكريس مناخ الظلم والاستبداد، وتقويض المكتسبات الوطنية التي حققتها البلاد على مدار الخمسين عاما الماضية.

وأخيرا نسأل الله تعالى أن يتغمد هؤلاء الذين قضوا في الحادث الإرهابي بواسع رحمته ويلهم ذويهم الصبر والسلوان، كما نسأله تعالى أن يحفظ البلاد والعباد، وأن يمن على شعبنا الأصيل بالأمن والاستقرار، وأن يوفق ولاة الأمور إلى الصائب من القول والعمل، إنه ولي ذلك وهو على كل شيء قدير.

بيان عقب العملية الإرهابية في غازي عنتب بتركيا[١]

إنني أندد بشدة الاعتداء الإرهابي الذي وقع في مدينة غازي عنتب واستهدف مجموعة من أبناء شعبنا أثناء عرسهم، وتسبب في استشهاد أكثر من خمسين مواطناً بينهم أطفال، وجرح أعداد كبيرة من المواطنين. إن هذا الاعتداء لم يسهتدف الأبرياء المشاركين في العرس فحسب، بل استهدف الشخصية المعنوية لأبناء الأناضول بتُركه وكُرده وعربه وبوشناقه وألبانيه ولازِه وشركسه الذين عاشوا منذ قرون في أخوة وسلام.

أقدم أحر التعازي إلى أقارب الضحايا الذين قتلوا في الاعتداء الإرهابي، وخاصة مواطنينا الأكراد وكافة الشعب التركي، وأتمنى لهم الصبر والسلوان والدعاء بالشفاء العاجل للمصابين.

وبهذه المناسبة المؤلمة أجدد الدعوة للجميع وعلى رأسهم العالم الإسلامي أن يندِّدوا بالإرهاب أياً كان نوعه، وأن يسهموا بإخلاص في الكفاح ضد الإرهاب صفاً واحداً. وأسأل الرحمن الرحيم أن يستأصل جذور مصيبة الإرهاب، وأن يرسي الأمن والسكينة والسلام في بلدنا وفي العالم أجمع عبر أجيال تُربَّى على حب الإنسان واحترام حياة الإنسان.

---

[١] بتاريخ ٢١ أغسطس ٢٠١٦.

بيان بعد الهجمات الإرهابية على كنائس في مصر[١]

ندد الأستاذ فتح الله كولن في بيان له بالهجومين الإرهابيين المتتابعين اللذين تعرض لهما مواطنون مصريون أقباط في أثناء احتفالهم بأحد (الزعف) الشعانين في كل من كنيسة ماري جرجس بمدينة طنطا والكنيسة المرقسية بالإسكندريةّ يوم الأحد ٩ إبريل ٢٠١٧، كما قدم تعازيه لذوي الضحايا وعبّر عن تمنياته بالشفاء العاجل للمصابين مؤكدا في الوقت نفسه على أن وحدة الشعب المصري أقوى من أي إرهاب خسيس، وفيما يلي نص البيان:

"لقد تابعتُ بأسى شديد وحزن بالغ ما طالعتْنا به وكالاتُ الأنباء العالمية عن الأحداث الإرهابية الخسيسة التي تعرّض لها إخوة مواطنون مصريون في أثناء استعداداتهم للاحتفال بمناسبة دينية في بعض دور عباداتهم في كل من مدينتي طنطا والإسكندرية، على أيدي فئة شيطانية مخرّبة لا تمتّ أعمالُها لأيّ دين بصلة.

وإني إذ أندد بهذه الأفعال الإجرامية في حق أبرياء معصومين أتقدم بخالص التعازي لذوي الشهداء من إخوتنا المصريين مسيحيين ومسلمين، شرطة ومدنيين، وأسأل الله تعالى أن يمنّ على المصابين

---

[١] بتاريخ ١٠ أبريل ٢٠١٧.

والجرحى منهم بالشفاء العاجل.

إن الإرهاب الذي يستهدف أرواحا بريئة في كل بقعة من بقاع العالم لا دين له ولا أخلاق، وهو يتنافى قطعيا مع كل الديانات السماوية والشرائع الإنسانية، وهو يستوجب منا جميعا أن نقف متكاتفتين في وجهه حتى نقتلع كل أشكاله وألوانه من جذورها، وأن نعمل وفق وعي جمعي لإحلال المحبة والتعاون والإخاء في ربوع الإنسانية بدلاً من العداوة والكراهية والشقاق.

إنني على ثقة بأن وحدة الأمة المصرية أقوى من أي إرهاب خسيس يستهدف أمنَها واستقرارها، ويسعى إلى تخريب النسيج الوطني لشعب عاش محقِّقا أعلى درجات التسامح والمحبة والإخاء على مدى العصور. ورغم جسامة هذه الأحداث الأليمة التي وقعت في مصر المحروسة -بإذن ربها- فإنها لن تفتّ في عضد الشعب المصري المتلاحم، ولن تزيد الأمةَ المصرية بجميع فئاتها إلا ثباتا وصمودا وإصرارا على التصدي لهذا الحقد الأسود، والقضاء على أسبابه ومظاهره.

نسأل الله تعالى أن يحفظ على مصر وسائر بلاد العالم أمنَها وأمانها وأن يوفِّق الإنسانية جميعا إلى أمر رشَد يعمّ فيه الأمنُ والأمان والاستقرار والرخاء، إنه ولي ذلك وهو على كل شيء قدير".

بيان بعد محاولة اغتيال الشيخ علي جمعة[1]

ببالغ الألم والحزن تلقيت نبأ تعرّض الصديق العزيز، والأخ الوفي، والعالم الكبير، مفتي الديار المصرية السابق العلامة الشيخ علي جمعة لمحاولة اغتيال قذرة أثناء خروجه لأداء صلاة الجمعة.

وإنها لجريمة نكراء أدينها من صميم قلبي، وأعزي نفسي بخروج فضيلته من تلك المحاولة المشؤومة بتمام الصحة وكمال العافية.

لقد سبق أن أكدت مرارا أن العنف لا يمكن أن يكون حلا لأي إشكال، وأدنت جميع أنواع العنف والإرهاب بشدة، وأعلنت عند كل عملية إرهابية تستهدف أمن المجتمعات -سواء كانت إسلامية أو غير إسلامية- أن "المسلم الحقيقي لا يمكن أن يكون إرهابيا، وأن الإرهابي لا يمكن أن يكون مسلما".

إن كل محاولة اغتيال مادي أو معنوي تستهدف فضيلة العلامة الشيخ علي جمعة وأمثاله من أهل العلم والحكمة والرشد إنما تستهدف الإسلام ذاته، وتطعن الأمة الإسلامية في قلبها، نستكرها وندين مرتكبيها بشدة. نحمد الله تعالى على سلامة فضيلته ونسأله تعالى أن يحفظه ويحفظ مصر الغالية من شر الأشرار وكيد الكائدين، ويديم عليها نعمة الأمن والسعادة والهناء.

---

(1) بتاريخ ٥ أغسطس ٢٠١٦.

بيان عقب العملية الإرهابية في سان بطرسبورغ الروسية[١]

نشر الأستاذ فتح الله غولن بيانًا استنكر فيه العملية الإرهابية التي هزت أمس الاثنين (٣ أبريل ٢٠١٧) مدينة سان بطرسبورغ الروسية وأسفرت عن مقتل ١١ شخصًا وإصابة ٤٥ آخرين. وجاء في البيان:

"إني أدين بشدة العملية الإرهابية الغاشمة التي استهدفت عربة قطار في مترو أنفاق بمدينة سان بطرسبورغ وراح ضحيتها ١١ شخصًا، إلى جانب إصابة عدد كبير من الأبرياء. إن الكلمات تعجز عن التعبير عن مدى الحزن الذي شعرت به جراء سقوط هذا العدد من الأرواح البريئة. وأقدم أحر التعازي والمواساة لأسر الضحايا وأسأل الله تعالى أن يلهم ذويهم الصبر والسلوان، كما أتمنى الشفاء العاجل للمصابين.

وبهذه المناسبة، أكرر وأؤكد مرة أخرى إدانتي لكل أنواع العنف والإرهاب التي تُسبِّب الآلام للأبرياء من الناس. إن هذه العملية البغيضة لم تستهدف المواطنين الروس فقط، بل هي موجهة إلى الإنسانية كلها، الأمر الذي لا بد أن يقودنا -أعضاء الأسرة الإنسانية كافة- إلى التضامن والوقوف صفا واحدا ضد كل أشكال العنف والإرهاب من جميع الفئات والجنسيات".

---

[١] بتاريخ ٤ أبريل ٢٠١٧.

بيان تلفزيوني للأستاذ فتح الله كولن حول اغتيال السفير الروسي بتركيا[1]

لقد أدنّا الإرهاب في كل مرة. أكرر مرة أخرى بأنني أدين من صميم قلبي الإرهاب الذي استهدف السيد سفير روسيا. هذا أولا. ثانيا، حسبما سمعت من إخواني فلقد كان هذا السيد متعاطفا مع ما نقوم به من خدمات في روسيا. بل شارك في بعض أنشطتنا هناك. وأدلى بتصريحات إيجابية حولها. لذلك أجدد إدانتي لهذه الجريمة. وأقدم تعازيّ للشعب الروسي عامة، والمسؤولين خاصة. أرجو أن يقرأ المسؤولون في روسيا المشهد من هذا المنطلق، ويقيّموه على هذا النحو، وبناء على ذلك يتخذون قرارهم.

القاتل، هذا القاتل الدموي كان يعمل قريبا من المسؤولين الأتراك أصلا. عمل حارسا في الفريق الرئاسي، يقولون إنه تولى هذه المهمة ١٠ مرات، الإعلام ذكر ذلك. الرجل قريب من السيد الرئيس إلى هذه الدرجة، ثم توحي فعلته أنه من جبهة النصرة، فكيف تكون له صلة أصلا بالخدمة من قريب أو بعيد؟

لقد كان ضمن المختارين في الشرطة بعد ٢٠١٤، أي بعد طرد وإقصاء خبراء الإرهاب في جهاز الأمن، ومن ثم الإهمالِ في متابعة

---

[1] بتاريخ ٢٢ ديسمبر ٢٠١٦.

القضايا الإرهابية، أي التخلي عما ينبغي القيام به، هذه أخطاء إضافية أخرى.

ثم توظيف هذا الرجل في مثل هذا الموقع، يعني اذهب بسلاحك وقم بحراسة السفير، هذه كلها تعبر عن عمى خطير في البصيرة، أو تعبر عن عمل مقصود أساسا، أي دعوا الرجل يقتل ونحن بدورنا نلقي بالتهمة على آخرين. هناك إهمال وعمى في البصيرة، وبالتالي فهم يقولون "بما أنه وقع ما وقع، تعالوا نحمّل الفاتورة على هؤلاء (الخدمة)، تعالوا نشوّه سمعتهم مرة أخرى كما فعلنا في فضائح الفساد بديسمبر ٢٠١٣ وأحداث يوليو ٢٠١٦".

قناعتي المتواضعة، أن أخطر ما في الأمر أنهم سيغتالون لاحقا بعض الشخصيات بمثل هذه الطرق، ثم يعمدون إلى إلصاقها بحركة الخدمة، وهذا هو الأخطر. بالتأكيد، العالم سيضحك منهم، ولن يصدقهم، نعم سيضحك منهم ولن يصدقهم.

حتى روسيا، المتضرر الأول في هذه الجريمة، رفضت اتهامهم للخدمة، وبالتالي يستحيل أن يقنعوا العالم بمثل هذه الاتهامات. أسأل الله تعالى ألا يتيح فرصة لمثل هذه الأحداث الإرهابية مرة أخرى. أسأل الله تعالى أن يرد على من يخططون مثل هذه الجرائم مكرَهم. إنهم لا يفتؤون عن تدبير المكائد الواحدة تلو الأخرى. أنا على يقين بأن الله سيرد كيدهم إلى نحورهم.

فتح الله كولن

دار النيل

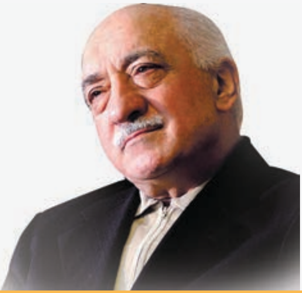

مجموعة العالِم والمفكر
الأستاذ فتح الله كولن

25 كتابًا

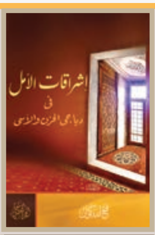

مواقف

في زمن المحنة

حـوارات إعلامية مع فتح الله كولن

هذا الكتاب يتضمن حوارات الأستاذ فتح الله كولن ومقالاته وبياناته التي نشرت خلال سنة كاملة، بدءًا من محاولة الانقلاب الفاشلة في تركيا يوم ١٥ يوليو ٢٠١٦ حتى شهر يوليو ٢٠١٧. وهي تعبّر عن مواقف الأستاذ كولن إزاء محاولة الانقلاب وما أعقبها من اتهامات واضطرابات وانتهاكات حقوقية شاملة، كما تعبّر عن مواقفه إزاء قضايا العنف والتطرف والإرهاب التي تعصف بالعالم الإسلامي والعالم الغربي عصفًا.

هذا الكتاب بما تضمنه من أفكار ترجمة حيّة لرؤية الأستاذ فتح الله كولن الإصلاحية في زمن المحنة وسياقاتها الاستثنائية المريرة، فهو يعكس سلوك المفكر واتجاهات الفعل الجماعي المؤسَّس على فكره زمنَ الامتحان، الذي كثيرًا ما يَحكُم فيه الانفعالُ الفعلَ، وتُغالِب أحداثُه الواقعيةُ الرؤيةَ الناظمة والقيمَ السلوكية للدعوات والرؤى ومشاريع الإصلاح.

وإذا كانت كتب الأستاذ فتح الله كولن الأخرى، والمترجَمة منها للعربية قد منحتنا فرصةَ الاطلاع على رؤية الأستاذ في زمن التآلف والبسط، فإن هذا الكتاب يمنحنا ذاتَ الفرصة زمنَ التضييق والقبض، وهي ولا شك فرصة ثمينة جديرة بالاقتناص.

ISBN 978-977-801-088-6
9 789778 010886

1 كتاب نسمات

دار النيل